الكوفة عاصمة الايمان والحضارة

اعمال

المؤتمر العلمي الدولي السابع عشر

الذي أقامه مركز دراسات الكوفة

بالتعاون مع أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به

لسنة ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

الجزء السادس

محور مدينة الكوفة وسماتها الاجتماعية والاقتصادية

اعداد واشراف

أ.د.عدي جواد الحجار

فهرس البحوث

ت	اسم الباحث	اسم البحث	الصفحة
١.	أ.م.د.سماهر محي موسى أ.م.د.ظافر اكرم قدوري	مدينة الكوفة دراسة في نشوء المدينة من خلال كتاب فتوح البلدان للبلاذري (ت٢٧٩هـ)	١
٢.	أ.م.د . حسن محسن صيهود م . صباح محمد حسين	اخْتِيَارُ الْكُوفَةُ مُرَكَّزُ الخَلَافَة الإِسْلَامِيَّةِ وَعَلَاقَتِه بِالظُّهُورِ المُقَدَّسِ	١٥
٣.	أ.م.د.الهام فاضل عباس	المعاني الحضارية والروحية والاجتماعية لمسجد الكوفة المعظم – دراسة نفسيه اجتماعيه تاريخية-	٣٤
٤.	أ.م٠د رباب جبار طاهر السوداني أ٠م٠د هشام جخيور ميري الربيعي	مرويات الفخر الكوفي دراسة تحليلية	٤٦
٥.	أ.م. فيصل غازي د .زينب عبد المهدي نعمة	اضواء على تراث مدينة الكوفة في الحديث	٦٩
٦.	م. د.زهراء رؤوف الموسوي الباحثة سوسن كاظم الحسيني	معالجة الفقر في القران والسنة حكومة امير المؤمنين عليه السلام في الكوفة انموذجاً	٩٣

٧.	د. صفاء عبد الله برهان الغرباوي	الكوفة في رحلتي ابن جبير وابن بطوطة ـ دراسة موازنة ـ	١١٤
٨.	د.حنان عباس خيرالله	الجذور الاجتماعية لمجتمع الكوفة ابان واقعة الطف	١٤٢
٩.	م.م. محسن وهيب عب	الكوفة عاصمة المعصوم ظاهرة في الآفاق وفي التراث	١٥٧
١٠.	الباحثة: أزهار جبر هادي	(المرأة الكوفية ودورها في التربية والثقافة)	٢٢٤

مدينة الكوفة دراسة في نشوء المدينة من خلال كتاب فتوح البلدان للبلاذري (ت٢٧٩هـ)

أ.م.د.سماهر محي موسى
أ.م.د.ظافر اكرم قدوري
جامعة ديالى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ /تاريخ الاقتصاد الاسلامي

المقدمة

البصرة أحدى ابرز وأهم مدن العراق قديماً وحديثاً ،أنها ثاني المدن التي اقامها العرب المسلمون خارج الجزيرة العربية، وهي من المدن التي أنشأها المسلمون الاوائل بعد أنسياح الجيوش العربية الاسلامية ودخولها العراق ومن خلال أغلب الروايات فأن سبب التأسيس كان دافعهُ الرئيس هو لاغراض اقامة الجيش أي أن سبب نشوء المدينة كان عسكرياً فالمدينة أنشأت وحصرت لاغراض القيادة العسكرية ولكن تكون معسكراً ، لكن موقعها وكثرة خيراتها وملائمتها للحياة حولها بزمن قصير الى مدينة من ابرز وأهم مدن العراق الرئيسة ومع هذه الاهمية المتزايدة فقد تناولتها كتب التاريخ بأنواعه وتناولها الرحالة والجغرافيون بصورة كبيرة ومن الكتب التي تناولتها ايضاً كتاب فتوح البلدان للبلاذري (ت٢٧٩ه) ورغم ان الكتاب أهتم بالفتوحات وحركتها لكن الملفت للنظر فيه عند حديثه عن مدينة الكوفة تناوله مسألة تأسيس الكوفة وبنأئها ولو بشيء من الاختصار مع ذكر ابرز الاسباب التي دفعت المسلمين للاستقرار فيها وقد أعطى صورة عن شكل المدينة والمادة التي بنيت بها الدور في اوائل التأسيس وقد جاءت هذه الدراسة لاستخراج النصوص الخاصة ببناء المدينة وتأسيسها فقد عرجت الى تسمية الكوفة في اللغة وأصول الكلمة ، ثم تناولت ابرز وأهم الاسباب التي ادت الى التفكير بتمصير الكوفة ثم تطرق البحث الى خطط المدينة وشكلها الاول ثم اديرة الكوفة الموقع ومانقلهُ البلاذري من روايات بهذا الخصوص.

نبذة عن حياة البلاذري :

هو أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي ،المعروف باسم البلاذري ، وعند الجد الأعلى للبلاذري تقف مصادرنا في تسلسل نسبه ولا تمدنا بمعلومات وافية عن هذه الأسرة[1] . فجابر بن داود (جد البلاذري) كان كاتباً للخصب صاحب خراج مصر ،

في خلافة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٧٠٨م)[٢] أما والد البلاذري (يحيى) فلا نكاد نعرف في مصادرنا عنه من شيء سوى اسمه ، وليس من المستبعد أن يكون عمل أيضاً في مهنة الكتابة كوالده جابر بن داود . كما هو مألوف وشائع من توارث المهن في ذلك العصر[٣] ، ومنها الكتابة[٤] .

ولانعرف الكثير عن نشأته الا أنه نشأ وترعرع في بغداد وتعلم على يد كبار العلماء والمفكرين ، وقد نال البلاذري تقديراً كبيراً كمؤرخ لانه محل ثقه ، ومع أنه لم يكن جغرافياً في المقام الاول الا أنه قد ناقش معلومات في غايه الاهمية في معظم مؤلفاته وعلى راسها كتاب فتوح البلدان الذي يحمل بين طياته معلومات متنوعة عن الحياة السياسية والعمرانية والاقتصادية فهو من الكتب النادرة التي تجمع بين فروع المعرفة المختلفة [٥] ـ فهو عتبر من احسن الكتب وأهمها وأصحها خاصة فيما يتعلق بالفتوحات الاسلامية [٦] .

تكاد تتفق معظم الروايات في ترجيح تاريخ وفاة احمد بن يحيى البلاذري في بداية سنة ٢٧٩ هـ /٨٩٢م [٧] . بعد أن تجاوز عمره الثمانين . وبالتالي يكون ترجيح ولادته في العقد الأخير من القرن الثاني للهجرة[٨] . تاركاً آثاراً قيمة وثماراً زاهية وكنزاً ثميناً.

الكوفة لغة واصطلاحاً:

اختلفت الآراء حول تفسر أصل كلمة الكوفة ، فهناك من يقول انها سميت الكوفة لاستدارتها واستعمل التعبير كوفان بما يعني الرملة المستديرة . وأن المقصود بتعبير تكوف الرمل أي تجمع بعضه فوق بعض[٩] ، وهناك رأى يرى بانها سميت كوفة نسبة الى اسم موضع كان موجود بالمنطقة اسمه كويفه ابن عمر[١٠] ، وهناك راي يشير الى ان استعمال كوفة وتكوف انما يراد بها اجتماع الناس في الموضع [١١] .

وقد اجتمعت الآراء على ان الاسم مأخوذ من صفات التربة التي اتسمت بها المنطقة وهي الغالبة فيقال ان الأرض التي يكون فيها المزيج من الحصباء والطين والرمل تسمى ارض كوفة وتفسير اخر نسبة الى جبل صغير يقع في وسطها يقال له كوفان وهذا ينطبق مع مسألة تجمع الرمال فيكون التل هو الكوفان [١٢] .

ويرجح الموسوي سبب التسمية " ان تسمية المعسكر بالكوفة ، قد اشتقت من لفظتين مشهورتين في المنطقة ، وهما كوفان وهوتل صغير ، وكويقة بن عمر ، وهي موضع ،فلابد للمسلمين قد سمعوا باسمهما ، يتردد على السنة سكان المنطقة حين كانوا يمسحون المنطقة ، بهدف أقامة المعسكر في أفضل مواضعها ، فاشتقوا من اسم احدهما اسما أطلقوه على مدينتهم في أثناء تمصيرها" (١٣) .

بدايات التفكير بتمصير الكوفة:-

كانت الفتوحات العربية الاسلامية التي رافقت عهد الخليفة عمر بن الخطاب واعزاً جديداً لظهور مدن دورها الاساس هو محطات للجند واستراحتهم وتنظيم عمليات الفتح فيها ، وكان من نتائج تلك المدن أن ظهرت مدينة البصرة والفسطاط في مصر ومدينة الكوفة خاصة البحث والقيروان في بلاد المغرب العربي ولو أن الاخيرة كان زمان تمصيرهاب بعد ذلك لاسباب عديدة ، ورغم أن البلاذري كان قد خصص كتاب للفتوحات وحركة الجند والمعارك التي دارت بين العرب المسلمين والامبراطوريتين المجاورتين لمركز الدعوة وهما الامبراطورية الساسانية والبيزنطية الا أنه خص بالذكر في كتابه المدن التي نشأت أثناء حركة الفتوحات ، وكانت الكوفة واحدة من تلك المدن وكان البلاذري نقل نص رسالة بين الخليفة عمر بن الخطاب وقائده سعد بن ابي وقاص كانت سبباً في بداية تمصير الكوفة وبنائها ويأتي في نص الرسالة وفحواها امر الخليفة عمر بن الخطاب لسعد بن ابي وقاص " ان يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيرواناً وأن لا يجعل مبنية وبينهم بحراً" (١٤) .

وهنا يتضح أهمية التفكير بطرق المواصلات والتي كان الجيش العربي في بدايته يفكر في مسألة التواصل البري لصعوبة ايجاد السفن او حتى مد الجسور لعبور المقاتلة لذلك فالمحافظة على المدد العسكري كان الهاجس المهم وربما لم تكن مشكلة في شبة جزيرة العرب الا أنها كانت قد بدأت مع دخول المسلمين الى العراق الغني بمياه الانهار كدجلة والفرات فكانت الرسالة أيضاحاً لذلك كان مقام سعد اول الامر في مدينة الانبار واراد ان يتخذها منزلاً لجنوده لكن كثرة الحشرات ومنها الذباب (١٥) كان مشكلة واجهت القوة المقاتلة واستقرارها وكان ذلك الامر مدعاة للتحول الى مكان اخر " فتحول الى

موقع اخر فلم يصلح" [١٦] ولم يذكر سبب عدم صلاحية الموقع ولا المكان الذي تحول اليه ، ويبدو ان سبب عدم صلاحية المكان كان يدور حول الاسباب البيئية التي لاتوالم طبيعة العربي وهو ماجاء في رسالة عمر بن الخطاب الى سعد بن ابي وقاص حين أذى البعوض الجنود والمقاتلة فكتب اليه عمر يقول لهُ : "أن العرب بمنزلة الإبل لايصلحها إلا ما يصلح الإبل فارشد لهم موضعاً عدنا ولا تجعل بيني وبينهم بحراً"[١٧] .وهنا أوضحنا مسألة مراعاة الاتصال وعدم وجود عائق بين المسلمين ومركز القيادة .

مسألة أخرى تتضح من أختيار مدينة الكوفة فبعد معركة القادسية توجه سعد بجيشه الى المدائن[١٨] فافتتحها وأخذ اسبانبر وكروبغداد عنوة " فانزلها جنده فاحتووها ، فكتب الى سعد (المقصود هنا الخليفة عمر بن الخطاب) ان حولهم"[١٩] .

ويبدو أن سبب عدم أختيار المدائن والتحول عنها كان الخوف من اهالي تلك المدن كونها كانت لوقت طويل تخضع لحكم الفرس فلا يأمن منها من جانب الولاء فكان الخوف من هذه المد لان أهلها حديثي عهد بالفتح الإسلامي من جهة ومن جهة أخرى يبدو ان عمر بن الخطاب كان يريد لجنده الاستقرار داخل المدن خوفاً عليهم من الانشغال والابتعاد عن القتال والحرب وهي مسألة مهمة بالنسبة للجند والمقاتلة .

وكان أختيار الكوفة بحسب الرواية جاء بعد مشاورات بين عمر بن الخطاب وسعد بن ابي وقاص وبحسب مااورده البلاذري فأن سعد كان يختبر كل موضع حتى وجد ارض الكوفة مناسبة لما يتوافق مع أحوال المقاتلة لكن موضع الكوفة بحسب مانقلهُ البلاذري كان قد أختطه سعد نتيجة لما أشار عليه رجل يقال لهُ عبد المسيح بن بقيلة [٢٠] والذي" أتى سعداً وقال لهُ ادلك على ارض انحدرت عن الغلاة وارتفعت عن المباق(أي الارض كثيرة البعوض والحشرات) فدُله عن موضع الكوفة اليوم وكان يقال لها سورستان[٢١]"[٢٢] .

من خلال هذه الرواية يبدو ان عبد المسيح هو رجل من المنطقة القريبة من موقع الكوفة الحالي والارجح انهُ كان نصرانياً ومن خلال الاسم كما ان علاقته على مايبدو كانت جيدة بجيش المسلمين ، ومعرفتهُ بالمنطقة هي التي جعلت سعد بن ابي وقاص يوافق على أختياره لمكان الكوفة ، وبهذا الاختيار فقد تمت تشخيص ارض الكوفة وتم

أختيارها كمنطقة او كمدينة للجند والمقاتلة وهو مايعطي صورة عن بناء المدينة ووظيفتها العسكرية بالمقام الاول .

-خطط المدينة وشكلها الاول :

كانت اغلب المدن التي أسست في بداية الفتح العربي الاسلامي متشابهه في تخطيطها ويكاد الشكل الاول لتلك المدن تتخذ من المسجد الجامع مركزاً للمدينة باعتباره المكان الروحي للمسلمين والرابط والجامع لوحدتهم وكان يتم أختيا بناء المسجد بدقة متناهية وفي الغالب كانت المحلات التي تتخذ للسكن او كوحدات ادارية تكون حول المسجد هذا . ومن الامثلة على أهمية هذا الاختيار مانقله البلاذري عند نقلهِ لرواية حول ذلك الامر تبين اهتمام سعد بن ابي وقاص لاختيار مسجد الكوفة " فلما انتهى (يقصد به هنا سعد بن ابي وقاص) امر رجلاً فعلاً بسهم قبل مهب القبلة فاعلم على موقعه ثم علا بسهم أخر قبل مهب الشمال واعلم على موقعه ثم علا بسهم قبل مهب الجنوب واعلم على موقعه ثم علا بسهم قبل مهب الصبا فاعلم على موقعه ، ثم وضع مسجدها ودار امارتها في مقام العالي وماحوله" [٢٣] ، والرواية توضح أختيار المكان العالي لبناء المسجد ودار الامارة وهي رمزية مهمة في اختيار مركز المدينة لعدة اعتبارات منها الروحي كما ذكرنا ومنها ماهو يختص بالجوانب الادارية في ان يكون مركز المدينة في منتصفها محمياً من المحيط وان تكون الادارة منتصفة في وسط المدينة توجه الاوامر في الحالات الطارئة او الاعتيادية ولا يستبعد ان هذا التفكير كان متأثراً بالمدن التي فتحها المسلمون في الامبراطوريتين الساسانية والبيزنطية وخاصة المدن المسورة (القلاع) والتي يكون مركزها جامعاً للوحدات الإدارية [٢٤] .

وبعد أختيار مركز المدينة ومسجدها ودار امارتها جاء دور تخطيط المدينة وارباعها واسكان القبائل فيها "وأسهم لنزار وأهل اليمن بسهمين عَلَى أنه من خرج بسهمه أولا فله الجانب الأيسر وهو خيرهما، فخرج سهم أهل اليمن فصارت خططهم في الجانب الشرقي وصارت خطط نزار في الجانب الغربي من وراء تلك العلامات، وترك ما دونها فناء للمسجد ودار الأمارة، ثُمَّ أن المغيرة بْن شعبة وسعه وبناه زياد فاحكمه وبنى دار الأمارة" [٢٥] .

وهنا صراعات التقسيم القبلي يبدو انها كانت لمدنه الناس لبعضهم البعض وكي تكون الخصوصية لكل مجموعة ويبدو ان مسألة ضبط المدينة وأمنها أخذ جانباً مهماً حث قسمت المدينة الى ارباع يسكن في كل ربع قبيلة تسند فيها مهمة الامن الى عريف او اكثر [٢٦] وكان التوسع في المدينة امراً لابد منه وهو ماذكره صاحب الفتوح ان المغيرة بن شعبة [٢٧] وسع المسجد وبناه فاحكمه وبنى دار الامارة [٢٨] ، ونقللنا ان زياداً قال: " اتفقت على كل اسطوانة من اساطين مسجد الكوفة ثماني عشرة مائة"[٢٩] .

وتستمر مسألة التوسع والتغيير في مسجد الكوفة وفي شكل المدينة ايضاً " زاد المغيرة في مسجد الكوفة وبناه ثم زاد فيه زياد"[٣٠] ،وتكررت في مسجد الكوفة حادثة القاء الحصى في ارضه كما تكررت في مسجد البصرة وكان السبب ان الناس كانوا يصلون فاذا رفعوا ايديهم" وقد تربت نفضوها، فقال زياد. ما أخوفني أن يظن الناس عَلَى غابر الأيام أن نفض الأيدي سنة في الصلاة فزاد في المسجد ووسعه، وأمر بالحصى فجمع وألقي في صحن المسجد"[٣١] .

-اديرة الكوفة واماكنها :-

تطرقنا الى خطط الكوفة ومابها من اماكن بحسب ماورد ذكره عند البلاذري ،ويبدو من خلال روايته ان اغلب سكانها كانوا من اليمن في رواية الشعبي التي ذكرها صاحب الفتوح "كنا- يعني أهل اليمن- اثنى عشر ألفا، وكانت نزار ثمانية آلاف، ألا ترى أنا أكثر أهل الكوفة وخرج سهمنا بالناحية الشرقية فلذلك صارت خططنا بحيث هي"[٣٢].

ولاننسى ان قربها من الكوفة جعل الكثير من الاديرة التي كانت تابعة للكوفة جزءاً منها وان المساحة التي بين الحيرة والكوفة كانت تسمى الملطاط وهي التي بنيت فيها داراً للضيافة وهي دار عبدالملك بن عمير فكان ينزل فيها من يأتي ضيفاً[٣٣] .

ثم تطرق بعد ذلك البلاذري الى ذكر الكثير من المواضع والاماكن والدور والمحلات في الكوفة [٣٤] .ومنها يتطرق لذكر الاديرة الاعور لرجل من اياد من بني أمية بن حذاقة ودير قرة ودير السوا ودير الجماجم ودير كعب وهو لاياد ودير هند لأم عَمْرو بْن هند وهو عَمْرو ابن المنذر بْن ماء السماءودار قمام بنت الحارث بْن هاني [٣٥] .

وقد استرسل البلاذري في ذكر الكثير من الاماكن والمواضع وكانت اغلب المواقع منسوبة لاشخاص اذا كانت دوراً وقرى [٣٦]

ويبدو من خلال رواية البلاذري ايضاً ان بقايا مدينة الحيرة أستخدمت في بناء مدينة الكوفة حيث ان بعض بقايا قصور الحيرة التي تم هدمها والتي كانت لال المنذر ان المسجد

" الجامع بالكوفة بني ببعض نقض تلك القصور وحسبت لأهل الحيرة قيمة ذلك من جزيتهم"[٣٧] .

ويبدو مع ذلك من خلال روايات البلاذري ان مسألة التوسع والاهتمام ببناء الكوفة استمرت الى عهد العباسيين وقد كانوا حريصين على بناء القصور فيها كما حصل مع ابو جعفر المنصور الذي بنى فيه الرصافة وامر ابا الخصيب مرزوق مولاه فبنى له القصر المعروف بابي الخصيب [٣٨] .

كما ان امر تحصين المدينة ظهر واضحاً وايضاً في عهد المنصور حيث الزم المنصور اهلها بحفر خندق والزم اهلها بالنفقة لكل واحد منهم باربعين درهماً[٣٩] .وباي حال لعبت الكوفة دوراً مهماً في تاريخ الاسلام وقد احس الجميع باهميتها وهو ماتناقلته الروايات التي ذكرها البلاذري ان عمر بن الخطاب قال عن اهل الكوفة " وهم رمح اللَّه وكنز الإيمان وجمجمة العرب يحرزون ثغورهم ويمدون أهل الأمصار" [٤٠] وماقالهُ سلمان المحمدي ان "الكوفة قبة الإِسْلام، يأتي عَلَى الناس زمان لا يبقى مؤمن ألا وهويها أو يهوى قلبه إليها"

الخاتمة

دراسة المدن من الناحية التاريخية تشكل سبراً لاغوار الكثير من الحقائق التاريخية ، فالمدن حواضر بني البشر ومراكز نشاطهم ولايمكن بأي حال الفصل بين طبيعة المدن وطريقة بنائها وبين مايحدث فيها من الانشطة المختلفة ، وفي الغالب ماتنشأ المدن لاسباب غير الاسباب التي تعرف بها فيما بعد ، فالكوفة مثلاً هي المدينة التي تناولها البحث نشأت لتكون مركزاً وقاعدة للجند في أول الامر لكنها تغيرت فيما بعد وأصبحت من ابرز وأهم مدن العراق من الجوانب الاقتصادية والسياسية ، ومن الملاحظ أيضاً أن

الكثير من المدن تنشأ ثم تعود فيخبو نشاطها أو تندرس بينما المدن الاخرى ومنها الكوفة سرعان ماتطورت وتحولت من معسكر للجند وقاعدة للمقاتلين الى مدينة أشتهرت بالزراعة ولعبت دوراً بارزاً في النشاط التجاري ولايكاد يقبل أي باحث في التاريخ في أي مجال او حقل من كتب التاريخ الا ويجد ذكراً للكوفة وحوادثها فيه .

والمدقق في كتب الفتوحات والحملات العسكرية يجد ذكراً للكثير من المدن ودورها في عمليات القتال او مرور الجند فيها وكتاب فتوح البلدان للبلاذري هو الكتاب الذي تناول موضوع فتح الكثير من المدن والاقاليم وماكان يدور من احداث ومعارك وكان الملفت للنظر أن تطرق البلاذري (٢٧٩ه) عند حديثه عن الكوفة الى مسألة بنائها ، كما اشار البلاذري في رواياتع عن الكوفة الى معرفة قديمة للعرب بأتخاذ الاماكن التي تصلح أن تكون منطلقاً للجيوش والتي يمكن تحويلها فيما بعد الى حواضر تلعب دوراً رئيساً في مجريات الاحداث ليست العسكرية فحسب وأنما السياسية او التجارية والانشطة الاقتصادية المختلفة.

تعد الدراسة رغم تناولها مدينة الكوفة في كتب الجغرافية والرحالة الاولى في أستخراج نصوص تخص انشاء مدينة بحجم مدنة الكوفة من خلال روايات الفتوحات وهي توضح أيضاً أهتمام رواة الفتوحات باسباب بناء المدن وطريقة بنائها وتطورها .

الملخص

أحدى المدن المهمة التي أسست بداية الفتوحات العربية الاسلامية والتي كانت بمثابة قاعدة للجند المتجه من شبة الجزيرة العربية الى المشرق وبوابة العراق انذاك ، دفعت عوامل متعددة لاتخاذ بعض الاماكن والمواقع كمحطات لتكون معسكرات للفتوح واماكن لتنظيم الجند والمقاتلة وكانت تراعي عدة جوانب في بنائها يقف على راسها الجانب الامني كونها تبنى كقواعد عسكرية مع الاخذ بالاعتبار الجوانب الاخرى التي توفى ديمومة الحياة للمقاتلة ولايخفى ايضاً طبيعة المناخ والمنطقة وطبيعة سكانها وولاء أهلها من عدمه للسلطة الساسانية التي انتهى وجودها بعد دخول العرب المسلمين ، كثيرة هي الدراسات التي تناولت مدينة الكوفة وذلك ينبع من أهميتها كمدينة لعبت دوراً مهماً وبارزاً في سير الاحداث اللاحقة ، وكثيرة أيضاً الابحاث التي تناولت

الجوانب المتعددة لهذه المدينة، لكن مالفت نظر البحث هو تناول البلاذري لتمصير الكوفة واسباب البناء وظروفه مع التركيز على الروايات التي تناولها البلاذري والتي تفرد بها ، لذلك اقتضت الدراسة تقسيم البحث الى عناوين تناولت نبذة عن حياة البلاذري وكتابه فتوح البلدان واسباب تسمية الكوفة وابرز واهم الدوافع التي كانت وراء أختيار موقع الكوفة من خلال روايات البلاذري مع جغرافية المدينة وعنوان اخر لحجم المقاتلة والشكل الاول للمدينة ، وتطورها فيما بعد ليتحول دورها من الجانب العسكري الى الجوانب الاخرى والتي أكد البلاذري ان المدينة توسعت بشكل سريع وازداد عدد سكانها واصبحت منطقة جذب للسكان وهذا ان دل على شيء فانما يدل على حيوية المكان والاختيار الصحيح للموقع.

ABSTRACT□
One of the important cities that established the beginning of the Arab Islamic conquests, which served as a base for the soldiers from the Arabian Peninsula to the Mashreq and the gate of Iraq at the time, prompted several factors to take some places and sites as stations to be camps for Fatah and places to organize soldiers and fighters and took into account several aspects in its construction stands on its head Security as being built as military bases, taking into account other aspects that have died the permanence of life of the fighter and also the nature of the climate and the region and the nature of its population and the loyalty of its people or not to the Sassanid authority, which ended its existence after the entry of Muslim Arabs, The study deals with the city of Kufa, which stems from its importance as a city that played an important role in the course of subsequent events. There are also many researches that dealt with the various aspects of this city. Which is unique to them, so the study required the division of the research into titles on the life of Baladri and his book and the opening of the countries and the reasons for naming Kufa and the most important motives behind the choice of the site of Kufa through the novels Balzadri with the geography of the city and another address to the size of the The first form of the city, and its development later to turn its role from the military side to other aspects, which Baladhari that the city has expanded rapidly and increased the population and became a magnet for the population

and that if anything indicates the vitality of the place and the right choice of the site.

الهوامش :

(١) ينظر : الصفدي ، خليل بن أيبك (ت٧٦٤ هـ) ، الوافي بالوفيات (بيروت ، دار صادر ، ١٩٧١) ، ج ٨ ، ص ٢٣٩ ؛ ابن حجرالعسقلاني ، احمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) ، لسان الميزان ، (حيدر أباد الدكن ، مطبعة مجلس دائر ، المعارف النظامية بالهند ، ١٣٢٩ هـ) ، ج ١ ، ص٣٢٣ ؛ ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي بن احمد (ت ١٨٠٩ هـ) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (بيروت ، مطبعة المكتب التجاري ، د . ت) ج ٢ ، ص ١٨٧ .

(٢) الجهشياري ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ) ، الوزراء والكتاب ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون ، (القاهرة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٩٣٨) ص٢٥٤.

(٣) العمد ، إحسان صدقي ، جغرافية البلاذري - احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢م) رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب – جامعة الكويت (الكويت ، ١٩٧٨) ص ١٤٤ .

(٤) الوزراء والكتاب ، ص ص ٨٢ – ٨٣ و ١٧٧ – ٣٢٠ ؛ ابن طباطبا ، أبو جعفر محمد بن علي الطقطقي (ت ٧٠٩ هـ) ؛ الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، (القاهرة ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، د . ت) ، ص ص ١٦٠ – ٢٢٥ .

(٥)الدفاع ، علي عبدالله ،رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الاسلامية ،مكتبة التوبة ،ط٢، (الرياض – ١٩٩٣) ، ص٧٢.

(٦) ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت(ت ٦٢٦هـ)، معجم الادباء ، تحقيق أحسان عباس ، دار الغرب الاسلامي ،(بيروت -١٩٩٣) ،ج٢،ص١٢٧.

(٧)معجم الأدباء ، ج ٢ ، ص ١٢٧ ؛ ابن تعزى بردي ، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله (ت٨٧٤ه) ،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهره، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، (مصر - د.ت) ،ج ٣ ، ص ٨٣ ؛ البغدادي ، إسماعيل باشا ، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، (استنبول ، المطبعة البهية ، ١٩٥١) ج ١ ، ص ٥١ ؛ حتي ، فيليب وآخرون ، تاريخ العرب ، (بيروت ، دار الكشاف ، ١٩٥٠) ج ٢ ، ص ٤٧٤ .

(٨) العمد ، جغرافي البلاذري ، ص ١٥٥.

(٩)ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ) ،لسان العرب ، دار صادر ، ط٣، (بيروت- ١٤١٤هـ) ، ج٩، ص٣٤١. الفيروز آبادي ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ) ، القاموس المحيط ، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ،ط٨ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ،(بيروت -٢٠٠٥) ،ج١، ص٣٣٣.

(١٠) لسان العرب ، ج٩، ص٣٤١.

(١١)البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت٢٧٩هـ)فتوح البلدان ،دار مكتبة الهلال (بيروت-١٩٨٨) ، ص٢٧٤.

(١٢) البلاذري ،فتوح البلدان ، ص٢٧٤. اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢، ص١٦٤.

(١٣) الموسوي ، مصطفى عباس ، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ، دار الرشيد للنشر (بغداد-١٩٨٢) ،ص٧٧.

(١٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٧٤.

(١٥)البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٧٤، ويبدو ان مشكلة وجود الحشرات كانت سبباً للانتقال لعدم اعتبار العربي على هذا الامر مقارنة بيئته الصحراوية التي نقل فيها الحشرات كالذباب او حتى البعوض.

(١٦) فتوح البلدان ، ص٢٧٤.

(١٧) فتوح البلدان ، ص٢٧٥.

(١٨) المدائن : وهي عاصمة كسرى ومركز جنده .ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،ج٥، ص٩٤.

(١٩) فتوح البلدان ، ص٢٧٤.ينظر: الدنيوري ، ابو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢هـ) ، الاخبار الطوال ،تحقيق: عبد المنعم عامر، دار أحياء الكتب العربي ، (القاهرة – ١٩٦٠)، ص٩٩.

(٢٠)عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان ابن بقيلة الغساني من الدهاة. من أهل الحيرة (في العراق) له شعر وأخبار. يقال إنه باني قصر الحيرة. عاش زمنا طويلا في الجاهلية، وأدرك الإسلام، وظلّ على النصرانية، واجتمع به خالد بن الوليد في الحيرة. وفي أمالي المرتضى خبر عن رجل من أهل الحيرة كان يحفر أساسا لبناء فظهر له قبر عبد المسيح ابن بقيلة وعند رأسه أبيات من شعره. وهو ابن أخت سطيح .الجاحظ ، البيان والتبين ، ج٢ ، ص٧٤.

(٢١) سورستان : وهي أرض العراق وبلاد الشام، وقيل: إنّه من بلاد خوزستان.ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص٢٧٩.

(٢٢) فتوح البلدان ، ص٢٧٥.

(٢٣) فتوح البلدان ، ص٢٧٥.

(٢٤) ينظر : عبدالجبار ناجي ، دراسات في تاريخ المدينة العربية الاسلامية ، جامعة البصرة ، البصرة ، ١٩٨٦، ص٦٩.طاهر العميد ، تخطيط المدن الاسلامية ، المقدمة .

(٢٥) فتوح البلدان ، ص٢٧٥. ينظر : ابن سعد ،ا بو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري ، (ت٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبرى ،تحقيق محمد صامل السلمي ، مكتبة الصديق ،(الطائف-١٩٩٣)، ج٧، ص٩٨.

(٢٦) المبرد ، ابو العباس ، اخبار الخوارج ، دار الفكر الحديث ، (بيروت-د.ت) ، ص١٤٧.

(٢٧) المغيرة بن شعبة: المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثَّقَفي، أبو عبد الله ،صحابي ولد في الطائف (بالحجاز) ،فلما ظهر الإسلام تردد في قبوله إلى أن كانت سنة ٥ هـ فأسلم. وشهد الحديبيّة واليمامة وفتوح الشام. وذهبت عينه باليرموك. وشهد القادسية ونهاوند وهمدان وغيرها. وولاه عمر بن الخطاب على البصرة، ففتح عدة بلاد، وعزله، ثم ولاه الكوفة. وأقره عثمان على الكوفة ثم عزله. ولما حدثت الفتنة بين علي ومعاوية اعتزلها المغيرة، وحضر مع الحكمين. ثم ولاه معاوية الكوفة فلم يزل فيها إلى أن مات ٥٠هـ.ابن الاثير ، اسد الغابة ، ج٤، ص٤٠٦.

(٢٨) فتوح البلدان، ص٢٧٥

(٢٩) فتوح البلدان، ص٢٧٥.

(٣٠) فتوح البلدان ، ص٢٧٦.

(٣١) فتوح البلدان ، ص٢٧٦.

(٣٢) فتوح البلدان ، ص٢٧٦.

(٣٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٧٧.

(٣٤) فتوح البلدان ، ص٢٨١-٢٨٢.

(٣٥) ينظر ذلك مااورده في ص٢٨٢.

(٣٦) فتوح البلدان ، ص٢٨١-٢٨٢-٢٨٣.

(٣٧) فتوح البلدان، ص٢٨٤.

(٣٨) فتوح البلدان، ص٢٨٦. الشابشتي ، الديارات ، ص٢٤٧.

(٣٩) فتوح البلدان، ص٢٨٧.

(٤٠) فتوح البلدان، ص٢٨٧

قائمة المصادر والمراجع

١-البغدادي ، إسماعيل باشا ، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، (استنبول ، المطبعة البهية ، ١٩٥١) .

٢-البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت٢٧٩هـ) ،فتوح البلدان ،دار مكتبة الهلال (بيروت-١٩٨٨) .

٣-ابن تغرى بردي ، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله (ت٨٧٤ه) ،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهره، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، (مصر -د.ت)

٤-الجهشياري ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ) ، الوزراء والكتاب ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون ، (القاهرة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٩٣٨) .
٥-حتي ، فيليب وآخرون ، تاريخ العرب ، (بيروت ، دار الكشاف ، ١٩٥٠)
٦-ابن حجرالعسقلاني ، احمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) ، لسان الميزان ، (حيدر أباد الدكن ، مطبعة مجلس دائر ، المعارف النظامية بالهند ، ١٣٢٩ هـ) .
٧-خليفة بن خياط العصفري (ت٢٤٠ه)، تاريخ خليفة بن خياط ،تحقيق ضياء اكرم العمري،دار القلم مؤسسة الرسالة،(بيروت –د.ت)
٨ -الدفاع ، علي عبدالله ،رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الاسلامية ،مكتبة التوبة ،ط٢، (الرياض – ١٩٩٣) .
٩-الدنيوري ، ابو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢هـ) ، الاخبار الطوال ،تحقيق: عبد المنعم عامر، دار أحياء الكتب العربي ، (القاهرة – ١٩٦٠).
١٠-ابن سعد ،ا بو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري ، (ت٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبرى ،تحقيق محمد صامل السلمي ، مكتبة الصديق ،(الطائف-١٩٩٣) .
١١-ابن سيدة ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ) ، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ،(بيروت- ٢٠٠٠).
١٢-ابن طباطبا ، أبو جعفر محمد بن علي الطقطقي (ت ٧٠٩ هـ) ؛ الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، (القاهرة ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، د . ت).
١٣-الصفدي ، خليل بن أيبك (ت٧٦٤ هـ) ، الوافي بالوفيات (بيروت ، دار صادر ، ١٩٧١) .
١٤-عبدالجبار ناجي ، دراسات في تاريخ المدينة العربية الاسلامية ، جامعة البصرة ،(البصرة - ١٩٨٦) .
١٥-ابن عبد الحق ،عبدالمؤمن (ت٧٣٩هـ) ، مراصد الاطلاع ،دار الجيل ، (بيروت- ١٤١٢هـ) .

١٦-ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي بن احمد (ت ١٨٠٩ هـ) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (بيروت ، مطبعة المكتب التجاري ، د . ت) .
١٧- العمد ، إحسان صدقي ، جغرافية البلاذري - احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢م) رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب – جامعة الكويت (الكويت ، ١٩٧٨).
١٨-الفيروزآبادي ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ) ، القاموس المحيط ، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ،ط٨ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ،(بيروت -٢٠٠٥)
١٩-ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ) ،لسان العرب ، دار صادر ، ط٣، (بيروت- ١٤١٤هـ) .
٢٠-الموسوي ، مصطفى عباس ، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ، دار الرشيد للنشر (بغداد-١٩٨٢) .
٢١- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت(ت ٦٢٦هـ)، معجم الادباء ، تحقيق أحسان عباس ، دار الغرب الاسلامي ،(بيروت -١٩٩٣) .
٢٢- معجم البلدان ، دارصادر، (بيروت-د.ت)

اِخْتِيَارُ الْكُوفَةُ مُرَكَّزُ الخَلَافَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَعَلَاقَتِه بِالظُّهُورِ المُقَدَّسِ

أ.م.د . حسن محسن صيهود
م . صباح محمد حسين
جامعة ديالى / كلية العلوم الإسلامية / قسم الشريعة

المقدمة :

ان دراسة الحواضر الاسلامية له من الاهمية الشيء الكبير اذ يربط ابناء اليوم بتاريخ الماضي ويعطينا احاطة بالأحداث التي مرت خلال تلك البقعة الجغرافية فضلا عن طبيعة المجتمع والاصل العقائدي والنسيج الاجتماعي.

تعد الكوفة حاضرة مهمة من حواضر الدولة الاسلامية والتي تمثل نقطة الانطلاق الجيوش الاسلامية الى الشرق خلال عمليات الفتح الاسلامي ابان خلافة الخليفة الثاني ، وقد لاقت الكوفة اهمية كبيرة من قبل الدراسين لما لها من بعد محوري في احداث التاريخ فقد كانت في يوم ما مركز الخلافة الاسلامية الراشدة ايام خلافة الامام علي عليه السلام لذا ولما لهذه المدينة من اهمية اخترتها ان تكون محورا لدراستي الموسومة بـ (اِخْتِيَارُ الْكُوفَةُ مُرَكَّزُ الخَلَافَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَعَلَاقَتِه بِالظُّهُورِ المُقَدَّسِ) اذ ان اختيار الكوفة من قبل الامام علي عليه السلام كان له ابعاد وغايات وظفها الامام علي عليه السلام خلال نقله لمركز الخلافة الى هذه الحاضرة الاسلامية وان الروايات تشهد وتقر ان الكوفة كما كانت في يوم ما هي عاصمة للدولة الاسلامية ستكون في عصر الظهور عاصمة لدولة العدل الالهي على يد الامام محمد المهدي عجل الله فرجه الشريف وهذا ما سأبينه خلال هذه الدراسة التي جعلتها في ثلاث مباحث :

المبحث الاول : تاريخ الكوفة ونشاتها عرضت فيه الجانب التاريخي لهذه المدينة وباختصار مانع .

المبحث الثاني : الاسباب وراء اختيار الكوفة كعاصمة للدولة الاسلامية من قبل الامام علي عليه السلام وسأعرض ذلك بشيء من التحليل للأحداث .

المبحث الثالث : الكوفة عاصمة الخلافة الاسلامية وعلاقته بالظهور المقدس للامام المهدي عجل الله فرجه الشريف وسأعرض في هذا المبحث علاقة هذا الاختيار بمسالة

الدولة المهدوية المرتقبة حيث ستمثل الكوفة المحور الاساس الذي سينطلق منه الامام عجل الله فرجه الى جميع العالم وكيف ستكون عاصمة للعالم اجمع .

واختتم حديثي لاهم ما توصلت اليه من نتائج ولا اعي خلال ذلك الاحاطة بما بدأت به ولكن ابتدئ ولعل غير يدرك الاحاطة في مثل هذا الموضوع راجيا من القاري الكريم الصفح عن الزلل والخطأ فيما قلت ان ادرك ذلك مني فانا لست الا كعابر سبيل دلوت بدلوي علني ارتوي مما ترته لنا النصوص المباركة للائمة فضلا عن الاقلام التي سبقتنا راجيا من الله التوفيق والسداد والله من وراء القصد والحمد لله اولا واخرا .

المبحث الاول

الكوفة معناها ونشأتها وتاريخها

وهي ثاني مدينة مصّرت في الإسلام بعد الفتح الإسلامي ، والكوفَةُ: الرملة الحمراء، وبها سمّيت الكوفَةُ[١]لما تمتاز رملها بالحمرة .

وقيل ان الكُوفةُ، بالضم: الرّمْلَةُ الحَمْراءُ المُسْتَديرَةُ، أو كلُّ رَمْلَةٍ تُخالِطُها حَصْباءُ، وقيل: كان اسمها قديما " كوفان " ومن كلامهم " تركتهم في كوفان " أي في رمل مستدير وهي من مدن العراق الكُبْرَى، وقُبّةُ الإسلام، ودارُ هِجْرَةِ المُسْلِمينَ، مَصّرَها سَعْدُ بنُ أبي وقّاصٍ، وكانَ مَنْزِلَ نوحٍ، (عليه السلامُ)، وبني مَسْجِدَها، سُمّيَ لاسْتدارَتِها واجْتماعِ الناسِ بها، ويقال لها: كُوفانُ، ويُفْتَحُ، وكُوفَةُ الجُنْدِ، لأَنّهُ اخْتُطّتْ فيها خِطَطُ العَرَبِ أيّامَ عُثمانَ، خَطّطَها السائِبُ بنُ الأَقْرَعِ الثّقَفِيُّ [٢].

يقال: تكوف القوم: إذا اجتمعوا واستداروا. وقيل: الكوفة هي الرملة الحمراء، وبها سميت الكوفة[٣].وفي حديث سعد، لما أراد أن يبني الكوفة قال " تكوفوا في هذا الموضع " أي اجتمعوا فيه، وبه سميت الكوفة.[٤] وجاء في ان الـ (كوف) الكاف والواو والفاء أصيل يقولون: إنّه يدلّ على استدارةٍ في شيء. قالوا: تكوّفَ الرّملُ: استدارَ. قالوا: ولذلك سمّيت الكُوفةُ [٥]

يقول الطبري : والكوفة على حصباء وكل رملة حمراء. يقال لها سهلة وكل حصباء ورمل هكذا مختلطين فهو كوفة.[٦] و في تاج العروس سميت بالكوفة لاستدار

ويرى اكثر الباحثين ان تاريخ هذه المنطقة يرجع إلى عصور قديمة، وقد بُنيت فيها قصورٌ وأديرةٌ ومعابدُ وقلاع ، ويذكر المؤرخون أنّ الملك البابلي (بختنصر ٦٢٦ ـ ٥٣٩ ق.م) بنى حَيْرا على النجف وحصّنه ثمّ ضمّ القبائل العربية فيه. وكان ملوك المناذرة وبعض أدباء الحيرة وشعرائها، كعدي بن زيد العبادي وغيره، قد اتخذوا من النجف متنزهاً لهم ومسكناً ومعتكفا؛ لطيب هوائها وكثرة أنهارها وأشجارها، حتّى سمّيت بـ(خدّ العذراء)، وقد سكن السريان في أطرافها، وأنشأ اليعاقبة مركزا دينيا فيها، فكان عددٌ من أدباء الحيرة يجيدون الفارسية والسريانية واليونانية[٧] ، ويُقال إنّ الخط الكوفي يرجع في أصوله إلى الخط الحيري، وإنّ السريان كانوا وثيقي الصلة بالثقافة الإغريقية، وإنّ كثيرا من عرب الحيرة قد نفذوا إلى هذه الثقافة، بعد أن تعلّموا السريانية ومن ثمّ انتقلت هذه الثقافة إلى الكوفة، بعد أن مُصِّرت في عام (١٧هـ). والكوفة مدينة عراقية تقع على ساحل نهر الفرات مصرها القائد العربي المسلم (سعد بن اي وقاص) بعد موقعة القادسية سنة (٢٧هـ-٦٣٩م) بأمر من الخميفة عمر بن الخطاب لتصبح من أهم المدن العربية الاسلامية[٨]

ويقال أيضاً إن الإمام علي كان إذا أقبل على الكوفة يقول[٩]:

يا حبذا مقامنا بالكوفة أرض سواء سهلة معروفة
تعرفها جمالنا العلــوفة.

وقد ذكرت المصادر التاريخية والجغرافية اسماء عديدة لمدينة الكوفة واسباب هذه التسمية قيل أنها سميت بالكوفة هو نسبة إلى تل صغير في وسطها، يقال لو كوفان، وربما سميت بهذا الاسم نسبة الى تل (ساتيدما) التي تحيط بها كالكخافة عليها وقيل أيضاً أنها أختطت في منطقة أسمها كويخة بن عمر [١٠]

ويبدوا من خلال النصوص التاريخية ان من اختار الكوفة في تكون محل لسكنى الجيش بعدما كانوا يعانون من تغيير احوال المكان على العسكر اذ بيئة العراق تختلف عن بيئة الحجاز اذ كتب الخليفة عمر: أن ابعث سلمان وحذيفة رائدين فليرتادا منزلاً برياً بحرياً ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر. فأرسلهما سعد، فخرج سلمان حتى يأتي الأنبار فسار في غربي الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة، وسار حذيفة في شرقي الفرات

لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة، وكل رمل وحصباء وخصاص خلال ذلك، فأعجبتهما البقعة فنزلا فصليا ودعوا الله تعالى أن يجعلها منزل الثبات [١١] وقيل ان الذي دلهم على موضعها ابن بقيلة، قال لسعد: أدلك على أرض لله ارتفعت من البق وانحدرت عن الفلاة! فدله على موضعها، وقيل غير ذلك[١٢]

لقد كان المجتمع الكوفي وريث المجتمع الحيري ذلك المجتمع الذي عرف بالرقي الحضاري والفكري فحلت الكوفة محلها، وكانت مدينة الحيرة الخاضعة للحكم الفارسي قدجعلوها مرفأً تجارياَ للسفن وحاضرة ثقافية[١٣].

وقد شُجع الناس للرحلة إليها وسكنها، مما أدى إلى إندماج الثقافات المتعددة، فكان سكان هذه المدينة خليطاً من الفرس والعرب من أهل اليمن والمسيح واليونان[١٤] ، وكانت تقام بها المجالس العلمية وبها تذكر الأخبار والقصص وفنون الخط والكتابة وحلقات الشعر. وقد ورثت الكوفة كل هذا الكم الكبير من الثقافات وأطرتها بألاطر الإسلامية[١٥].

مما يجعلنا نقررإن المجتمع الكوفي أرقى ثقافياً من المجتمعات الإسلامية الاخرى حتى قيل ورثت الكوفة عن الحيرة الحضارة التي تميز أهلُها بِأنهم أرقى عقلاً وتمدناً من عرب الجزيرة، بالإضافة إلى ما كانت لدى الحيرة من عقليات وثقافات متعددة ، ففيها الأثر الفارسي المعروف بالقدم الحضاري، وكان الفرس يجلبون الأسرى اليونان وفيهم الطبيب والمهندس[١٦]، وبقي أثر هؤلاء واضحا حتى إنه في حكومة الإمام علي شكى الناس إليه قائلين: ((غلبتنا هذه الحمراء على قربك- يعني العجم))[١٧].

وقد وفد إليها أصناف العلماء عند تمصيرها ونزول الصحابة فيها فأصبحت ((الكوفة لا مثيل لها في أمصار المسلمين في كثرة فقهائها، ومحدثيها والقائمين بعلوم القرآن، وعلوم اللغة العربية، بعد أن إتخذها علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عاصمة الخلافة، وبعد أن إنتقل أقوياء الصحابة ... وفقاؤهم إليها...))[١٨]

المبحث الثاني

اسباب اختيار الكوفة عاصمة الخلافة الاسلامية

أختلف المؤرخون في اسباب اختيار الامام علي بن أبي طالب(ع)مدينة الكوفة عاصمة للخلافة الاسلامية بدلا من المدينة المنورة في القرن الأول الهجري، وهذا الاختلاف ناشئ عن اختلاف وجهات النظر التي جاءت لاختلاف وجهة نظر المصادر والمراجع والباحثين على مر العصور.

هناك مجموعة من العوامل التي دعت أمير المؤمنين للإنتقال من المدينة المنورة إلى الكوفة واتخاذها عاصمة لحكمه، منها:

اولا : ضعف العامل الاقتصادي في كل من المدينة المنورة ومحطيها الإقليمي بنحو لايؤهلها لتحمل مسؤولية تأمين الدعم الاقتصادي لمعاركه الثلاث ضد الناكثين والقاسطين والمارقين، على العكس من الكوفة التي فيها ما يؤهلها لدعم المعركة وأسناد الجند بشكل جيد.فقد كان الامام علي عليه السلام يدرك حجم خطورة الموقف الاقتصادي الذي يمر به نظام الحكم الاسلامي لذا اختار هذا الانتقال الذي رغم صعوبته الا انه كان يمثل جزءا من الحل لذا اختاره عليه السلام ..

ثانيا : ضعف العنصر السكاني في المدينة فانّ عدد سكان المدينة لا يمكنها من إعداد قوّة قتالية كبيرة بإمكانها مواجهة العساكر الأموية في الشام، في حين نرى الكوفة قادرة بطبيعتها السكانية على تلبية هذه الحاجّة الضرورية. ودليل ذلك ان الامام علي عليه السلام في حروبه ضد الفات الثلاث من المسلمين الناكثين والقاسطين والمارقين كان جل جيشه من اهل العراق اي من الكوفة ومن حولها من البلدات الاخرى .

ثالثا : يوجد في المدينة من هو بعيد عن أمير المؤمنين فكراً وولاءً، بل يرى نفسه بإزاء أمير المؤمنين من ناحية المنزلة الدينية والسياسية، على العكس من المجتمع الكوفي . فيروى ان الامام علي عندما خرج لحرب الجمل كان معه – على ما يذكر ابن قتيبة – ٩٠٠ رجلاً من الأنصار والمهاجرين فقط بينما باقي الجيش [١٩]

ويروى ايضا في وخبر محمد بن مسلم عن الباقر (عليه السلام) (ازدحم الناس يوم الجمعة في إمرة علي (عليه السلام) بالكوفة فقتلوا رجلا فودى ديته إلى أهله من بيت

مال المسلمين).[٢٠] ان في الحديث دلالة على كثرة تزاحم الناس يوم الجمعة وهذا يعكس لنا حالة الاقبال من المجتمع اتجاه امير المؤمنين عليه السلام ويشعر ان خطابه كان ذا تأثير نافع للمجتمع بحيث تتزاحم عليه الرجال واامير المؤمنين كان يعلم ذلك الامر لذا كان خياره نقل الخلافة الى الكوفة

رابعا : اراد امير المؤمنين عليه السلام ان يجسد روح التضحة في ترك موطنه والهجرة الى بلد اخر ويشعر بذلك المسلمين ان الاسلام وما جاء به يستحق الهجرة والتضحية اذ كان فيمن سبقه غلبت على المجتمع المدني فيمن سبقه روح الدعة والميل للحياة الرغيدة مما جعلهم بعيدين عن روح التضحية والفداء وقطع البراري والقفار كدعاة ومبلغين للرسالة وحاملين سلاح الدفاع عن قيم الرسالة.

خامسا : كثرة الصحابة الذين اختاروا السكن في الكوفة دون سائر البلدان الإسلامية. فقد كان ١٤٩ صحابياً ، منهم سبعون ممّن شهد بدراً وبيعة الرضوان. وقيل ثمانمائة من الأنصار وأربعمائة ممن شهد بيعة الرضوان[٢١]

سادسا : تمتع الكوفة على موقع جغرافي استراتيجي يجعلها تحتل موضع القلب للعالم الإسلامي بين إيران والحجاز والشام ومصرفضلا عن طبيعتها فقد يروى ان ملوك المناذرة وبعض أدباء الحيرة وشعرائها، كعدي بن زيد العبادي وغيره، قد اتخذوا من النجف متنزهاً لهم ومسكناً ومعتكفا؛ لطيب هوائها وكثرة أنهارها وأشجارها، حتّى سمّيت بـ(خدِّ العذراء) [٢٢] فقد رويعن محمد بن يحيى، عن موسى بن الحسن، عن بعض أصحابه، عن ابن بقاح، عن هارون بن الخطاب، عن أبي الحسن الرسان، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث أنه قال له: يا أهل الكوفة لقد فضلتم الناس في المطعم بثلاث: سمككم هذا البناني، وعنبكم هذا الرازقي، ورطبكم هذا المشان[٢٣] والحديث يشعر بوضوح على وفرة الخير الذي كان يشير اليه الامام علي والذي كان احد الاسباب التي جعلت الامام علي يختار الكوفة كعاصمة .

وكثير ما كان امير المؤمنين يصرح بفضل هذه المدينة اذ كان يدرك عظم امرها فقد جاء في الوسائل عن ابي جعفر عليه السلام قال : قال امير المؤمنين (عليه السلام): (وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين) قال : الربوة : الكوفة ، والقرار : المسجد ،

والمعين : الفرات [٢٤].وليس هذا فحسب فقد كان يسمع من رسول الله كثيرا مما ورد في فضل هذه البلدة اذ روي عن أبي الحسن الاول عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله تبارك وتعالى اختار من البلدان أربعة فقال عز وجل: " والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الامين " فالتين المدينة والزيتون بيت المقدس وطور سنين الكوفة و هذا البلد الامين مكة[٢٥]

عن الإمام الباقر نقلاً عن النبي الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم)أنه قال: طينة أمتي من المدينة وطينة الشيعة من الكوفة[٢٦]

كل هذه الاخبار وغيرها كان يدرك امرها امير المؤمنين عليه السلام حق الادراك لذا كان لزاما عليه ان يهاجر اليها

المبحث الثالث

الكوفة عاصمة الخلافة الاسلامية وعلاقته بالظهور المقدس للامام المهدي عجل الله فرجه الشريف

ذكرت الروايات الشريفة أن مركز حكم الإمام (عليه السلام) أو قل: عاصمة دولته، هي الكوفة المقدسة ، فقد ورد أن المفضل بن عمر سأل الإمام الصادق (عليه السلام) فقال له: يا سيدي فأين تكون دار المهدي ، ومجتمع المؤمنين ؟ قال (عليه السلام): دار ملكه الكوفة ، ومجلس حكمه جامعها[٢٧]

فالكوفة هي البلد الذي سيأخذ الدور الأول في حركة الإمام المهدي (عج) وأنها ستكون عاصمة حكمه وسيكون لمسجدها ولمسجد «السهلة□ القريب منها دور طليعي رائد. وذلك لأن الإمام المهدي (عج) عندما يحرّر الحجاز والعراق سيتخذ الكوفة مقرّاً لحكمه حيث يعقد للجيوش ويبعث بها إلى البلاد لفتحها والقضاء على الحكّام الظالمين فيها.

عندما تذكر الروايات الكوفة أو ظهر النجف ، فقد يكون المقصود بها العراق . لذلك يحتاج الأمر إلى التدقيق في القرائن التي تعين المقصود بالكلمة . وأما دولة الإمام(عج) فهي بداية لتطور جديد في حياة البشرية ، وليس عندنا معلومات كثيرة عن شكل الدولة وأنظمتها، لكن عندنا أصحابه الثلاث مئة وثلاثة عشر الذين يحكمون العالم ، ومعناه أن العالم سيُقسَّم إلى ٣١٣ ولاية .

وتصف الأحاديث كيفية دخول الإمام (عج) للكوفة؛ ففي الحديث عن أبي جعفر ـ الباقر ـ(ع) أنّه قال: «كأني بالقائم على نجف الكوفة، قد سار إليها من مكة في خمسة آلاف من الملائكة، جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن شماله والمؤمنون بين يديه وهو يفرّق الجنود في البلاد...». [٢٨]

وعندنا أن الإمام(عج) يحكم بالواقع كحكم آل داود ، يعني بالحكم الذي أظهر الله سبحانه وتعالى منه نموذجاً لداود وهو الحكم الذي يريه الله تعالى إياه فلا يحتاج معه إلى بينة ويمين[٢٩].وإذا قام قائم آل محمد (عج) حكم بين الناس بحكم داود(ع) لا يحتاج فيه إلى بينة يُلهمه الله تعالى فيحكم بعلمه ، ويُخبر كل قوم بما استبطنوه ويعرف وليَّه من عدوه بالتوسم [٣٠].

وأصحاب الإمام(عج) كذلك يعطيهم الله هذه القدرة ، فهم على مستوى عظيم من الإيمان والقرب من الله تعالى . وقد ورد أن الإمام يقول لحاكم المنطقة من أصحابه إذا أشكل عليك أمر في القضاء ، في قضية ، في الفقه ، في أمر إداري ، فانظر الى كفك [٣١].

إنّ المهدي(عج) يدخل الكوفة ويصلي فيها فيضيق المكان بالناس عندها يسأله الناس مكاناً أوسع فيأمر أن يُخطّ له مسجد فيه ألف باب كي يقدر الناس على الدخول والخروج دون فوضى أو ازدحام.

وفي الحديث عن أبي جعفر(ع): (يدخل الكوفة وبها ثلاث رايات قد اضطربت فتصفو له ويدخل حتى يأتي المنبر فيخطب فلا يدري الناس ما يقول من البكاء). وفي حديث آخر يشبه التكملة لهذا الحديث: «فإذا كانت الجمعة الثانية قال الناس: يا ابن رسول الله الصلاة خلفك تضاهي الصلاة خلف رسول الله(ص) والمسجد لا يسعنا فيقول: أنا مرتاد لكم فيخرج إلى الغريّ ـ وهي النجف الأشرف ـ فيخط مسجداً له ألف باب يسع الناس. وعن المفضّل وقد سأل الإمام الصادق(ع): قلت: (يا سيدي، فأين تكون دار المهدي ومجتمع المؤمنين؟ قال: دار ملكه الكوفة ومجلس حكمه جامعها وبيت ماله ومقسم غنائم المسلمين مسجد السهلة وموضع خلواته الذكوات البيض بين الغريين. قال المفضل: يا مولاي، كل المؤمنين يكونون بالكوفة؟ قال: إي والله، لا يبقى مؤمن إلا كان بها أو حواليها وليبلغن مجالة فرس منها ألفي درهم...)[٣٢]

أما عن سبب اختياره لخصوص هذه المدينة، فنحن وبعد إيماننا بعصمة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) الأمر الذي يستلزم القول بأن اختياره لها لا بد أن تكون له حكمة بالغة، وإن خفيت علينا، ..لكن مع ذلك يمكن استكشاف شيء من تلك الحكمة من خلال بيان شيء عن الكوفة غيبياً وتاريخياً أما من الجانب الغيبة فإن هناك العديد من الروايات الشريفة التي تشير وتؤكد على أن للكوفة فضلاً على سائر البقاع، وعلى أنها من البلدان الطيبة وأنها من أراضي الجنة... فعن أبي أسامة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: الكوفة روضة من رياض الجنة فيها قبر نوح وإبراهيم، وقبور ثلاثمائة نبي وسبعين نبيا وستمائة وصي وقبر سيد الأوصياء أمير المؤمنين عليه السلام[٣٣].وفي نفس المقام ورد عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: ان الله احتج بالكوفة على سائر البلاد، وبالمؤمنين من أهلها على غيرهم من أهل البلاد....

وغيرها من الروايات الكثيرة في هذا المجال، هذا فضلاً عن الروايات العديدة في فضل مساجدها والصلاة فيها، وأنها من اماكن التخيير في الصلاة، وأن من أرادها من الجبابرة بسوء قصمه الله [٣٤] ويخاطب الامام علي عليه السلام الكوفة وهو يدرك ما سيحل بها فيقول : (كأني بك يا كوفة تمدين مد الأديم العكاظي تعركين بالنوازل وتركبين الزلازل وإني لاعلم أنه ما أراد بك جبار سوءا إلا ابتلاه الله بشاغل، ورماه بقاتل)[٣٥]

أما من الجانب التاريخي، فإن الشواهد التاريخية الكثيرة تؤكد على أن الكوفة كانت ولا زالت من أهم أماكن تواجد الشيعة المخلصين، رغم ما مر بها من محن وانتكاسات في بعض الأحيان، فعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إن ولايتنا عرضت على السماوات والأرض والجبال والأمصار ما قبلها قبول أهل الكوفة)[٣٦]

والكوفة حرم الله وحرم رسوله وحرم علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الصلاة في مسجدها بألف صلاة، والدرهم فيها بألف درهم))[٣٧] ولذا فقد اختارها أمير المؤمنين (عليه السلام) عاصمة لدولته دون غيرها من المدن، واختارها الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) كذلك قبل الصلح، واختارها الإمام الحسين (عليه السلام) على غيرها من الخيارات المتاحة له آنذاك، كاليمن وأعالي الحجاز ومكة وغيرها...

على أن التاريخ يشهد أن الكوفة بقيت على تشيعها رغم ما مر بها من مآسي ورغم قصد الطغاة لها دائماً، وهي بهذا تختلف عن مدن عرفت بالتشيع لكن ما أن داهمها الخطر حتى نزعت ثوب التشيع، كمصر، فإنها كانت يوماً ما عاصمة للدولة الفاطمية، ولكن ما أن دخلها صلاح ﴿خراب﴾ الدين وخرب أراضيها وقتل أهلها وأحرق مكتباتها حتى تحولت إلى المذهب الشافعي السني... علماً أن الدماء التي أريقت في مصر لا يمكن قياسها بما أريق في الكوفة من دماء!

هذا فضلاً عن أن الكوفة ستكون هدفاً للقوى المتعددة في عصر الظهور، فالسيطرة عليها تعني السيطرة على فئة مهمة من الناس كان لهم الدور البارز على مسرح الأحداث وتحديد مجرى التاريخ منذ الصدر الأول للإسلام...

إن موقع العراق بالنسبة لحركة الإمام وموضع العراق، فيه جملة من الأبعاد المهمة التي سوف تتحقق في هذه البقعة المباركة، فإن عاصمة دولة الإمام عجل الله فرجه الشريف هي العراق وبالخصوص الكوفة، الكوفة معقل الإمام وبيت الإمام، لذلك عندنا في بعض الروايات أن مسجد سهيل ـ أي مسجد السهلة ـ هو بيت الإمام[٣٨] طبعاً هذا الموضوع كيف يكون مسجداً وبيتاً موضوع لطيف وطريف وفيه من المعالم العقائدية والفكرية التي تحتاج إلى تفصيل، كيف كان مسجد النبي بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ وبيت فاطمة عليها السلام في المسجد؟ ولذلك سدّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل الأبواب التي كانت تطل علي المسجد إلاّ بيت علي عليه السلام [٣٩]، لأن بيت علي هو بيت النبي وهو المسجد ـ أي لا فرق بين بيت علي والمسجد ـ لأنّ إرادة الله شاءت أن تكون للإمامة موقعها الخاص، وهذا يحتاج إلى تفصيل، وأن مسجد السهلة سوف يكون بيت الإمام، وفي هذا البيت سوف تشدّ الرايات للإمام المهدي، أي أن مركز الحرب يبتدئ هناك، والسبب في ذلك هو أنّ هذا الشعب بإرادة الله تبارك وتعالى سوف يبلغ القمة في التمحيص.

عندنا روايات تتحدّث عن الآية الكريمة)وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَراتِ(ثم الآية تقول:)وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ[٤٠] الإمام الصادق عليه السلام يقول: إن هذه خاصّة بأهل العراق[٤١] يعني أن هذه العلامات، التي هي

علامات الضغط، نقص في الأموال والثمرات ثم القتل والدمار والدم الذي سال في العراق وعلى أرض العراق.

وان المتتبع لتاريخ الكوفة نجد انها تعرضت لكثير من النكبات وجرت الويلات من قبل حكام الجور التي حكمتها ، فعندما نقرأ أن عاصمة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه سوف تكون في العراق وتكون في الكوفة، عندما نقرأ أن مرحلة تحرك الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه تكون من الكوفة أو من العراق فلابد أن يكون المجتمع في ذلك الموقع قد تحمل كل الامتحانات ولم يسقط أمامها، وتحمل كل الهموم ولم يسقط أمامها.

هذا المجتمع الذي لم يسقط أو الذي خرج من الامتحان ناجحاً يكون مؤهلاً لقيادة البشرية وقيادة العالم، فلذلك لأجل أن يكون هذا المجتمع القائد والمجتمع الرائد الذي يقوم بمرحلة هداية البشرية، لابد أن يكون قد مر بالامتحانات السابقة الصعبة وقد خرج منها ناجحاً. فيكون اهل العراق اسعد الناس بظهور الامام المهدي على ما جاء في الخبر فقد روي ، ان (إن أسعد الناس بالمهدي أهل الكوفة)[٤٢] وهذا كله يعني أن للكوفة أثراً تكوينياً مهماً عند الله تعالى، مما يعني وجود حكمة مهمة عنده جل وعلا جعلته يأمر بأن تكون الكوفة عاصمة لدولة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه).

مُلَخَّصُ البَحْث :

قَدْ مُرْ المُجْتَمعَ الإِسْلَامِيَّ مُنْذُ بَعْثَةِ الرَّسُولِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاَلَهُ) إِلَى عِدَّةٍ مِنْ المُنْعَطَفَاتُ الَّتِي كَانَ لَهَا انْعكَاسَاتٌ وتخرصات تَظْهَرُ لِلفَرْدِ وَلِلمَجْمُوعَةِ مِنْ خِلَالِ القَوْلِ وَالفِعْلُ ، وَمِنْ بَيْنَ هَذِهِ المُنْعَطَفَاتُ مَثَلًا تَغْيِيرُ القِبْلَةِ فِي حَيَاةِ الرَّسُولِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاَلَهُ) مِنْ بَيْتِ المُقَدَّسِ إِلَى الحَرَمِ المَكِّيِّ وَمِنْهَا أَيْضًا الهِجْرَةَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ وَمِنْ هَذِهِ الانْعطَافَاتُ الأُخْرَى هُوَ نَقَلَ مَرْكَزَ الخِلَافَةِ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ فِي المَدِينَةِ إِلَى العِرَاقِ فِي الْكُوفَةُ فِي عَهْدِ خِلَافَةِ الأَمَامِ عَلَيَّ (عَلَيْهِ السَلَامُ) وَكُلُّ مَوْقِفٍ مِنْ هَذِهِ المَوَاقِفُ الَّتِي ذَكَّرْنَاهَا كَانَ لَهَا إِبْعَادُ إِسْتِرَاتِيجِيَّةٌ فِي مَسِيرَةِ الدَّعْوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَلَهَا أَبْعَادٌ مَا ورائية كَانَ قَدْ أَخْبَرَ بِهَا اللهَ نَبِيهُ الكَرِيمُ مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاَلَهُ)، فَكُلُّ خُطْوَةٍ فِي تِلْكَ المَسِيرَةُ المُبَارَكَةُ كَانَتْ مُحْكَمَةَ غَايَةِ الأَحْكَامِ لِأَنَّ الإِخْفَاقُ كَانَ يُكَلِّفُ الكَثِيرَ فِي تِلْكَ اللَّحَظَاتِ

المَصيريَّةُ للأُمَّة فهُوَ ﴿لا ينْطِقُ عَنْ الهوَى إنْ هُوَ إلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ وخلَالَ هَذه الدِّرَاسَة الَّتي نَحْنُ بصَدَد بَيَان محَاورهَا الأَسَاسيَّة والَّتي وسَمَّتْ بـ (اخْتيَارُ الْكُوفَةُ مُرَكَّزُ الخَلَافَة الإسْلَاميَّة وعَلَاقَته بالظُّهُور المُقدَّس) كَانَ لَزَامًا عَلَيْنَا إنْ نُعَرِّجُ ولَوْ بشيء بَسيط عَلَى البُعْدُ التَّاريخيُّ لهَذه المَدينَة وأَبْعَادُهَا الجُغْرَافيَّةَ لأَنْ ذَلكَ يُعدَّ جَانبًا مهْمَا يُفْصحُ جَانبًا مَا وَرَاءَ هَذَا الاخْتيَار وخلَالَ هَذَا المحْور سوْفَ أَعْرجُ ولَوْ بعجالة عَلَى النَّسيج الإجْتمَاعيُّ للكوفة أَمَّا المحْورُ الثَّاني سأُبينُ فيهُ أَهَمَّ الأَسْبَاب الَّتي وَرَدَتْ في كُتُب التَّاريخ الَّتي دَعَتْ الأَمَامَ عَلَى إلَى اخْتيَار هَذه الحَاضرَة منْ بَيْنَ حَاضرَات الدَّوْلَة الإسْلَاميَّةُ يوْمئذ وبشَيْء منْ التَّحْليل. إمَّا المحْورُ الثَّالثُ الَّتي يُمثِّلُ البُعْدُ الماورائي لهَذه الدِّرَاسَة في بَيَان مَا لهَذَا الانْتقَال منْ إبْعَاد في مسْأَلَة مُهمَّةٌ ينْشُدُهَا الكَثيرُ وكُلٌ يُدْعَى الانْتسَابَ لَهَا وهي مسْأَلَةُ ظُهُور الأَمَام المُهْدَى فَهَلْ لهَذَا الانْتقَالُ إثْرَ وتَأْثيرٌ في الظُّهُور المُبَارَكُ للأَمَام المُهْدَى سأُبينُ ذَلكَ مُستَعينًا بمَا وَرَدٌ منْ رواياتُ أَهْلِ البَيْت. وفي الختَام اُدْعُوا اللهَ أَنْ أُوفِّقَ في بَيَان ذَلكَ منْ خلَال هَذه الدِّرَاسَة دَاعيًا أَنْ تَكُونَ فَاتحةٌ لدرَاسَات جَديدَة فَكُلُّ شَيْء في التَّاريخ لَهُ انْعكَاسَاتٌ قَدْ تَكُونُ اليوْمَ أَوْ غَدًا لذَا يَجبُ عَلَيْنَا أَنْ نُبْنَى حَاضرنَا بمَا يَليقُ أَنْ يُكَوِّنَ ذَا انْعكَاسَات إيجَابيَّة لأَبْنَائنَا في يوْم مَا نَكُونُ منْ تَاريخ يَرْوي والحَمْدُ لله أَوَّلًا وأُخْرًا ، وَصلِّي اللهَ عَلَى خَيْرٍ خَلَقَهُ مُحَمَّدٌ وَالَهُ الطَّيِّبيْنِ الطَّاهرِيْنِ

الهوامش:

---

[١] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ ، ٤ / ١٤٢٤ .

[٢] القاموس المحيط المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ١ / ٨٥٢

[٣] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، دراسة و تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العلمية – بيروت ، ٨ / ١٨٦

[٤] جمهرة اللغة المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) المحقق: رمزي منير بعلبكي الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م ، ٢ / ٤٦

[٥] المزهر في علوم اللغة وأنواعها المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: فؤاد علي منصور الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م ، ١ / ١٢٤

[٦] تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ) الناشر: دار التراث - بيروت الطبعة: الثانية - ١٣٨٧ هـ ، ٤ /٤١

[٧] تاريخ الطبري :٢٨/٢، و الكامل في التاريخ المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) تحقيق: عمر عبد السلام تدمري الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ٣٤٠/١، و معجم البلدان المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) الناشر: دار صادر، بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م ، ١٧٠/١، والمفصل في تاريخ النجف الاشرف تأليف: الدكتور حسن عيسى الحكيم الناشر: المكتبة الحيدرية الطبعة: الاولى ٢٠٠٧ م ، ١ / ١٠

[٨] تاريخ مسجد الكوفة: طعمة عبد الرزاق، مطبعة نعمان-النجف / ١٢.

[٩] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤/ ٤٩٣

[١٠] فتوح البلدان المؤلف: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفى: ٢٧٩هـ) الناشر: دار ومكتبة الهلال- بيروت عام النشر: ١٩٨٨ م/ ٣٧٥

[١١] الكامل في التاريخ ، ابن الاثير ، ١ / ٤٣٧

[١٢] المصدر نفسه ، ١ / ٤٢٣

[١٣] مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين بن علي المسعودي، (ت: ٣٤٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الأنوار للطباعة والنشر، (بيروت- ٢٠٠٩م)، ٢/ ٧٣.

[١٤] تاريخ الكوفة تأليف: السيد حسين بن السيد احمد البراقي النجفي حرره واضاف اليه واكثر المواضيع المهمة: السيد محمد صادق بحر العلوم تحقيق: سعيد راد رحيمي تقديم: الشيخ محمد رضا المظفر الناشر: دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة ١٩٨٧م / ١٦٦-١٦٧.

[١٥] خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي، (ت: ١٠٩٣هـ)، تحقيق: محمد نبيل طريفي وأميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، بيروت- ١٩٩٨م ، ٩ / ٣٦٦-٣٦٧.

[١٦] فجر الاسلام، احمد أمين، ط١٠، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بيروت- ١٩٦٩م /١٧-١٨.

[١٧] شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، عز الدين بن هبة الله بن محمد، (ت: ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، قم- ١٩٦٧م ، ٢ / ٢٨٤ و الصلات بين العرب والفرس والترك، المصري، حسين مجيب، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة- ٢٠٠١م /٤٦.

[١٨] سؤلات محمد بن عثمان بن أبي شيبة لعلي بن المديني في الجرح والتعديل ، ابن المديني، علي بن عبد الله بن جعفر، (ت: ٢٣٤هـ) ، تحقيق: موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة المعارف، الرياض – ١٩٨٤م، مقدمة المحقق /١٤ و نصب الراية تخريج أحاديث الهداية عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، (ت ٧٦٢هـ)، ، تحقيق: أيمن صالح شعبان، مطبعة الوفاء ، القاهرة- ١٩٩٥م ، مقدمة المحقق ، ١ /٢٥.

[١٩] كتاب الامالي تأليف: شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي تحقيق وتصحيح: بهراد الجعفري - الاستاذ علي اكبر الغفاري الناشر: دار الكتب الاسلامية الطبعة: الاولى: ٧٢٦ / ١٥٢٧ ، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عدد الأجزاء: ٣ طبعة مؤسسة النشر الاسلامي - قم – ايران ، ١ / ٤٠١ / ٣٥٠ ؛ مروج الذهب : ٢ / ٣٦٧، تاريخ الإسلام ، وذيله؛ المؤلف: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي أبو عبد الله شمس الدين؛ المحقق: عمر عبد السلام تدمري؛ حالة الفهرسة: غير مفهرس؛ الناشر: دار الكتاب العربي؛ سنة النشر: ١٤١٠ - ١٩٩٠: ٣ / ٤٨٤

[٢٠] جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام تأليف: الشيخ محمد حسن النجفي حققه وعلق عليه: الشيخ عباس القوجاني الناشر: دار احياء التراث العربي - بيروت لبنان : ٢٤ /٦٣٢

[٢١] تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية ، محمد سهيل طقوش ، الناشر: دار النفائس ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م / ٤٤٣

[٢٢] تاريخ الطبري ، ٢٨/٢، والكامل في التاريخ، عز الدين بن الأثير: ٣٤٠/١، ومعجم البلدان، ياقوت الحموي، والمفصّل في تاريخ النجف الأشرف، د. حسن عيسى الحكيم:١٠/١.

[٢٣] وسائل الشيعة. وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة - تأليف : المحدث الشيخ محمد بن الحسن (الحر العاملي) - تحقيق:مؤسسة آل البيت(ع)لاحياء التراث - الموضوع : حديث - طبع ونشر : مؤسسة آل البيت لاحياء التراث - أيران ، قم : ٥٢ / ٦٤١

[٢٤] المصدر نفسه : ١٣ / ٣٤٧

[٢٥] بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار تأليف العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي " قدس الله سره " الجزء الثامن والتسعون مؤسسة الوفاء بيروت - لبنان الطبعة الثانية المصححة ١٤٠٣ هـ. ١٩٨٣ م: ٩٦ /٣٨٣

[٢٦] المصدر نفسه : ٩٧ / ٢٥٥.

[٢٧] بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ٥٣ / ١١

[٢٨] الارشاد في معرفة حجج الله على العباد. قسم الشيخ المفيد، مكتبة الحديث وعلومة. كتاب: الارشاد في معرفة حجج الله على العباد تأليف: الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان البغدادي نشر وتحقيق: مؤسسة ال البيت عليهم السلام لاحياء التراث الطبعة: الاولى ١٩٩٥ : ٢ / ٣٧٩.

[٢٩] المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي (عج) تأليف : الشيخ علي الكوراني العاملي. دار المرتضى - بيروت. الطبعة : الثانية ١٤٢٧ هـ /٧٣٠ ، و و بصائر الدرجات. المؤلف: محمد بن الحسن الصفار. الجزء: الوفاة: ٢٩٠.. تحقيق: تصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي. المطبعة: مطبعة الأحمدي - طهران. الناشر: منشورات الأعلمي - طهران ، سنة الطبع: ١٣٦٢ - ١٤٠٤ ش. / ٢٥٨ .

[٣٠] الإرشاد ، الشيخ المفيد : ١/ ٣٦٥ ، روضة الواعظين. قسم الشيخ محمد بن الفتال النيشابوري، مكتبة المعصومين الاربعة عشر. كتاب: روضة الواعظين تأليف: الشيخ محمد بن الفتال النيشابوري تحقيق: غلام محسن المجيدي - مجتبى الفرجي الناشر: منشورات دليل ما الطبعة: الاولى ١٤٢٣هـ : ٢ / ٢٦٦ .

[٣١] المعجم الموضوعي لأحادیث الإمام المهدي(عج) : ٣٥٩ - ٧٢٩ .

[٣٢] بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٥٣ / ١١.

[٣٣] وسائل الشيعة : ١٤ / ٣٨٧

[٣٤] تاريخ الكوفة ، السيد البراقي : ص ٦٨ ـ ٦٩

[٣٥] نهج البلاغة ،

[٣٦] تاريخ الكوفة ، السيد البراقي / ٦٧

[٣٧] فضل الكوفة ومساجدها تأليف محمد بن جعفر ألمشهدي الحائري " من أعلام القرن السادس " الهجري تحقيق محمد سعيد ألطريحي دار المرتضى بيروت ـ الغبيري / ١٢

[٣٨] الكافي للشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت. ٣٢٩ هـ) ، تحقيق: تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري. الطبعة: الخامسة. سنة الطبع: ١٣٦٣ ش. المطبعة: حيدري. الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران - ايران. : ٣ / ٤٩٤، باب (مسجد السهلة).

[٣٩] يشير إلى ذلك ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «سدوا الأبواب كلها إلا باب علي، وأومى إلى باب علي»، راجع ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال المؤلف: علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: ٩٧٥هـ) المحقق: بكري حياني - صفوة السقا الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ /١٩٨١ م : ١٣/ ١٣٦، ح ٣٦٤٣٢.

[٤٠] سورة البقرة ، الاية : ١٥٥.

[٤١] الغيبة تأليف الشيخ الاجل ابن أبي زينب محمد بن ابراهيم النعماني من اعلام القرن الرابع تحقيق: على اكبر الغفاري مكتبة الصدوق " طهران ": ٢٥٠، الباب ١٤، ح ٥ وح٦ وح٧

[٤٢] معجم أحاديث المهدي ، الكوراني : ٣٣١

مصادر ومراجع البحث :

-القران الكريم

١.الارشاد في معرفة حجج الله على العباد. قسم الشيخ المفيد، مكتبة الحديث وعلومة. كتاب: الارشاد في معرفة حجج الله على العباد تأليف: الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان البغدادي نشر وتحقيق: مؤسسة ال البيت عليهم السلام لاحياء التراث الطبعة: الاولى ١٩٩٥

٢.بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار تأليف العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي " قدس الله سره " الجزء الثامن والتسعون مؤسسة الوفاء بيروت - لبنان الطبعة الثانية المصححة ١٤٠٣ هـ. ١٩٨٣م

٣.تاريخ الإسلام ، وذيله؛ المؤلف: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي أبو عبد الله شمس الدين؛ المحقق: عمر عبد السلام تدمري؛ حالة الفهرسة: غير مفهرس؛ الناشر: دار الكتاب العربي؛ سنة النشر: ١٤١٠ – ١٩٩٠

٤.تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية ، محمد سهيل طقوش ، الناشر: دار النفائس ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م

٥.تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ) الناشر: دار التراث - بيروت الطبعة: الثانية - ١٣٨٧ هـ

٦.تاريخ الكوفة تأليف: السيد حسين بن السيد احمد البراقي النجفي حرره واضاف اليه واكثر المواضيع المهمة: السيد محمد صادق بحر العلوم تحقيق: سعيد راد رحيمي تقديم: الشيخ محمد رضا المظفر الناشر: دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة ١٩٨٧م

٧.تاريخ مسجد الكوفة: طعمة عبد الرزاق، مطبعة نعمان-النجف
٨.جمهرة اللغة المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) المحقق: رمزي منير بعلبكي الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م
٩.جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام تأليف: الشيخ محمد حسن النجفي حققه وعلق عليه: الشيخ عباس القوجاني الناشر: دار احياء التراث العربي - بيروت لبنان
١٠.خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي، (ت: ١٠٩٣هـ)، تحقيق: محمد نبيل طريفي وأميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، (بيروت- ١٩٩٨م)
١١.روضة الواعظين. قسم الشيخ محمد بن الفتال النيشابوري، مكتبة المعصومين الاربعة عشر. كتاب: روضة الواعظين تأليف: الشيخ محمد بن الفتال النيشابوري تحقيق: غلام محسن المجيدي - مجتبى الفرجي الناشر: منشورات دليل ما الطبعة: الاولى ١٤٢٣هـ
١٢.سؤلات محمد بن عثمان بن أبي شيبة لعلي بن المديني في الجرح والتعديل ، ابن المديني، علي بن عبد الله بن جعفر، (ت: ٢٣٤هـ) ، تحقيق: موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة المعارف، الرياض – ١٩٨٤م
١٣.شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عدد الأجزاء: ٣ طبعة مؤسسة النشر الاسلامي - قم – ايران
١٤.شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، عز الدين بن هبة الله بن محمد، (ت: ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، (قم- ١٩٦٧م)
١٥.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧
١٦.الصلات بين العرب والفرس والترك، المصري، حسين مجيب، دار الثقافة للطباعة والنشر، (القاهرة- ٢٠٠١م)،
١٧.الغيبة تأليف الشيخ الاجل ابن أبي زينب محمد بن ابراهيم النعماني من اعلام القرن الرابع تحقيق: على اكبر الغفاري مكتبة الصدوق " طهران "

١٨.فتوح البلدان المؤلف: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفى: ٢٧٩هـ) الناشر: دار ومكتبة الهلال- بيروت عام النشر: ١٩٨٨ م
١٩.فتوح البلدان المؤلف: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفى: ٢٧٩هـ) الناشر: دار ومكتبة الهلال- بيروت عام النشر: ١٩٨٨ م
٢٠.فجر الاسلام، احمد أمين، ط١٠، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (بيروت-١٩٦٩م)
٢١.فضل الكوفة ومساجدها تأليف محمد بن جعفر ألمشهدي الحائري " من أعلام القرن السادس " الهجري تحقيق محمد سعيد ألطريحي دار المرتضى بيروت – الغبيري
٢٢.القاموس المحيط المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة
٢٣. الكافي للشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت. ٣٢٩ هـ) ، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري. الطبعة: الخامسة. سنة الطبع: ١٣٦٣ ش. المطبعة: حيدري. الناشر: دار الكتب الإسلامية – طهران – ايران.
٢٤.الكامل في التاريخ المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) تحقيق: عمر عبد السلام تدمري الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م
٢٥.كتاب الامالي تأليف: شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي تحقيق وتصحيح: بهراد الجعفري - الاستاذ علي اكبر الغفاري الناشر: دار الكتب الاسلامية الطبعة: الاولى
٢٦.كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال المؤلف: علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي

الهندي (المتوفى: ٩٧٥هـ) المحقق: بكري حياني - صفوة السقا الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م
٢٧.مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين بن علي المسعودي، (ت: ٣٤٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الأنوار للطباعة والنشر، (بيروت- ٢٠٠٩م)،
٢٨.المزهر في علوم اللغة وأنواعها المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: فؤاد علي منصور الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م
٢٩.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، دراسة و تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العلمية – بيروت
٣٠.معجم البلدان المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) الناشر: دار صادر، بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م
٣١.المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي (ع). تأليف : الشيخ علي الكوراني العاملي. دار المرتضى - بيروت. الطبعة : الثانية ١٤٢٧ هـ
٣٢.نصب الراية تخريج أحاديث الهداية عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، (ت ٧٦٢هـ)، ، تحقيق: أيمن صالح شعبان، مطبعة الوفاء ، القاهرة- ١٩٩٥م
٣٣.و بصائر الدرجات. المؤلف: محمد بن الحسن الصفار. الجزء: الوفاة: ٢٩٠.. تحقيق: تصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي. المطبعة: مطبعة الأحمدي - طهران. الناشر: منشورات الأعلمي - طهران ، سنة الطبع: ١٣٦٢ - ١٤٠٤ ش.
٣٤.وسائل الشيعة. وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة - تأليف : المحدث الشيخ محمد بن الحسن (الحر العاملي) - تحقيق:مؤسسة آل البيت(ع)لاحياء التراث - الموضوع : حديث - طبع ونشر : مؤسسة آل البيت لاحياء التراث - أيران ، قم

((المعاني الحضارية والروحية والاجتماعية لمسجد الكوفة المعظم))

- دراسة نفسيه اجتماعيه تاريخية-

أ.م.د.الهام فاضل عباس
كلية التربية للبنات / جامعة بغداد / قسم العلوم التربوية والنفسية

المقدمة:

تحتل المساجد واماكن العبادة في كل الاديان والمذاهب اهمية خاصة في تجسيد المعاني الروحية والاجتماعية والنفسية للشعوب في مشارق الارض ومغاربها على مدى العصور وباختلاف الاماكن والازمنة. لذلك فان ديننا الاسلامي الحنيف كان واحدا من الاديان الكبيرة التي اولت اهتماما كبيرا" للمساجد لما لها من اهمية قصوى في حياة الناس ،كمراكز عبادة روحية فضلا عن كونها اماكن وعظ وارشاد وتوجيه لها اهميتها الكبيرة في بلورة الجانب العبادي الروحي والنفسي لدى الانسان المؤمن من خلال اتخاذه للاسلام شرعة ومنهاجا في الامور الدينية والدنيوية.

ويعد مسجد الكوفة المعظم في العراق واحدا من اهم مساجد العراق الأثرية والتاريخية وهو من أقدم المساجد في العالم الإسلامي ، اذ بناه الصحابي سعد بن أبي وقاص في عام (١٧ هـ) ليكون أول مبنى في مدينة الكوفة .التي انشأت اول الامركمعسكر للجند في العراق اضافة الى البصرة التي سبقتها في العام ١٥ه .وقد اكتسبت الكوفة اهمية كبيرة بعد اتخاذها كعاصمة للدولة العربية الاسلامية من قبل الامام علي بن ابي طالب (ع).ليكون مسجدها هو مقر الحكم والفصل في المنازعات والتوجيه والاعداد الروحي والتربوي فضلا عن ادارة شؤون المسلمين الاخرى.

إن المساجد خير الأماكن لتربية المسلمين فإنها تلقي على الحضور دروس الإخوة المساواة يحضر فيها المسلمون ويجتمعون في مكان واحد ويقومن في صف واحد للصلاة .ومسجد الكوفة يعتبر من المساجد المهمة تاريخيا ، حيث يشعر الزائر بالراحة والاطمئنان النفسي ووجود إحساس غريب يدخل إلى القلب عند دخول هذا المكان ، فالمسلمون يزورون المسجد الأعظم من اجل التخفيف عن مشاعر القلق والحزن والخوف وذلك يحصل

بتقوية الإيمان بالله تعالى وبيوم القيامة ومن ثم الاستمرار في شحن النفس بالطاقة الايمانيه التي تقوم بدور مهم في أبعاد الإنسان عن مراكز وأجواء الانحراف .

وفي هذا البحث الذي يكشف عن المعاني الحضارية والنفسية والتربوية لمسجد الكوفة المعظم ارتأت الباحثة ان يقسم الى مقدمة ومبحثين ،كان المبحث الاول بعنوان(اطلالة تاريخية على نشأة مدينة الكوفة ودورها التاريخي) اما المبحث الثاني فكان بعنوان (الوظائف الاجتماعية والنفسية والتربوية لمسجد الكوفة في زمن الإمام علي(عليه السلام)، فضلا عن الخاتمة وقائمة بالمصادر التي تم استخدامها في البحث.

ومهما بلغ أي عمل من الدقة والاتقان فلابد انه سيكون قاصرا تماما عن الكمال فهو لله وحده سبحانه وتعالى ومنه التوفيق والسداد

المبحث الاول

اطلالة تاريخية على نشأة مدينة الكوفة ودورها التاريخي

نشأة الكوفة :-

الكوفة : هي مدينة في العراق على ساحل نهر الفرات مصرها القائد العربي المسلم (سعد ابن أبي وقاص) بعد موقعة القادسية (٢٧ هـ – ٦٣٩ م) بأمر من الخليفة عمر ابن الخطاب لتصبح من أهم المدن العربية الإسلامية[١] .

وقد ذكرت المصادر التاريخية والجغرافية أسماء عديدة لمدينة الكوفة وأسباب هذه التسمية قيل أنها سميت بالكوفة وهو نسبة إلى تل صغير في وسطها ،يقال له كوفان ،وربما سميت بهذا الاسم نسبة إلى تل (ساتيدما) التي تحيط بها وقيل أيضا أنها اختطت في منطقة اسمها كويخة بن عمر. وقد تأسست الكوفة في الشهر الأول من سنة (١٧ هـ) الموافق كانون الثاني (٦٣٨ م) وارتبط نشأة الكوفة بفتح العرب للعراق [٢]

وبعد أن ساد الفرس على هذا البلد منذ ما يزيد على ألف سنة وكان معروفا بغرينة الثري واقتصاده المائي فكان حقا هبة دجلة والفرات .[٣] فضلا عن ذلك كانت مملكة الحيرة تقوم بدور فعال وحاجز بين العرب والفرس و قد طرأت تغيرات بداية القرن السابع الميلادي ، وبرزت الحيرة في ضوء التاريخ الإسلامي بمثابة الجزء المركزي [٤] .ومن المعلوم أن الكوفة لم تكن خلال السنوات الخمس الأولى من إنشائها سوى مجرد تجمع

من خصائص القصب ، يرى ماسينيون إنها كانت إقامة عسكرية في البداية ، ويفسر ضعف الاستقرار بأن الكوفيين بذلوا نشاطاً واسع في منطقة الجبال[٥]

وأكدت المصادر انه لم تشيد الكوفة حقاً إلا في العصر الأموي ، وورد أن أغلب سكان الكوفة كانوا يسكنون بيوت القصب[٦]. ورغم ما أنتاب العصر الأموي من هزات وتغيرات فقد ساد انسجام كبير بين طبيعة عمرانها وسكانها[٧] .

توسعة واعمار الكوفة:

بعد خمس سنوات من تأسيسها وفي عهد المغيرة بن شعبة (ت سنة ٥٠هـ) بنيت جدران بيوتها باللبن وفي عهد زياد بن أبيه(ت سنة ٥٣ هـ) شيدت بالآجر ، وأول ماشيد أبواب الدور ، وأول دور نصبت كانت بشارع كندة (محلة المتنبي) أول شيء اختطه أبو الهياج الاسدي في الكوفة مسجدها في وسطها على بعد ١,٥ كم من الفرات وحفر خندقاً عليه وبنى في مقدمته صفة من رخام الأكاسرة ،جيء به من الحيرة ، وكان يتسع لأربعة ألف إنسان وزاد به ابن زياد حتى صار يتسع ل ٢٠ ألف إنسان [٨].

وفي رجب سنة ٣٦هـ حين شرفها الإمام علي عليه السلام غير في الأقسام القبلية للكوفة وأجرى بعض التنقلات بين القبائل وحفر فيها بئراً ليس هنالك أعذب من مائها.[٩]

ان اختيار الامام علي (ع) للكوفة عاصمة للدولة العربية الاسلامية وانتقاله اليها من المدينة المنورة سنة (٣٥ هـ) قد أعطى للكوفة أهمية أكبر نتيجة الأحداث التي حصلت في فترة خلافة الإمام علي (ع) والصراع مع الأمويين والخوارج الذين شقوا عصى الطاعة للامام ، مما جعل الإمام علي (ع) يخرج لمحاربتهم فكانت الكوفة ، هي العاصمة وهي القاعدة العسكرية للدولة العربية الاسلامية[١٠] .وقد تميزت الكوفة بمسجدها الكبير فضلا عن المراقد المقدسة والمساجد الاخرى:

١-مسجدالكوفة :عرفت بمسجدها الأعظم ومرقد مسلم بن عقيل (ع) وباقي الآثار الأخرى [١][١١].

٢- مسجد السهلة : وذكر في البحار عم ابن مهران عن الصادق (ع) قال :" إذا دخلت الكوفة فأن مسجد السهلة فصل فيه وأسال حاجتك لدينك ودنياك فان مسجد السهلة

بيت إدريس النبي (ع) الذي يخيط ويصلي فيه ومن دعا فيه بما أحب قضى الله حوائجه "[١٢].

٣-مسجد صحصحة بن صوحان صاحب الإمام علي (ع) وهو مسجد مبارك صلى فيه الإمام علي (ع) ووطأة الصحيح بأقدامهم .وصلى فيه الإمام صاحب الزمان (عج) والخضر(ع) ودعوا فيه، وفيه مقام ومناسك ومراسم خاصة ، يقع في الجانب الشرقي من مسجد السهلة .[١٣].

٤-مسجد بني كاهل يعرف بمسجد أمير المؤمنين (ع)وأنه لم يبقى سوى اسمه واسم مأذنته قال لان لا توجد أثار تلك الماذنه بجنب قبور بباب بيت أمير المؤمنين (ع).[١٤]

٥-مسجد حمص وهو مسجد مبارك فقد ورد أنه صلى فيه دعاء الإمام علي (ع) ومسجد الحمراء وهو مسجد يونس بن متي (ع) وقد صلى فيه[١٥].

ويضم مسجد الكوفة مراقد العديد من الشخصيات الدينية ومن أشهرهم مرقد مسلم بن عقيل(رض) وفي المسجد مقامات عده تصل إلى تسعة مقامات هي

١-مقام النبي إبراهيم (ع) ،

٢-مقام الخضر (ع)

٣-،مقام النبي محمد (ص)،

٤-مقام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع) ومحل صلاته ومحرابه ومنبره ،

٥-ومقام النبي ادم (ع)

٦-ومقام جبرائيل (ع)

٧-،مقام الإمام زين العابدين علي بن أبي الحسين (ع) ،

٨-مقام النبي نوح (ع) ،

٩-مقام الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع)[١٦]

وللمسجد أبواب عديدة لعل أهمها

١-باب الثعبان ،

٢-باب الرحمة ،

٣-باب الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف ،

٤-باب مسلم بن عقيل (ع) ،
٥-باب هاني بن عروه (رض).
أما الأبواب التاريخية في المسجد المعظم والتي توجد اليوم أثارها فقط هي باب السدة،وباب كنده،وباب الأنماط [١٧].وكان للمسجد قبة ،ويذكر بن شهر أشوب في (المناقب) المعجزة التي أظهرها الإمام (ع) في هذه القبة،وعلى أثرها اسلم بعض تجار اليهود[١٨].
المساجد الملعونة في الكوفة :-
أن المساجد الملعونة في الكوفة بحسب المصادر التاريخية ،هي مسجد ثقيف ، ومسجد الأشعث ومابين السهلة والكوفة وقد بقى منه حائط قبلته ومنارته ،وهو المسجد الذي يدعونه بمسجد الجواشن بناه الأشعث على بغض أمير المؤمنين (ع) ومسجد مخزومة وهو بالموضع الذي فيه الحدادون. ومسجد شبث وبقى في السوق ، ومسجد الحمراء بني على مقبرة فرعون وهو بمحله النجارين ومسجد تيم ومسجد بني السيد وغيرها[١٩].
المبحث الثاني
الوظائف الاجتماعية والنفسية والتربوية لمسجد الكوفة في زمن الإمام علي(عليه السلام):-
كان مسجد الكوفة هو مركز إشعاع للهدى والخير في دنيا المسلمين وله أهميه حضاريه إذ يزوره العديد من الزائرين من بقاع الأرض إذ أن المسجد هو دار العبادة ومحل الاجتماع والتعارف بين المسلمين وشيوع المحبة والتعاون والتكافل والتزاور وتفقد الغائب وغير ذلك من ظواهر المجتمع الإسلامي إذ إن لهذا المسجد قداسة جوانب روحانيه وأدبيه لا تنسى[٢٠].
إن المساجد خير الأماكن لتربية المسلمين فإنها تلقي على الحضور دروس الإخوة المساواة يحضر فيها المسلمون ويجتمعون في مكان واحد ويقومن في صف واحد للصلاة ،وقد دلت الإخبار المثورة عن أهل البيت (عليهم السلام) بان أول من أسس هذا المسجد هو ادم (ع) . وبمقتضى كلام جبرائيل للنبي (ص) :" أني رايته خراباً ورايته عمرانا أن تكون عمرته الملائكة بأمر الله ثم عمره ادم (ع)" .[٢١].

كان الإمام علي (ع) حاكماً وإماما اجتماعيا من الدرجة الأولى ، ونتعرف على ذلك من خلال ماوصلنا من أخبار مقتضبة سمحت بها كتب التاريخ ،فقد صورت لنا جولاته اليومية في وسط المجتمع الكوفي وهو يتوقف عند كل حالة وينبه على محاسنها ويحذر وينهى عن مساوئها [٢٢].وكان يجالس الناس في ليالي شهر رمضان في سمرهم ويرشدهم لما هو أفضل لهم في دينهن ودنياهم وهذا الفعل منه هو غاية التحنن للناس والتقرب منهم لغرض إصلاحهم .[٢٣].

فضلا عن انه كان (ع) يعشي الناس في شهر رمضان باللحم ولا يتعشى معهم ،فإذا فرغوا خطبهم ووعظهم فاضوا ليلة في الشعراء وهم على عشائهم ،فلما فرغوا خطبهم (ع) وقال في خطبته" اعلموا إن ملاك أمركم الدين وعصمتكم التقوى" [٢٤] .

وتأكيدا لاهمية دور المرأة والشباب في المجتمع الاسلامي كان الامام علي (ع) يستمع لمشاكل النساء الشخصية وان كن لأزواجهن ظالمات ،فضلا"عن دعمه للشباب ويحثهم ويعينهم على الزواج ويراعي هذا الجانب بدقة متناهية قلما نجدها في سيرة من تولى منصب الخلافة من قبله ،وكان يقدر جيدا حاجة الشباب إلى قضاء حاجة الشباب إلى قضاء رغباتهم ،فقد كان يلاحظ هذا الاندفاع نحو النساء فيقدم لهم الحلول النفسية والاجتماعية[٢٥] .

ان من وجوه رعاية الامام (ع) الاجتماعية للمجتمع انه(ع) كان يتكفل حل المشاكل الشخصية داخل الأسرة الواحدة بين الزوج وزوجته .وفوق كل ذلك كان يداعب الأطفال في الطرقات ويرأف بالأيتام منهم ،كان هذه من الوجوه الاجتماعية التي كونها الإمام علي(ع) في الكوفة وعن طريق المسجد تكوين الجانب السياسي والاجتماعي التي تعملها مع الناس فكان حقا أب رحيم للجميع فكان يتفقد أحوالهم ويعينهم في أمور معاشهم ويفرح لفرحهم ويحضر مجالسهم ويصلح فاسدهم ويرد العادي ويرأف بالطفل والأرملة [٢٦].

كما اتخذ أمير المؤمنين ع في المسجد دكه (مصطبة) للقضاء ،وكان بجانبها اسطوانة (عمود) قصيرة كتب عليها (إن الله يأمر بالعدل والإحسان)(سورة النحل :٩٠)وعلى هذه الدكه حكم صلوات الله عليه في قضايا عديدة تزخر بها كتب الحديث والمصنفات

التاريخية [٢٧].وكان للمسجد قبة ،ويذكر بن شهر أشوب في (المناقب) المعجزة التي أظهرها الإمام (ع) في هذه القبة،وعلى أثرها اسلم بعض تجار اليهود[٢٨].

إن مسجد الكوفة من أقدم المساجد بعد بيت الله الحرام فقد كان معبد الملائكة قبل خلق ادم (ع) ،وصار معبدة ومن بعده من الأنبياء والمرسلين .عن أمير المؤمنين (ع) "إن الملائكة لتنزل في كل ليلة إلى مسجد الكوفة " [٢٩]. وكان مسجد الكوفة في زمن خلافة أمير المؤمنين (ع) مركزا للحكم ومكان للعبادة ومنبرا للخطابة وموقعه بجانب المحراب المعروف باسم (محراب أمير المؤمنين)

إن مسجد الكوفة يعتبر من المساجد المهمة تاريخيا ، حيث يشعر الزائر بالراحة والاطمئنان النفسي ووجود إحساس غريب يدخل إلى القلب عند دخول هذا المكان ، فالمسلمون يزورون المسجد الأعظم من اجل التخفيف عن مشاعر القلق والحزن والخوف وذلك يحصل بتقوية الإيمان بالله تعالى وبيوم القيامة ومن ثم الاستمرار في شحن النفس بالطاقة الايمانية التي تقوم بدور مهم في أبعاد الإنسان عن مراكز وأجواء الانحراف [٣٠].

ان اهمية الدور التربوي والنفسي لمسجد الكوفة تكمن في كونه مركز إشعاع للهدى والخير في دنيا المسلمين وله أهميه حضاريه إذ يزوره العديد من الزائرين من بقاع الأرض إذ أن المسجد هو دار العبادة ومحل الاجتماع والتعارف بين المسلمين وشيوع المحبة والتعاون والتكافل والتزاور وتفقد الغائب وغير ذلك من ظواهر المجتمع الإسلامي إذ إن لهذا المسجد قداسة جوانب روحانيه وأدبيه لا تنسى[٣١].

لقد حرص الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) طيلة مدة خلافته في الكوفة على تجسيد المعاني التربوية والايمانية الروحية التي مر ذكرها فيما سبق، لانه كان يعي بعلمه الغزير وثاقب بصيرته النافذة، ما للجوانب النفسية والتربوية من اهمية كبيرة في المجتمع الاسلامي في الكوفة خاصة وفي عامة ثغور الاسلام.[٣٢].

ان طبيعة المسجد كمكان للصفاء الروحي والتواصل النفسي في الاجواء الخالصة من كل مايتعب النفس جعلته افضل مكان للبناء النفسي والتربوي والاجتماعي بحكم الوظيفة المزدوجة للمسجد كونه دار عبادة وحكم.[٣٣]. لذلك اهتم الامام علي (ع)

بهذا الجانب اهتماما كبيرا تجسد في الكثير من الوصايا والحكم التي تضمنتها دفتي كتابه المعروف نهج البلاغة[٣٤]، والذي جاء ليعبر عما يجيش في النفس البشرية من هموم ومعاناة لاتجد سوى الخالق جل وعلا ، منقذا لها وبلسما شافيا لامراضها وعللها.

وكان المسجد فضلا عما تقدم مكانا للقاءات المسلمين في الاعياد والمناسبات العامة والخاصة ، ناهيك عن حل كل الخلافات والنزاعات التي تحصل بينهم لاسباب مختلفة ،هذا بالاضافة الى كونه مكانا لادارة ومناقشة قضاياهم ومشاغلهم المعيشية والاقتصادية [٣٥].الامر الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالجانب الاجتماعي وتأثيراته التربوية والنفسية المتأصلة في الوجدان الروحي. ولهذا بقي المسجد هو المكان الملائم لكل تلك الاغراض كونه الجامع لكل المسلمين على اختلاف ميولهم واهوائهم واهتماماتهم ومشاغلهم الاجتماعية .

ومماتقدم يتبين لنا عمق الجوانب النفسية والاجتماعية والتربوية في مسجد الكوفة المعظم من خلال الدور الكبير الذي لعبه ومازال في حياة الناس الاجتماعية وجوانبها النفسية والتربوية.لذلك كان المسجد هو المكان الذي يجد المسلمون فيه الراحة النفسية والتواصل الروحي مع الخالق والمخلوق.

الخاتمة:

الكوفة : هي مدينة في العراق على ساحل نهر الفرات مصرها القائد العربي المسلم (سعد ابن أبي وقاص) بعد موقعة القادسية (٢٧ هـ – ٦٣٩ م) بأمر من الخليفة عمر ابن الخطاب لتصبح من أهم المدن العربية الإسلامية، وقد ذكرت المصادر التاريخية والجغرافية أسماء عديدة لمدينة الكوفة وأسباب هذه التسمية قيل أنها سميت بالكوفة وهو نسبة إلى تل صغير في وسطها ،يقال له كوفان ،وربما سميت بهذا الاسم نسبة إلى تل (ساتيدما) التي تحيط بها وقيل أيضا أنها اختطت في منطقة اسمها كويخة بن عمر. وقد تأسست الكوفة في الشهر الأول من سنة (١٧ هـ) الموافق كانون الثاني (٦٣٨ م) وارتبط نشأة الكوفة بفتح العرب للعراق.

كان مسجد الكوفة هو مركز إشعاع للهدى والخير في دنيا المسلمين وله أهميه حضاريه إذ يزوره العديد من الزائرين من بقاع الأرض إذ أن المسجد هو دار العبادة ومحل

الاجتماع والتعارف بين المسلمين وشيوع المحبة والتعاون والتكافل والتزاور وتفقد الغائب وغير ذلك من ظواهر المجتمع الإسلامي إذ إن لهذا المسجد قداسة جوانب روحانيه وأدبيه لا تنسى. لذلك فأن مسجد الكوفة يعتبر من المساجد المهمة تاريخيا ، حيث يشعر الزائر بالراحة والاطمئنان النفسي ووجود إحساس غريب يدخل إلى القلب عند دخول هذا المكان ، فالمسلمون يزورون المسجد الأعظم من اجل التخفيف عن مشاعر القلق والحزن والخوف وذلك يحصل بتقوية الإيمان بالله تعالى وبيوم القيامة ومن ثم الاستمرار في شحن النفس بالطاقة الايمانية التي تقوم بدور مهم في أبعاد الإنسان عن مراكز وأجواء الانحراف

لقد حرص الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) طيلة مدة خلافته في الكوفة على تجسيد المعاني التربوية والايمانية الروحية التي مر ذكرها فيما سبق، لانه كان يعي بعلمه الغزير وثاقب بصيرته النافذة، ما للجوانب النفسية والتربوية من اهمية كبيرة في المجتمع الاسلامي في الكوفة خاصة وفي عامة ثغور الاسلام

ان طبيعة المسجد كمكان للصفاء الروحي والتواصل النفسي في الاجواء الخالصة من كل مايتعب النفس جعلته افضل مكان للبناء النفسي والتربوي والاجتماعي بحكم الوظيفة المزدوجة للمسجد كونه دار عبادة وحكم. لذلك اهتم الامام علي (ع) بهذا الجانب اهتماما كبيرا تجسد في الكثير من الوصايا والحكم التي تضمنتها دفتي كتابه المعروف نهج البلاغة، والذي جاء ليعبر عما يجيش في النفس البشرية من هموم ومعاناة لاتجد سوى الخالق جل وعلا ، منقذا لها وبلسما شافيا لامراضها وعللها.وكان المسجد فضلا عما تقدم مكانا للقاءات المسلمين في الاعياد والمناسبات العامة والخاصة ، ناهيك عن حل كل الخلافات والنزاعات التي تحصل بينهم لاسباب مختلفة ،هذا بالاضافة الى كونه مكانا لادارة ومناقشة قضاياهم ومشاغلهم المعيشية والاقتصادية الامر الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالجانب الاجتماعي وتأثيراته التربوية والنفسية المتأصلة في الوجدان الروحي. ولهذا بقي المسجد هو المكان الملائم لكل تلك الاغراض كونه الجامع لكل المسلمين على اختلاف ميولهم واهوائهم واهتماماتهم ومشاغلهم الاجتماعية .

الهوامش:

[١] فتوح البلدان :البلاذري ،أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ): مدرسة الكوفة ، ٣٧٥، ط : القاهرة ، ١٩٥٨،ص٤٣٣.

[٢] خطط الكوفة : أنور الرفاعي ، ٢٥- ٣٥.

[٣])تاريخ الطبري : ٢/ ١٨٨ ،

[٤] المصدر نفسه : ٢/ ١٨٨.

[٥] الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية : هشام جعيط ،ط١، الكويت ، ١٩٨٦.ص : ١٧.

[٦])المصدر نفسه : ١١٩.

[٧] د.كاظم الجنابي /تخطيط مدينة الكوفة ، عن المصادر التاريخية والاثاريه /مطابع دار الجمهورية /بغداد /١٩٦٧،ص٤١.

[٨] البلاذري : المصدر السابق ، ص٤٣٤.

[٩] الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت عبد الله الرومي ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩

[١٠] إبن بطوطة ، شرف الدين أبو عبد الله بن محمد (ت٧٧٧هـ) ، تحفة النظار في غرائب الأمصار ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٣٨ .ص٢٢٥.

[١١] المصدر نفسه ،ص٢٢٥.

[١٢] ماسينيون ، لويس ، خطط الكوفة ، ترجمة تقي المصبعي ، صيدا ، لبنان ، ١٩٣٩.ص١٢١.

[١٣] المصدر نفسه،ص٣٢.

[١٤] المصدر نفسه،ص٣٢.

[١٥]إبن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني (ت ٦١٤ هـ) ، رحلة ابن جبير ، دار صادر ، بيروت، لبنان ،١٩٦٤ .ص٤٣٤

[١٦] إبن بطوطة ، شرف الدين أبو عبد الله بن محمد (ت٧٧٧هـ) ، تحفة النظار في غرائب الأمصار ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٣٨.ص١٣٢.

[١٧] المصدر نفسه،ص١٣٣.

[١٨])ابن شهر اشوب،محمد بن علي المازندراني، مناقب آل ابي طالب،(قم: المطبعة العلمية،بلا)،ص٣٤٣...

[١٩] الجنابي، د. كاظم، المصدر السابق، ص٤٣.

[٢٠] الحلي ،جعفر،

[٢١] الإمام علي بن أبي طالب (ع) /نهج البلاغه/ضبط نصه د. صبحي الصالح /دار الكتاب اللبناني /بيروت ،ص٢٣.

[٢٢] حولية الكوفة ،المصدر السابق ،ص٢٣.

[٢٣] الحكيم ، د. حسن عيسى ، محاضرات في مادة (تخطيط مدن إسلامية) ، ألقيت على طلبة الدراسات العليا - الماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة في ٢٠٠١/٣/١٩

[٢٤] المصدر نفسه،

[٢٥] الحلي ،جعفر

[٢٦] الحكيم ، د. حسن عيسى ، محاضرات في مادة (تخطيط مدن إسلامية) ، ألقيت على طلبة الدراسات العليا - الماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة في ٢٠٠١/٣/١٩

[٢٧] حـــلاق، حسان ، مقدمة في مناهج البحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق ، بيروت ، ١٩٨٦ .

[٢٨] الحكيم ، د. حسن عيسى، المصدر السابق.

[٢٩] الإمام علي بن أبي طالب (ع) /نهج البلاغه/ ،ص٢٣.

[٣٠] هشام جعيط، المصدر السابق ،ص١٢١.

[٣١] الحلي ،جعفر، التربية والتعليم في الحضارة ،الكوفة والحواضر الاسلامية الاخرى :بغداد: دار الصفوة،ص٣٣.

[٣٢] - حولية الكوفة - تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به ، العدد(٤) ، شهر رمضا ن، ٢٠١٤

[٣٣] الحلي ،جعفر، المصدر السابق ،ص٣٤

[٣٤] الإمام علي بن أبي طالب (ع) /نهج البلاغه،ص٢٤.

[٣٥] الحكيم ، د. حسن عيسى، المصدر السابق،

المصادر :-

١- القران الكريم.

٢-إبن بطوطة ، شرف الدين أبو عبد الله بن محمد (ت٧٧٧هـ) ، تحفة النظار في غرائب الأمصار ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٣٨ .

٣- البلاذري ، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ) ، فتوح البلدان ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

٤-الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت عبد الله الرومي ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩ .

٥-إبن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني (ت ٦١٤ هـ) ، رحلة ابن جبير ، دار صادر ، بيروت، لبنان ، ١٩٦٤ .
٦-إبن خلدون ، عبد الرحمن محمد (ت ٨٠٨هـ) تأريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت، ١٩٥٩ .
٧- الطبري ،أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) ، تاريخ الأمم والملوك ، طبع الاستقامة ، القاهرة ، ١٩٣٩ ...
٨- العزاوي ، عبد الرحمن حسين ، الطبري ، السيرة والتاريخ ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٩ .
٩- ماسينيون ، لويس ، خطط الكوفة ، ترجمة تقي المصبعي ، صيدا ، لبنان ، ١٩٣٩.
١٠- حلاق، حسان ، مقدمة في مناهج البحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق ، بيروت ، ١٩٨٦ .
١١- الحكيم ، د. حسن عيسى ، محاضرات في مادة (تخطيط مدن إسلامية) ، ألقيت على طلبة الدراسات العليا - الماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة في ٢٠٠١/٣/١٩.
١٢- الجنابي، د. كاظم ، تخطيط مدينة الكوفة ، مطابع دار الجمهورية ،بغداد،١٩٦٧
١٣- الحلي ،جعفر، التربية والتعليم في الحضارة ،الكوفة والحواضر الاسلامية الاخرى :بغداد: دار الصفوة،١٩٨٩.
١٤- الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية : هشام جعيط ،ط١، الكويت ، ١٩٨٦.
١٥- حولية الكوفة - تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به ، العدد(٤) ، شهر رمضا ن، ٢٠١٤ .
١٦- الإمام علي بن أبي طالب (ع) /نهج البلاغه/ضبط نصه د. صبحي الصالح /دار الكتاب اللبناني /بيروت /١٩٦٧
١٧-أنور الرفاعي ،خطط الكوفة، بغداد : مطبعة ابن سينا، ١٩٧٧،

مرويات الفخر الكوفي دراسة تحليلية

أ.م٠د رباب جبار طاهر السوداني / كليةالتربية للبنات /جامعة البصرة
أ٠م٠د هشام جخيور ميري الربيعي / كلية الآداب / جامعة البصرة

المقدمة :

مما لا شك فيه ان التعاطي القرائي مع الكم المتعدد للمصادر الأسلامية وفي مختلف المجالات المعرفية ، التأريخية والفقهية والجغرافية والأدبية ليعكس لنا أن لمدينة الكوفة شأنا عظيما في التراث المعرفي الأنساني ، سواء بالموضع الذي مصرت فيه الكوفة او عبر المسار التأريخي المرحلي اللاحق للتمصير ، الأمر الذي انعكس بصيغة تفاعلية معرفية أوجدت كما من المرويات العديدة التي تبين تلك المكانة الكبيرة ، إلا أن منهج البحث العلمي التحليلي يقتضي دراسة تلك المرويات لبيان مدى تطابقها مع الواقع التاريخي المرحلي لتلك المدينة ، لذا عكفنا على دراسة تلك المرويات ببحثنا الذي اسميناه " مرويات الفخر الكوفي – دراسة تحليلية " ، والذي قسمناه إلى عدة فقرات منها ما تناول الجانب العقدي والفكري والعمران والاجتماعي ٠

١- مرويات الفخر العقدي والفكري

أ - التوحيد الأرضي وإقرار النبوة لآدم (عليه السلام)

عكست لنا مرويات الفخر الكوفي أن أول ممارسي عبادي توحيدي ارضي وأول انطلاقية أولى لإعطاء التصور العقدي لاقرارية نبوة ادم (عليه السلام) قد تمت على أرض الكوفة كونها مثلت أول بقعة عبد الله عليها بعد أن تلقى الملائكة أمر ربهم بالسجود لآدم (عليه السلام) ، فقد روي عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال (أول بقعة عبد الله عليها ظهر الكوفة لما أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم سجدوا على ظهر الكوفة) [١] ٠

أن أهم منعكس تحليلي لهذه الرواية يذهب الى أنها وضعت اسا" فخزيا لبقعة الكوفة إزاء البقاع المقدسة التي أختارها الله [٢] ، وإنها تفتح المجال لنقاش واسع حول أمر السجود ، هل كان في الجنان السماوية الخلدية أم في الجنان الأرضية التي جعلت الكوفة منها ، بالإضافة الى بيت المقدس بأرض فلسطين ، والبقعة التي بين فارس وكرمان [٣]

، أزاء الرؤية القرآنية للسجود ألتشريفي لآدم (عليه السلام) ، والتي أشارت الى طلب الله سبحانه تعالى من الملائكة السجود لآدم (عليه السلام) كما في قوله تعالى (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) [٤]، وقوله تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ
فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) [٥] .

ب - الولاية

تشكل الولاية بعدا عقديا في المرتكز الفكري الأمامي ، كونها الوية اختيارية وتطبيقية لانطلاقية إيمان الفرد واستمرارية ذلك الإيمان [٦] ، وفق هذه الخاصية جاءت مرويات الفخر العقدي والفكري الخاصة بالولاية لتركز على هذه الجزئية ، فالأقرار والقبول بالولاية ارتبط بأهل الكوفة دون غيرهم من أهل الأمصار ، وبالكوفة كمصر من الأمصار دون غيره من الأمصار ، والتي يمكن تقسيمها الى ثلاثة أقسام :

القسم الاول : المروي عن الأمام الباقر (عليه السلام)

أ - روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) انه قال : (ان ولايتنا عرضت على اهل الأمصار ، فلم يقبلها قبول أهل الكوفة ، وذلك ان قبر علي (عليه السلام) فيها ، وان الى لزقه لقبر أخر – يعني الحسين < عليه السلام > فما من آت يأتيه فيصلي عنده ركعتين أو أربعة ثم يسال الله حاجته إلا قضاها له) .[٧]

ب - روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) انه قال : (ان ولايتنا عرضت على أهل الأمصار فلم يقبلها قبول أهل الكوفة بشيء، وذلك ان قبر علي عليه السلام فيه وان إلى لزقه لقبر أخر – يعني قبر الحسين – وما من أتاه يصلي عنده ركعتين أو أربعا ثم يسال حاجته الا قضاها له) .[٨]

ومن ابرز الملاحظات التي يمكن ان نتبينها من القراءة التحليلية لما روي عن الإمام الباقر (عليه السلام)، هو ما أمكن إجماله بالاتي :

١-غياب التحديد المكاني والزماني لعرض الولاية على اهل الأمصار ، ولخاصية قبول أهل الكوفة ، وهل ذلك العرض والقبول قد تم قبل وجود القبرين ام بعد وجودهما ،

لارتباط علية القبول بهما ، وبعبارة أخرى هل تم القبول وفق المسار الروائي بانطلاق تأسيسي ام بعامل صناعي لأحداث واقعية ، ام بإعطاء بعدية للتاريخ المستقبلي وهذا ما عكسته مرويتي (أ + ب) ٠

٢-أوضحت لنا مرويتي (أ + ب) ، ان علية قبول اهل الكوفة للولاية قد جاء انعكاسا لوجود قبر الإمام علي (عليه السلام) في الكوفة ، ولوجود قبر الإمام الحسين (عليه السلام) الى جانبه ٠

٣-ركزت مرويتي (أ + ب) على ان الجانب الفخري لاهل الكوفة قد ارتبط بقبول اهل الكوفة للولاية حيث لم يقبلها قبول اهل الكوفة شيء ٠

٤-لم توضح المرويتان (أ+ ب) مصدرية العرض ألولائي ، هل هو من الله ام من الأئمة (عليهم السلام) ٠

٥-أدخلت المرويتان (أ+ ب) منطقة كربلاء ضمن الحدود الجغرافية للكوفة ، مما زادها فضلا وفخرا ، فالفخر هو انعكاس لوجود قبري الإمامين ، الإمام علي والإمام الحسين (عليهما السلام)٠

٦-يمكن القول ان البناء الصياغي لمرويتي (أ + ب) قد جاء محاكاة للنص القرآني (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا).(٩)

القسم الثاني : المروي عن الإمام الصادق (عليه السلام)

أ-روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال ؛ (ان ولايتنا عرضت على اهل الأمصار فلم يقبلها قبول أهل الكوفة ، وقال ؛ ان قبر علي عليه السلام والى لزقه -يعني قبر الحسين – مامن ات ياتيه فيصلي عنده ركعتين او اربع يسال الله حاجته الا قضاها)٠ (١٠)

ب – روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال : (ان الله عرض ولايتنا على اهل الأمصار فلم يقبلها الا أهل الكوفة ، وان الى جانبها قبرا لا يأتيه مكروب فيصلي عنده اربع ركعات إلا أرجعه الله مسرورا بقضاء حاجته) (١١)

ج – روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال : (ان ولايتنا ولاية الله عز وجل التي لم يبعث نبي قط الا بها ، ان الله عز اسمه عرض ولايتنا على السماوات والأرض والجبال والأمصار، فلم يقبلها قبول أهل الكوفة ، وان الى جانبهم لقبرا ما لقاه مكروب الا نفس الله كربته ، وأجاب دعوته وقلبه الى أهله مسرورا) ٠ (١٢)

ان الدراسة التحليلية لمرويات القسم الثاني ، تبين لنا الاتي :

١-غياب التحديد المكاني وألزماني لعرض الولاية ولقبولها في مرويات (أ+ ب + ج)

٢-بينت مرويتي (ب+ ج) ، ان الله سبحانه و تعالى هو مصدر العرض الولائي ، في حين غاب ذلك البيان عن مروية (أ) ٠

٣-بينت مرويات (أ + ب + ج) ، ان جنبة الفخر الكوفي على باقي الأمصار قد ارتبط بقبول أهل الكوفة للولاية ، وكانت مروية (ب) اكثر تحديدا بحصرية القبول باهل الكوفة ، وأضافت مروية (ج) ان جنبة الفخر للكوفيين عكست البعد العقدي والفكري الفخري للولاية التي هي انطلاقية مبعث للأنبياء ، وانهم قبلوها كالأنبياء ٠

٤-في الوقت الذي ربطت فيه مروية (أ) علية قبول الولاية من اهل الكوفة بوجود قبري الإمامين ، الإمام علي (عليه السلام) والإمام الحسين (عليه السلام)، نجد غياب ذلك الرابط في مرويتي (ب + ج) ٠

٥-امتازت مروية (ج) بان بينت تدرجية العرض الولائي من الله سبحانه و تعالى على السماوات ثم الارض ثم الجبال ثم الأمصار ، لتعكس ان انطلاق العرض كان سماويا في حين ان قبوله كان ارضيا ٠

٦-بينت مرويات (ا+ ب+ ج) ، ان مصدر القبول للولاية هو اهل الكوفة ٠

٧-ان المرويات (أ + ب + ج) قد استندت في صياغتها الى البنية التوضيحية للنص القراني (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) (١٣)، والتي اوضحها بشكل مفصل ابن شهراشوب عندما أورد قول الامام علي (عليه السلام) عن الأمانة التي عرضها الله سبحانه وتعالى والتي قرنها الإمام (عليه السلا م) بولايته وتلك التدرجية التي وصلت للانسان ، والتي أصبحت بخصوصية الفخر الكوفي لأهل الكوفة ٠ (١٤)

القسم الثالث : المروي عن انس بن مالك

روي عن انس بن مالك ان الرسول الكريم (صلى الله عليه واله) انه قال للإمام علي (عليه السلام) : (يا علي ان الله عز اسمه عرض ولايتك على السماوات فسبقت اليها السماء السابعة فزينها بالعرش ، ثم سبقت إليها السماء الدنيا فزينها بالكواكب ، ثم

عرضها على الأرضين فسبقت اليها مكة فزينها با لكعبة ، ثم سبقت اليها المدينة فزينها بي ، ثم سبقت اليها الكوفة فزينها بك ، ثم سبقت اليها قم فزينها با لعرب وفتح لها بابا من أبواب الجنة) [١٥]

ان اهم ما يمكن استنتاجه من هذه المروية هو :

١-ان مصدرية عرض الولاية جاء من الله سبحانه وتعالى ٠

٢-غياب التحديد المكاني والزماني لعرض الولاية ولقبولها ٠

٣-أوضح التسلسل التدرجي المناطقي لاماكن السماء والارض في مسالة عرض الولاية وأسبقية أماكن السماء ومدن وأمصار الارض لفبولها ، حيث التدرجية بدأت من السماء السابعة ثم الرابعة ومن ثم الى الأرض لتعطي تصورا عن تراتبية المدن في اسبقية التلقي بعرض الولاية والقبول بها ، بدات بمكة ثم المدينة ثم الكوفة ومن ثم قم ٠

٤-كان المحصل الفخري العقدي والفكري للكوفة بقبول الولاية ، بان أكملت الثالوث الحرمي ، مكة وزينها الله ببيته الكعبة المشرفة والمدينة وزينها الله بالنبوة ، والثالثة الكوفة وزينها الله بالإمامة ٠

٥-ان المصدر الروائي الصياغي لهذه المروية جاء من كتاب تاريخ قم الذي الفه الحسن بن محمد بن الحسن القمي المعاصر للصدوق عام ٣٧٨ه ، ولاتوجد نسخته العربية ، فقط ترجمته للفارسية على يد الحسن بن علي بن عبدالملك سنة ٨٦٥ ه [١٦] ، وهذا ما يفسر إضافة قم الى ذلك الثالوث الحرمي المقدس ، التي زينت با لعرب وفتح لها بابا من أبواب الجنة ٠

وعلى ضوء ما أوردناه من مرويات الفخر العقدي والفكري للكوفيين بأقسامها الثلاثة ، نرى ان التعارض بين الصياغة النظرية للحدث التاريخي وبين الواقع الحدثي التاريخي

، كان واضحا وبارزا ، لان هناك من قبل الولاية للإمام علي (عليه السلام) في مكة والمدينة قبل تمصير الكوفة ، ولذلك جاءت مروية القسم الثالث لتعطي ذلك التدرج الواقعي المتماشي مع الحدث التاريخي ، الامر الذي يبين الاتجاه القصدي الايجادي لمثل هذه المرويات للحدثية المستقبلية وان كان يستلزم الامر احيانا ادخالها بالبعد الغيبوي ، ليعكس نتاجا حدثيا صاغه العقل الكوفي للفخر بمدينة الكوفة وأهلها ، وعاكسة للايمان الانطلاقي والبعدوي عبر المسار التاريخي ، في مرحلة صراع الأمصار المؤسسة خارج نطاق الجزيرة العربية ، ليعطي جنبة مدحية خاصة بذات المصر المراد مدحه ، فيما تترك الجنبة الذمية لمن كان يخالفهم من الأمصار الاخرى.

ج-عقيدة الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام)

تعد عقيدة الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) من أهم المباني العقدية في الفكر الامامي الأثني عشري ، كونها استمرارية المنطلق السماوي بشقيه النبوة التي ختمت بمحمد (صلى الله عليه واله وسلم)، والإمامة التي بدات بالإمام علي (عليه السلام) وتختم بالمهدي محمد بن الحسن العسكري (عليهما السلام)، ضمن مرحلية الغيبة وحتى عصر الظهور وما بعده من مسار حدثي [١٧] ، وحول هذا المرتكز العقدي وردت الينا عدة مرويات تتعلق بالمسار الفخروي للكوفة ولأهلها لارتباطها بالإمام المنتظر (عليه السلام) ، والتي منها :

أ- ما روي عن الإمام علي (عليه السلام) قوله :(إذا قام قائم ال محمد جمع الله له أهل المشرق وأهل المغرب فيجتمعون كما يجتمع قزع [١٨] الخريف ،فأما الرفقاء فمن الكوفة وأما الابدال فمن أهل الشام) . [١٩]

ب- روي عن الامام علي (عليه السلام) قوله: (ما أشد بلايا الكوفة لا تسبوا اهل الكوفة فوالله ان فيهم لمصابيح الهدى واوتاد ذكر ومتاع الى حين ، والله ليدقن جناح كفرلا ينجبر ابدا ، ان مكة حرم إبراهيم والمدينة حرم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، والكوفة حرمي ما من مؤمن الا وهو من اهل الكوفة او هواه لينزع اليها الا ان الأوتاد من ابناء الكوفة وفي مصر من الأمصار وفي أهل الشام أبدال). [٢٠]

ج – روي عن الإمام علي (عليه السلام) قوله :(الكوفة كنز الايمان وجمجمة الإسلام وسيف الله ورمحه ، يضعه حيث يشاء والذي نفسي بيدي لينصرن الله جل وعز بأهلها في شرق الأرض وغربها كما انتصر بالحجاز) . [٢١]

د- روي عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) انه قال : (يملك المهدي أمر الناس سبعا او عشرا اسعد الناس به أهل الكوفة) .[٢٢]

هـ – روي عن الإمام الصادق (عليه السلام)قوله : (اذا قدم المهدي يبني على ظهر الكوفة مسجدا له ألف باب ، واتصلت بيوت أهل الكوفة بنهر كربلاء) .[٢٣]

ومن الملاحظ على هذه المرويات أنها جاءت لتمثل اتجاها فخريا عقديا لأهل الكوفة في مرحلة التأسيس المستقبلي للإمام الحجة (عليه السلام) في مرحلة ما بعد الظهور ، فدور الإمام الحجة (عليه السلام) في هذه المرحلة شبيه بدور جده الرسول الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) ، والذي بداه بدعوته الرسالية في الحجاز في مكة والمدينة ، وهنا تاتي العلاقة الترابطية لاستكمال دور النبوة الإصلاحي بدور الإمامة التصحيحي للمسار ألانحرافي للدعوة الإسلامية ، وعودة الاسلام الى مساره الصحيح بأهل الكوفة ، فالله سينتصر بالإمام الحجة (عليه السلام) وأهل الكوفة لدق جناح الكفر الذي يشبه كفر اهل الحجاز الذي واجه الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في بداية دعوته ،فالمرتكز الأيماني في أهل الكوفة نقطة انطلاق التغيير ، وبذلك كافئهم الله بان كوفتهم ستكون عاصمة الإمام المهدي وسيكون أهلها أسعد الناس به كونهم مادة الحكم المستقبلي في تلك الحكومة

العالمية ، وسيقوم الأمام الحجة بتوسيع تلك العاصمة المستقبلية حيث سيبني بها مسجدا له الف باب وستتصل بيوت الكوفة بارض كربلاء .

٢- مرويات الفخر بالعمران

أوردت لنا المصادر مرويات عديدة تناولت جانب العمران ،بمجالاته الواسعة والتي تشمل الجوانب الجغرافية والجوانب العمرانية والتي يمكن إجمالها بالاتي:

أ - قول :المسعودي (وعقد نوح في وسط المسجد قبة فادخل اليها أهله وولده والمؤمنين الى ان مصر الأمصار واسكن ولده البلدان ، فسميت الكوفة قبة الإسلام بسبب تلك القبة) . (٢٤)

تبين هذه المروية ان البعد الفخري للكوفيين يستند الى أن تمصير الكوفة عام (١٧ هـ /٦٣٨م) ، له جذرية تأريخية تمتد الى زمن النبي نوح (عليه السلام) ، وان سبب تسمية الكوفة بقبة الإسلام ، يرجع الى القبة التي عقدها النبي نوح (عليه السلام) لتضم الفئة المؤمنة الباقية معه بعد مرحلة الطوفان ، وهذا فيه بعدية تأسيسية لتكون الكوفة في التاريخ المستقبلي حاضنة للايمان والمؤمنين .(٢٥)

ب – قول المسعودي :(وروي انه عملها في دورين وهما ثمانون وكان طولها الف ومائتي ذراع وعرضها مائة ذراع وارتفاعها ثمانون ذراع ، وكان بنيتها في المكان الذي هو مسجد الكوفة ، ثم استوت على الجودي في اليوم السابع ، والجودي فرات الكوفة الموضع الذي منه بدأت فصار الطواف حول البيت سنة) . (٢٦)

توضح هذه المروية ان البعد الفخروي للكوفيين جاء من ان مسجد الكوفة هو مكان صناعة سفينة نوح (عليه السلام) ، وبذلك شكلت منطقة استقطاب بشري كوني للمؤمنين الخلص بدعوة نبي الله نوح (عليه السلام) ، وانه شكل نقطة انطلاق السفينة عند بدء الطوفان ، ومن ان رسوها كان في جودي فرات الكوفة ، وان حراكية السفينة لمدة سبعة ايام شكلت اسا عباديا في حج النبي ابراهيم (عليه السلام)ن الا وهو الطواف حول الكعبة سبعة أشواط .

ج– روي ان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قال :(طينة أمتي من مدينتي وطينة شيعتنا من الكوفة وطينة أعدائنا من البصرة).(٢٧)

د - روي عن الإمام علي (عليه السلام) قوله :عندما اشرف على الكوفة (ويحك ياكوفان ما أطيب هواءك وأغذى تربتك ، الخارج منك بذنب ، والداخل إليك برحمة ، لاتذهب الأيام والليالي ، حتى يجيء إليك كل مؤمن ، ويبغض المقام بك كل فاجر ، وتعمرين حتى ان الرجل من اهلك ليبكر الى الجمعة فلا يلحقها من بعد المسافة) . (٢٨)

هـ - روي عن الأمام علي (عليه السلام) قوله :في مدح الكوفة (ويحك ياكوفة ، ما أطيبك

وأطيب ريحك، وأخبث كثيرا من اهلك ن الخارج منك بذنب والداخل فيك برحمة ، اما لا تذهب الدنيا حتى يحن اليك كل مؤمن ويخرج عنك كل كافر ، اما لا تذهب الدنيا حتى تكوني من النهرين الى النهرين حتى ان الرجل ليركب البغلة السفواء يريد الجمعة ولا يدركها) . (٢٩)

و- روي عن الأمام علي (عليه السلام) قوله: عندما نظر الى ظهر الكوفة (ماأحسن منظرك وأطيب – ريحك – فعرك ، اللهم أجعل قبري بها) . (٣٠)

ز- روي أن الإمام علي (عليه السلام) (كان يأتي النجف ويقول وادي السلام ومجمع أرواح المؤمنين ونعم المضجع للمؤمن هذا المكان، اللهم اجعل قبري بها) . (٣١)

ح – روي أن الإمام علي (عليه السلام) لما اشترى أرضا بين الخور نق الى الحيرة الى الكوفة أو ما بين النجف إلى الحيرة الى الكوفة ، من الدهاقين بأربعين ألف درهم ، وقيل له ان لا ينبت فيها شيء قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يقول (كوفان يرد أولها على آخرها ، يحشر من ظهرها سبعون ألف يدخلون الجنة بغير حساب ، فاشتهيت ان يحشروا من ملكي) . (٣٢)

ط – روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال :عن تربة الكوفة (تربة تحبنا ونحبها) (٣٣)

ي – روي ان الامام الصادق (عليه السلام) سأل عن قول الله عز وجل وجعلنا ابن مريم وأمه اية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ، قال : الربوة النجف ، والقرار المسجد ، والمعين الفرات ، ثم قال : ان نفقة بالكوفة الدرهم الواحد تعدل بمائة درهم في غيرها ، والركعة بمئة ركعة ، ومن أحب ان يتوضأ من ماء الجنة ويشرب من ماء الجنة ويغتسل بماء الجنة ، فعليه بماء الفرات فان فيه شعبتين من الجنة ، وينزل من الجنة كل ليلة مثقالان من مسك في الفرات . (٣٤)

ان الدراسة التحليلية لهذه المرويات تبين لنا ان فخر العمران الكوفي أرتبط ببعديات الارض والمناخ والتوسع العمراني ، فالكوفة طيبة الأرض والريح ، وان مياه نهر الفرات

تحمل خصائص الجنان السماوية ، اي انعكاس تطبيقي لما موجود في تلك الجنان ،وممهد لجنة أرضية ، مما يؤهلها لان تتوسع بجانب العمران في قراءة لتاريخها المستقبلي ، وستكون منطقة استقطاب للعناصر الايمانية ، حيث سيحشر من ظهرها سبعين الف مؤمن ، وان الامام علي (عليه السلام) دعا الله ان يكون قبره فيها ، ولم تقف الجنبة الفخرية للكوفيين عند هذا الحد ، بل شملت مادة العنصر الخلقي للإنسان ، فجعلوا تربة الكوفة ن مادة الخلق لشيعة ال البيت (عليهم السلام) ، مقابل ان تكون تربة وطينة البصرة مادة الخلق لأعدائهم ٠

ك – روي عن الأمام علي (عليه السلام) انه قال مشيرا الى الكوفة (هذه مدينتنا ومحلنا ومقر شيعتنا)٠ (٣٥)

ان هذه المروية شكلت بحضورها التدويني اسا بنائيا للبعد الفخروي في مفهوم العمران والمنعكس من المسارية العمرانية للكوفة فهي في رؤية الامام علي (عليه السلام) ، مدينة ومحل الامامة بابعادها الواسعة ، ومقر الشيعة الخلص الموالين لال البيت (عليهم السلام)، ولذلك وردت الينا مرويات عديدة تعطي ذلك البعد الفخروي للكوفة ، كونها المفضلة في السكن ، ووصل الحد الفخروي في تلك المرويات إلى إعطاء البعد التفضيلي للكوفة معيارا فاق المعيار الآسي لمدينتي مكة والمدينة ٠

ل – روى ابن قولويه (ان رجلا اتى ابا عبدالله (عليه السلام) فقال: اني قد ضربت على كل شيء لي ذهبا وفضة وبعت ضياعي فقلت : انزل مكة ، فقال: لا تفعل فان اهل مكة يكفرون بالله جهرة ، فقلت : ففي حرم رسول الله (صلى الله عليه واله) قال: هم شر منهم ، فقلت فاين انزل ، قال عليك بالعراق الكوفة ، فان البركة منها على اثني عشر ميلا هكذا وهكذا) ٠ (٣٦)

توضح لنا هذه المروية ان البعد الفخروي فيها اراد التركيز على ان الكوفة كمصر من الأمصار هي المفضلة في السكن الاني والمستقبلي ، الى الدرجة ان مكانتها قد فاقت مكة والمدينة ، حرم الله وحرم رسوله (صلى الله عليه واله وسلم) ، والواضح التضاربية في هذه المروية كون ان الامام الصادق (عليه السلام) ، هو من يسكن المدينة ن فكيف

يطلب من الرجل عدم السكنى فيها لأنها اكثر شرا من مكة ، في الوقت الذي هو لم ينتقل للسكن فيها واتخاذها مكانا بديلا عن المدينة ٠

م – روي ان رجلا قال لامير المؤمنين (هذه راحلتي وزادي اريد هذا البيت اعني بيت المقدس ن فقال عليه السلام : كل زادك وبع راحلتك وعليك بهذا المسجد ، يعني مسجد الكوفة ، فانه احد المساجد الأربعة ركعتان فيه تعدلان عشرا فيما سواه من المساجد والبركة منه الى اثني عشر ميلا من حيث ما اتيته وهي نازلة من كذا الف ذراع ، وفي زاويته فار التنور وعند الاسطوانة الخامسة صلى ابراهيم عليه السلام ن، وقد صلى فيه الف نبي والف وصي ، وفيه عصا موسى والشجرة اليقظين ، وفيه هلك بغوث ويعوق ، وهو الفاروق، وفيه مسير لجبل الاهواز، وفيه مصلى نوح عليه السلام ، ويحشر منه يوم القيامة سبعين الف ليس عليهم حساب ووسطه على روضة من رياض الجنة وفيه ثلاث أعين من الجنة تذهب الرجس وتطهر المؤمنين ، لو علم الناس ما فيه من الفضل لأتوه حبوا) ٠ (٣٧)

تعكس لنا هذه المروية بعدا فخرويا يتعلق بالفخر بين الأمصار ومساجدها فمسجد الكوفة يفوق بمكانته بيت المقدس، اولى القبلتين وثاني الحرمين ، وهذه المكانة لمسجد الكوفة تستند الى جذرية مسارية للأنبياء (عليهم السلام) ن ليكون المسجد مرتكز انطلاقي للإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف) ، ومرتكز استقطابي لكل المؤمنين ، لان بركته هي العاكسة على الكوفة كلها التي تمتد لاثني عشر ميلا طولا في عرض ، ولكونه منطلق بعثوي اخروي ،لايحاسب المبعوثين منه والذين قدروا بسبعين الف الحساب الاخروي ، ولوجود ثلاثة اعين وظيفتها تطهير المؤمنين من الرجس ، اي خلق تمركز بشري مطهر بعصموية محاكية لعصموية ال البيت (عليهم السلام)٠

ومن الجدير بالذكر ان هاتين المرويتين لم تكونا بعيدتين عما روي في فضل مكة والمدينة ، بل نراهما احيانا محاكاة للإيجاد الصناعي الحدثي لمدينتي مكة والمدينة ، والتي منها :

أ – روي عن الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) انه كان يطوف بالكعبة ويقول (ما أطيبك واطيب ريحك ، ما اعظمك وأعظم حرمتك ، والذي نفس محمد بيده ، لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ، ماله ودمه ، وان نظن به خيرا) ٠(٣٨)

ب- روي عن الامام علي (عليه السلام) انه قال في خطبة له (قال رسول الله (صلع)، المدينة حرم ما بين عير الى ثور ، فمن احدث فيها حدثا ، او آوى محدثا ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا) . (٣٩)

ج – روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال: (ما بين لابتي المدينة حرم ، فقيل طيرها كطير مكة ، قال : لا ، ولا يعضد شجرها ، قيل له : وما لابتاها ، قال : ما أحاطت به الحرة ، حرم ذلك رسول الله (صلع) ، لا يهاج صيدها ولا يعضد شجرها) . (٤٠)

د – روي عن الإمام علي (عليه السلام) انه قال : (من خرج من المدينة رغبة عنها أبدله الله شرا منها) . (٤١)

٣- مرويات الفخر الاجتماعي

أوردت لنا المصادر عدة مرويات تعكس البعد الفخروي الاجتماعي لأهل الكوفة ، يمكن اجمالها بالاتي :

أ – روي ان الامام علي (عليه السلام) ، كتب الى أهل الكوفة (اني قد أخترتكم على أهل الأمصار ، فرغبت اليكم وفزعت لما حدث ، فكونوا لدين الله أعوانا وأنصارا ، ا- وايدونا – وانهضوا إلينا ، فالإصلاح نريد لتعود هذه الأمة أخوانا). (٤٢)

ب – روي عن الامام علي (عليه السلام) قال : أنتم الأنصار على الحق والإخوان في الدين ، الجنن يوم البأس ، والبطانة دون الناس ، بكم أضرب المدبر ، وأرجوا طاعة المقبل ، فأعينوني بمناصحة خلية من الغش ، سليمة من الريب ، فوالله اني لأولى الناس بالناس) . (٤٣)

ج – روي أن الامام علي (عليه السلام) ، صعد منبر مسجد الكوفة وقال مخاطبا أهلها (أما بعد يا أهل الكوفة فان لكم في الإسلام فضلا ما لم تبدلوا أو تغيروا ، دعوتكم الى الحق فأجبتم ، وبدأتم بالمنكر فغيرتم ، الا ان فضلكم فيما بينكم وبين الله في الأحكام والقسم ، فأنتم أسوة من أجابكم ودخل فيما دخلتم فيه ، الا أن أخوف ما أخاف عليكم إتباع الهوى ، وطول الأمل ،فأما أتباع الهوى فيصد عن الحق ، وأما طول الأمل فينسي الآخرة) . (٤٤)

د – روي أن الأمام علي (عليه السلام)قال بحق أهل الكوفة : (أنتم الشعار وأنتم الدثار ، وفيكم محياي وعندكم مماتي ، وكان يقول : أختار الله لنبيه مكة ، فأختار رسول الله عليه السلام لهجرته المدينة) .[٤٥]

تعكس لنا هذه المرويات ، أن البعد الفخروي الاجتماعي للكوفيين أرتبط بتفضيل الامام علي (عليه السلام) ،لأهل الكوفة على بقية الأمصار ، وانه قد أختارهم ليكونوا الأعوان والأنصار لدين الله ، وليصبحوا مادة عاصمته المستقبلية ، بعد خروجه من مدينة الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم)، ما داموا بعدين عن اتباع الهوى. ومن الجدير بالذكر أن حديث الفخر الكوفي في المروية (د) هو مقارب روائي للحديث المروي عن الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم)في كلام له للأنصار(أنتم العار والناس الدثار).[٤٦] ، ليعكس قرب الأنصار منه ، الا أن أنصارالكوفة كانوا أقرب للأمام علي (عليه السلام) ، فهم الخاصة والعامة[٤٧]، وقد وردت هذه المروية أيضا على لسان الأمام السجاد (عليه السلام) في حوارية له مع قوم من الكوفة فسألهم (ممن القوم : قلنا :كوفيون ، فقال : مرحبا بكم يا أهل الكوفة أنتم الشعار دون الدثار). [٤٨]

هـ – روي عن الأمام الصادق (عليه السلام) ن أنه قال لقوم بعد أن سألهم ممن القوم فقالوا من أهل الكوفة (أنه ليس بلد من البلدان ولا مصر من الأمصار أكثر محبا لنا من أهل الكوفة ،ان الله هداكم لأمر جهله الناس فأحببتمونا وأبغضنا الناس ، وصدقتمونا وكذبنا الناس ،وأتبعتمونا وخالفنا الناس ، فجعل الله محياكم محيانا ، ومماتكم مماتنا ، فأشهد على أبي انه كان يقول : ما بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى ما تقر به عينيه الا أن تبلغ نفسه ها هنا – واوما بيده الى حلقه – وقد قال الله في كتابه : ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية ،فنحن ذرية رسول الله صلى الله عليه واله وسلم). [٤٩]

و – روي عن الأمام الصادق (عليه السلام) انه قال :(الحمد لله الذي جعل أجلة موالي بالعراق). [٥٠]

من أهم الملاحظات على هاتين المرويتين ، أن مسار الفخر الأجتماعي فيهما قد تحرك من التخصيص في مروية (ه) ، الى التعميم في مروية (و)، حيث أشارت مروية (هـ)الى أن خصوصية المحبة والموالاة لأهل البيت قد أعطيت لاهل الكوفة ،والتي أعطتهم توصيفا دينيا خلقيا ،فهم أسرع الناس هداية وهم المحبين والصادقين لاهل البيت ، لذا يكون محياهم محيا ال محمد ومماتهم ممات ال محمد (عليهم السلام)

ز – روي عن سلمان المحمدي قوله : (أهل الكوفة أهل الله ، وهي قبة الإسلام يحن اليها كل مؤمن)٠ (٥١)

توضح هذه المروية ان بعدية الفخر الاجتماعي لأهل الكوفة متجلية بالبناء الأقتراني بين لفظتي أهل الكوفة وأهل الله ، أي أن البناء الأجتماعي لأهل الكوفة يعد بناءا إلهيا ، ليمثلوا مركز استقطاب لكل مؤمن ولتمثل الكوفة قبة الإسلام لينضوا تحتها ٠

ح – روي عن سفيان بن عيينة قوله (خذوا المناسك عن أهل مكة ، وخذوا القراءة عن أهل المدينة ، وخذوا الحلال والحرام من أهل الكوفة)٠ (٥٢)

تعكس هذه المروية بعدا فخرويا اجتماعيا ، يتمثل بالصفة الأيمانيةلاهل الكوفة لمعرفتهم بالحلال والحرام ،والذي يمثل بناءا مهما للشخصية الكوفية ، حيث هي المصدر المعرفي والتطبيقي الأخلاقي للآخرين لكي يأخذوا منهم معرفة الحلال والحرام ٠

الخاتمة :

أفرزت لنا دراسة مرويات الفخر الكوفي ، جملة من النتائج التي يمكن تضمينها في الخاتمة ، والتي ياتي في مقدمتها :

١ – للكوفة مكانة حاضرة في صناعة الحدثية التاريخية ، والتي انعكست بمجالات معرفية عديدة في المسار التدويني ٠

٢ – الكوفة كمصر من الأمصار ، المؤسسة خارج نطاق الجزيرة العربية ، دخلت محورية الفخر التنافسي في الموروث الفكري الإسلامي ٠

٣ – تنوعت الجوانب الفخرية لأهل الكوفة في مروياتهم العديدة ، لتشمل الجوانب العقدية والفكرية والعمران والاجتماعي ٠

٤ – قدرة العقل الصياغي الكوفي على محاكاة وانشاء مرويات صياغية لتحاكي واقع حدثي أو ابتداعي لصناعة تأريخ مستقبلي لم يكن بعيدا عن التأريخ الغيبوي ،لتعكس العلاقة الترابطية بين المدون التأريخي وبين تفاعلية العقل الصياغي الكوفي مع بيئته عبر مسارها التأريخي ٠

الملخص :

شكل المسار التدويني لرواية فخر الأمصار التي أسسها المسلمون خارج نطاق الجزيرة العربية ، أسا معرفيا في الفكر التأريخي بأبعاده المتعددة والتي تشمل المدون الإلهي، والتأريخ الحدثي الصياغي البشري، والتاريخ الصياغي المتشكل من انطلاقية العقل المدون وتفاعله مع بيئته ، من هنا جاء التوجه لدراسة رواية الفخر لمدينة الكوفة التي مصرت عام(١٧ هـ / ٦٣٨م) والتي عنونت ب" مرويات الفخر الكوفي – دراسة تحليلية " ، فرواية الفخر الكوفي أخذت ابعادا متعددة ومتنوعة عكست النتاج الحاصل لتلك العلاقة الترابطية بين المدون التأريخي وبين تفاعلية العقل الصياغي الكوفي مع بيئته عبر مسارها التأريخي، فركزت الدراسة على أهم جوانب ذلك الفخر ببعدياته العقدية والعمرانية والفكرية والاجتماعية ، وبيان الأتجاه القصدي الأيجادي لمثل هذه المرويات والمنعكسة من صراع الأمصار المؤسسة خارج نطاق الجزيرة العربية ٠

الهوامش :

١- العياشي : تفسير العياشي ١/ ٣٤ ، البحراني : البرهان في تفسير القران ١/ ١٧٧، المجلسي: بحار الأنوار ١١/ ١٤٩ ، ٩٧ / ٢٣٢، نعمة الله الجزائري : النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين ص ٣٦ ، القمي المشهدي : تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب ١/٣٥١ ٠

٢ – أنظر : ابن قولويه : كامل الزيارات ص ٣١٥ ، المفيد :المزار ص٣٤ –٣٥ ، المشهدي :المزار ص ٣٤٤، البراقي : تاريخ الكوفة ص ٦٦– ٦٧ ٠

٣- البروجردي : الصراط المستقيم في تفسير الكتاب الكريم ٥/ ٢٨٠ – ٢٨١ ٠

٤ – الكهف اية ٥٠ ٠

٥ – الحجر اية ٢٨ – ٢٩ ٠

٦ – ينظر : ابن أدريس الحلي : مستطرفات السرائر ص ٢٦٣، الشريف المرتضى: رسائل الشريف المرتضى ٤/ ١٣٠ – ١٣٣ .

٧ – ابن قولويه : كامل الزيارات ص ٣١٤ ، الشجري : فضل زيارة الحسين (ع) ص ٥٥، المجلسي: بحار الأنوار ٩٨/ ٤٦ .

٨ – الصدوق : ثواب الأعمال ص ٨٨، الحر العاملي : وسائل الشيعة ١٠/ ٤٠٦ – ٤٠٧ ، ١٤ / ٥١٨ – ٥١٩ ، البروجردي : جامع أحاديث الشيعة ١٢/ ٥٠٣ .

٩ – الأحزاب : اية ٧٢ .

١٠ – الشجري : فضل زيارة الحسين ص ٥٥ .

١١- ابن قولويه : كامل الزيارات ص ٣١٣، الصفار : بصائر الدرجات ص ٩٦ ، المجلسي : بحار الأنوار ٢٣/ ٢٨١، ٥٧ / ٢٠٩ ،٩٧، ٢٥٩ .

١٢ - ابن عقدة الكوفي : فضائل أمير المؤمنين (ع) ص ١٣٩ ، المفيد : الأمالي ص ١٤٢ .

١٣ – الأحزاب : اية ٧٢ .

١٤- مناقب ال ابي طالب ٢/ ١٤٢، وينظر كذلك ، البحراني : البرهان ٤/ ٥٠١ – ٥٠٢ .

١٥ – النوري الطبرسي : مستدرك الوسائل ١/ ٢٠٤ ، البراقي : تاريخ الكوفة ص ٦٨ ، البروجردي: جامع أحاديث الشيعة ١٢ / ٢٨٦ .

١٦ – النوري الطبرسي : خاتمة مستدرك الوسائل ١/ ١١، ٤ / ٤٨٥ ، محسن الأمين: أعيان الشيعة ٥ / ٢٤٦ -٢٤٧ .

١٧ – ينظر : الطبري الشيعي : دلائل الأمامة ص ١٦ ، المفيد الفصول العشرة ص ١٠ ، ٣١٣

١٨ – القزع ، قطع السحاب المتناثرة او المتفرقة ، ابن منظور : لسان العرب ٨/ ٢٧١ .

١٩ – ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ١/ ٢٩٧ .

٢٠ - ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ١ / ٢٩٧ .

٢١- ابن الفقيه الهمذاني : البلدان ص ٢٠٠، ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤/ ٤٩٢

٢٢- الشجري : فضل الكوفة وفضل أهلها ص ١٣٠ ، القندوزي : ينابيع المودة ٣/ ٣٠٠ ، محسن الأمين : أعيان الشيعة ٢ / ٥١ .

٢٣ – المرعشي : شرح احقاق الحق ٢٩/ ٤٤٦ – ٤٤٧ .

٢٤ – اثبات الوصية ص ٣١ – ٣٢ .

٢٥ - ينظر : ابن الفقيه الهمذاني : البلدان ص ٢٠٠، ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤ / ٤٩٢ .

٢٦ – اثبات الوصية ص ٣٠ – ٣١ .

٢٧ – الخصيبي : الهداية الكبرى ص ٤٢٧ .

٢٨ – ابو حنيفة الدينوري : الأخبار الطوال ص ١٥٢ .
٢٩ – الشريف الرضي : خصائص الأئمة ص ١١٤ .
٣٠ – الديلمي : ارشاد القلوب ٢/ ٤٣٩ ، المجلسي : بحار الأنوار ٤٢ / ٢١٧ .
٣١ – ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ١ / ٢١٣ ، التقي الهندي : كنز العمال ٢/ ٤٧٣ .
٣٢ – ابن طاووس : فرحة الغري ص ٥٨ .
٣٣ – المجلسي : بحار الأنوار ٥٧ / ٢١٠ .
٣٤ – ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ١ / ٢١٣ ، التقي الهندي : كنز العمال ٢/ ٤٧٣
٣٥ – المجلسي : بحار الأنوار ٥٧ / ٢١٠ .
٣٦ – كامل الزيارات ص ٣١٥ ، المفيد : المزار ص ٣٤ – ٣٥ ، المشهدي : المزار ص ٣٤٣ – ٣٤٤ .
٣٧ – ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤ / ٤٩٢ .
٣٨ – ابن ماجه : سنن ابن ماجه ٢ / ١٢٩٧ .
٣٩ – القاضي النعمان : دعائم الاسلام ١/ ٢٩٥ .
٤٠ – القاضي النعمان : دعائم الاسلام ١/ ٢٩٦ .
٤١ – القاضي النعمان : دعائم الاسلام ١/ ٢٩٦ .
٤٢ -- ابن كثير : البداية والنهاية ٧ / ٢٦٢ ، ابن الصباغ المالكي :الفصول المهمة في معرفة الأئمة ١ / ٣٩٠ .
٤٣ – ابن ابي الحديد : شرح النهج ٧ / ٢٨٤ .
٤٤ – ابن ابي الحديد : شرح النهج ٣ / ١٠٣ .
٤٥ – ابن الفقيه الهمذاني : البلدان ص ٢٥٢ .
٤٦ – الشريف الرضي : المجازات النبوية ص ٤١ – ٤٢ .
٤٧ – الشريف الرضي : المجازات النبوية ص ٤١ – ٤٢ .
٤٨ – الكليني : الكافي ٦ / ٤٩٧ – ٤٩٨ .
٤٩ – فرات الكوفي : تفسير فرات ص ٢١٦ – ٢١٧ ، وينظر بأختلاف بسيط : الكليني : الكافي ٨ / ٨١ ، القاضي النعمان : شرح الاخبار ٣ / ٤٥٩ – ٤٦٠ ، الطوسي : الأمالي ص ١٤٤، ٦٧٨ – ٦٧٩ ، عماد الدين الطبري : بشارة المصطفى ص ١٣٥ -١٣٦ ، المازندراني : شرح أصول الكافي ١١/ ٤٥٤ -٤٥٥، الخوئي : معجم رجال الحديث ١١/ ٣٩٣ – ٣٩٤ .
٥٠ – النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ٩ /١٩٩ .
٥١ – ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤ / ٤٩٢ .
٥٢ – ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤ / ٤٩٣ .

المصادر والمراجع

القران الكريم

المصادر

•ابن أدريس الحلي :ابو عبدالله محمد بن أحمد بن أدريس (ت ٥٩٨ه / ١٢٠١ م)
١ – مستطرفات السرائر ، تح محمد مهدي الخرسان ، ط ١،نشر العتبة العلوية النجف٢٠٠٨ م ٠
•البحراني : هاشم بن سليمان بن أسماعيل (ت١١٠٧ ه /١٦٩٦م)
٢ – البرهان في تفسير القران ، تح مؤسسة البعثة ، قم المقدسة ٠
•ابن ابي الحديد: ابو حامد بن هبة الله بن محمد (ت ٦٥٦ ه / ١٢٥٨ م)
٣ – شرح نهج البلاغة ، تح محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط ١ ،بيروت ١٩٥٩ م
•الحر العاملي : محمد بن الحسن (ت ١١٠٤ ه /١٦٩٣ م)
٤- وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة ، تح مؤسسة ال البيت عليهم السلام لأحياء التراث ، ط ٢، قم المقدسة ١٤١٤ ه ٠
•ابو حنيفة الدينوري : أحمد بن داود (ت ٢٨٢ ه / ٨٩٥ م)
٥ – الأخبار الطوال ، تح عبدالمنعم عامر ، ط١ ،دار احياء الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٦٠ م ٠
•الخصيبي : الحسين بن حمدان (ت ٣٣٤ ه / ٩٤٥ م)
٦-الهداية الكبرى ، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٩١م ٠
•الديلمي : ابو محمد الحسن بن محمد ٠ ت ٧١١ه / ١٣١١م)٠
٧ – أرشاد القلوب ، ط٢ ، انتشارات الشريف الرضي ، قم المقدسة ١٤١٥ ه
•الشجري : محمد بن علي العلوي (ت ٤٤٥ ه / ١٠٥٣ م)
٨ – فضل زيارة الحسين (ع) ، اعداد احمد الحسيني ، قم المقدسة ١٩٨٣ م ٠
٩ – فضل الكوفة وفضل أهلها ، تح محمد سعيد الطريحي ، مؤسسة اهل البيت ، بيروت ١٩٨٨م ٠
•الشريف الرضي : محمد بن الحسين الموسوي (ت ٤٠٦ ه / ١١٠٣ م)

١٠- خصائص الأئمة ، تح محمد هادي الأميني ، مجمع البحوث الاسلامية ، مشهد المقدسة ١٤٠٦ هـ ٠
١١- المجازات النبوية ، تح محمد الزيتي ، منشورات مكتبة بصيرتي ، قم المقدسة
•الشريف المرتضى : علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦ ه / ١٠٤٢م)
١٢ – رسائل الشريف المرتضى ، اعداد مهدي الرحماني ،مطبعة سيد الشهداء ، قم المقدسة ١٤٠٥ه٠
•ابن شهر اشوب : ابو جعفر محمد بن علي (ت ٥٨٨ه / ١١٩٢ م)٠
١٣ – مناقب ال ابي طالب ،المطبعة الحيدرية ، النجف ١٩٥٦م ٠
•ابن الصباغ المالكي : علي بن محمد المالكي (ت ٨٥٥ ه / ١٤٥١ م)
١٤ - الفصول المهمة في معرفة الأئمة ، تح سامي الغريري ، ط١ ، دار الحديث للطباعة والنشر ، قم المقدسة ١٤٢٢ ه٠
•الصدوق : ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت ٣٨١ ه / ٩٩٢م)
١٥ – ثواب الأعمال وعقاب الأعمال ، تقديم محمد مهدي الخرسان ، ط٢ ، منشورات الرضي ، قم ١٣٦٨ ه٠ ش ٠
١٦ - من لا يحضره الفقيه ، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ،ط٢ ، قم المقدسة ٠
•الصفار : ابو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ (ت ٢٩٠ ه / ٩١٩ م)
١٧ - بصائر الدرجات الكبرى في فضائل ال محمد (ع)، تقديم وتعليق ميرزا محسن ن م منشورات الأعلمي ، طهران ١٤٠٤ ق ٠
•ابن طاووس : عبدالكريم بن طاووس الحسني (ت ٦٩٣ / ١٢٩٤ م)
١٨ – فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، تح تحسين ال شبيب، ط١ ، مركز الغدير للدراسات الاسلامية ، ١٩٨٨ م ٠
•الطبري الشيعي :محمد بن جرير بن رستم (ت ق ٥ ه / ق ١١ م)
١٩ – دلائل النبوة ، تح قسم الدراسات الأسلامية ، مؤسسة البعثة ، قم ١٤١٣ ه٠ ق أحمد بن محمد

•الطوسي : ابو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠ ه / ١٠٦٨ م)
٢٠- الأمالي ، تح قسم الدراسات الأسلامية ، ط١ ، نشر مؤسسة البعثة ، قم المقدسة ١٤١٤ه٠
•ابن عساكر :ابو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله (ت ٥٧١ ه / ١١٧٦م)
٢١ – تاريخ مدينة دمشق ، تح علي شيري ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت، لبنان ١٩٩٥م
•ابن عقدة الكوفي : ابو العباس أحمد بن محمد (ت ٣٣٣ه / ٩٤٣ م)
٢٢- فضائل أمير المؤمنين ، جمع وترتيب عبدالرزاق محمد حسين فيض الدين ، ط١،قم٢٠٠٣م٠
•عماد الدين الطبري : ابو جعفر محمد بن ابي القاسم (ت نحو٥٢٥ه / ١١٣٠م)
٢٣- بشارة المصطفى لشيعة المرتضى (عليهما السلام) ، تح جواد القيومي الاصفهاني ، ط١ ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم المقدسة ١٤٢٠ ه ٠
•العياشي : محمد بن مسعود بن عياش (ت ٣٢٠ ه / ٩٣٢ م)
٢٤- تفسير العياشي ، تح هاشم الرسولي المحلاتي ، المكتبة العلمية ، طهران ٠
•فرات الكوفي : فرات بن أبراهيم (ت ٣٥٢ه / ٩٦٢ م)
٢٥ – تفسير فرات الكوفي ، تح محمد الكاظم ، ط١ ، مؤسسة الطبع والنشر ، طهران ، ١٩٩٠ م ٠
•ابن الفقيه الهمذاني : احمد بن محمد (ت ٣٤٠ ه / ٩٥٢ م)
٢٦- البلدان ، تح يوسف الهادي ، ط١ ، لبنان ١٩٩٦ م ٠
•الفيض الكاشاني : محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ ه / ١٦٨٠ م)
٢٧ – الوافي ، تح ضياء الدين الحسيني ،ط١ ، اصفهان ١٤٠٦ هـ ٠
•القاضي النعمان : النعمان بن محمد بن منصور (ت ٣٦٣ ه / ٩٧٤ م)
٢٨- دعائم الأسلام ، تح اصف بن علي اصغر فيض ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٣م٠
٢٩ – شرح الأخبار في فضائل الائمة الاطهار، تح محمد الحسيني الجلالي ،ط٢ ن مؤسسة النشر الأسلامي قم المشرفة ١٤١٤ هـ ٠
•القمي المشهدي : محمد بن محمد بن رضا (١١٢٥ ه / ١٧١٣ م ٠

٣٠ – تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب ، تح حسين در كاهي ،ط١، مؤسسة الطبع والنشر ، ايران ،١٣٦٦ ه ٠ ش ٠
•ابن قولويه : جعفر بن محمد القمي (ت ٣٦٧ ه / ٩٧٨ م)
٣١- كامل الزيارات ، تح جواد القيومي ، ط١ ، مؤسسة نشر الفقاهة ن ايران ١٤١٧هـ
•ابن كثير : اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤ ه / ١٣٧٢ م)
٣٢ – البداية والنهاية ، تح علي شيري ن ط١ ن دار احياء التراث ، لبنان ١٩٨٨م
•الكليني : ابو جعفر محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩ ه / ٩٥٠ م)
٣٣- الكافي ، تعليق علي اكبر الغفاري ،ط٣ ، دار الكتب الاسلامية ، طهران ١٣٨٨هـ
•ابن ماجة :محمد بن يزيد القزويني ٠ ت ٢٧٣ ه/ ٨٨٨م)
٣٤ – سنن ابن ماجة ، تح محمد فؤاد عبد الباقي ، ط١ ، دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٥٤ م ٠
•المازندراني : محمد صالح المازندراني (ت ١٠٨٨ ه / ١٦٧١م)
٣٥- شرح اصول الكافي ، ضبط السيد علي عاشور ، ط١ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، ٢٠٠٠م ٠
•المتقي الهندي : علاء الدين علي المتقي (ت ٩٧٥ ه / ١٥٦٨ م)
٣٦ – كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ، تح بكري حياني ، مؤسسة الرسالة بيروت بيروت ، لبنان ١٩٨٩ م ٠
•المجلسي : محمد باقر (ت ١١١١ه / ١٧٠٠ م)
٣٧ - بحار الانوار ، ط٣ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ١٩٨٣ م
•المرعشي : نور الله الحسيني (١٠٩١ ه / ١٦١١م)
٣٨ – شرح احقاق الحق ، اهتمام محمود المرعشي ، ط١ ، قم ١٤١٥ ه ٠
•المسعودي : علي بن الحسين (ت ٣٤٦ ه / ٩٥٧ م)
٣٩ – اثبات الوصية للامام علي بن ابي طالب ، ط٢ ، دار الاضواء ، بيروت ١٩٨٨م٠
•المشهدي : محمد بن جعفر ٠ ت ٦١٠ ه / ١٢١٣م)
٤٠ – المزار ، تح جواد القيومي ، ط١ ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ١٤١٩هـ

•المفيد : محمد بن محمد بن النعمان ٠ ت ٤١٣ ه / ١٠٢٣ م)
٤١ – الامالي ، تح علي اكبر الغفاري ، ط٢ ، دارالمفيد للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ١٩٩٣م٠
٤٢ –الفصول العشرة في الغيبة ، تح فارس الحسون ، ط٢ ، دار المفيد للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ١٩٩٣ ٠
٤٣ –المزار ، تح محمد باقر الأبطحي ، دار المفيد للطباعة والنشر ن بيروت ، لبنان ١٩٩٣٠
•ابن منظور : محمد بن مكرم بن منظور ٠ ت ٧١١هـ / ١٦٧١م)
٤٤- لسان العرب ، نشر أدب الحوزة ن قم ، ايران ١٤٠٥ هـ ٠
•نعمة الله الجزائري : نعمة الله بن محمد (ت١١١٢هـ / ١٧٠١م)
٤٥ – النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين ، ط٢، منشورات مكتبة المرعشي ، قم المقدسة ، ١٤٠٤ هـ٠ق ٠
•ياقوت الحموي : شهاب الدين ابوعبدالله الرومي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م)
٤٦ – معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ٠

المراجع

•البراقي : حسين بن احمد (ت ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م)
١ – تاريخ الكوفة ، تح ماجد احمد العطية، المكتبة الحيدرية ، ط١ ١٤٢٤ ه٠
•البروجردي : حسين البروجردي (ت١٣٤٠ هـ/ ١٩٢٢م)
٢- تفسير الصراط المستقيم ، تعليق غلام رضا بن علي اكبر ، مؤسسة أنصاريان ، قم ١٩٩٥ م٠
•البروجردي : حسين الطبا طبائي (ت ١٣٨٣ / ١٩٦٣م)
٣- جامع أحاديث الشيعة ،المطبعة العلمية ، قم المقدسة ١٩٧٩ م٠
•الخوئي : ابو القاسم الموسوي (ت ١٤١٣ ه/ ١٩٩٣م)
٤- معجم رجال الحديث ، ط٥ ، مركز نشر الثقافة الاسلامية ، قم ١٩٩٢م٠
•محسن الأمين (ت١٣٧١ ه /١٩٥٢م)

٥ – أعيان الشيعة ، تح حسين الامين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ٠
•النمازي الشاهرودي : علي النمازي (ت ١٤٠٥ ه / ١٩٨٤ م)
٦ – مستدرك سفينة البحار ، تح حسن علي النمازي ، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، قم ٠
•النوري الطبرسي : حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠ ه / ١٩٠٢ م)
٧ – خاتمة مستدرك الوسائل ، تح مؤسسة ال البيت (ع) لاحياء التراث ، قم ١٤١٥هـ
٨– مستدرك الوسائل ، تح مؤسسة ال البيت (ع) لاحياء التراث ،ط٢ ، بيروت ، لبنان ١٩٨٨م٠

اضواء على تراث مدينة الكوفة في الحديث

أ.م فيصل غازي
د .زينب عبد المهدي نعمة
جامعة بغداد مركز احياء التراث العلمي والعربي

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين جاعل الارض سكنا للمؤمنين المهتدين ورافع السماء بغير عمد متين والصلاة والسلام على سيد الاولين والاخرين واله الطيبين الطاهرين وصحابته المنتجبين وبعد...

لا يخفى على كل ذي لب سليم ما للكوفة من عظيم الاثر في تراث الامة الاسلامية في شتى المجلات حتى لا نرى أي علم من العلوم الا وللكوفيين الكأس المعلى في هذا العلم والمدرسة النحوية في الكوفة ليست ببعيدة عن هذا التميز الذي رسم للغة العربية مسارا جديدا وفهما اعمق واشمل من باقي المدارس التي تفننت في اللغة كذلك الحال في باقي العلوم والفنون كافة ومن بين تلك العلوم علم الحديث موضوع بحثنا هذا .

يقول المؤرخ العلامة السيد حسن الأمين رحمه الله، إن الكوفة "جديرة بالدراسات الكثيرة والمؤلفات العديدة التي توضح تاريخها وتجلو ماضيها" وأنها ازدهرت "بالعلم والعلماء والشعر والشعراء والشهادة والشهداء".

فمازالت أسماعنا تتشنف بسماع مقولة: «كان يتفقه على مذهب الكوفيين. أو «كان إماماً على مذهب الكوفيين» أو. قال الكوفيون وقال البصريون. وهكذا..

فهذا الكلام يعبّر عن قيمتها المعرفية والعلمية والحضارية الشهيرة-أي الكوفة-، في كافة العلوم.

وأما جنبة الحديث - والذي نحن بصدده- فنستطيع أن نصف الكوفة بمدرسة الفقه والحديث في عصر الامام الصادق عليه السلام حيث تخرجت من هذه المدرسة العملاقة ما يناهز أربعة آلاف طالب ممن رووا الحديث عنه عليه السلام.

يقول الشيخ أسد حيدر في الفقه على المذاهب الأربعة:

.فلم يكن من المبالغة وصف مدرسة الإمام الصادق بأنّها جامعة إسلامية، خلّفت ثروة علمية وخرّجت عدداً وافراً من رجال العلم، وأنجبت خيرة المفكرين وصفوة الفلاسفة

وجهابذة العلماء، وقد عدّت أسماء تلامذته والمتخرّجون من مدرسته فكانوا أربعة آلاف رجل، وقد صنّف الحافظ أبو العباس بن عقدة كتاباً جمع فيه رجال الصادق ورواة حديثه وأنهاهم إلى أربعة آلاف.(١).

فكان رواد العلم والفقاهة والحديث وغيرهم يأمونها من كل حدب وصوب، وقد كان لها من الأهمية أيضاً بحيث كانت محلاً لاستقطاب طلبة العلم وهجرة جمع غفير من الصحابة والتابعين الى هذه المدينة والإقامة فيها.

يقول البراقي في تاريخ الكوفة:

ازدلفت إليها ﴿أي الكوفة﴾ زرافات من خيار الصحابة ورجالات التابعين ورواد العلم وحفاظ الحديث ، فمن والج مدينة العلم من بابه المفتوح على هذه الحاضرة الدينية بكلا مصراعيه، ومن كارع من بحر فضله المديد الوافر متهذب بخلقه العذب النمير ومعتبر بعظاته البالغة، وآخذ منه معالم دينه وراو عنه صدق الحديث، ومحض الحقيقة ... فمن كل ذلك كان في الكوفة من كل هؤلاء فريق لا يستهان بعدتهم.(٢).

وقد لبث الإمام الصادق عليه السلام في الكوفة سنتين، فألبسها كسوة ورونقاً معرفياً قل نظيره، بحيث سميت تلك الفترة أو ذلك العصر بـ (العصر الذهبي) حيث شاعت أجواء العلم بمختلف ألوانه فنجد أن السني والشيعي وغيره في تلك المدرسة على حد سواء، فهذا أبو حنيفة كما يقول الآلوسي:

« أبو حنيفة وهو من أهل السُنّة يفتخر ويقول بأفصح لسان: لولا السنتان لهلك نعمان، يعني السنتين اللّتين جلس فيهما لأخذ العلم عن الإمام جعفر الصادق.(٣).

يقول الأستاذ جمال الدين الداوردي:

«ولا مشاحة أنّ انتشار العلم في ذلك الحين قد ساعد على فكّ الفكر من عقاله، فأصبحت المناقشات الفلسفية عامة في كلّ حاضرة من حواضر العالم الإسلامي، ولا يفوتنا أن نشير إلى أنّ الذي تزعم تلك الحركة: هو حفيد علي ابن أبي طالب المسمى بالإمام الصادق، وهو رجل رحب، أفق التفكير، بعيد أغوار العقل، ملمّ كلّ الإلمام بعلوم عصره، ويعتبر في الواقع أ نّه أول من أسس المدارس الفلسفية المشهورة في

الإسلام، ولم يكن يحضر حلقته العلمية أُولئك الذين أصبحوا مؤسسي المذاهب الفقهية فحسب، بل كان يحضرها طلاب الفسلفة والمتفلسفون من الأنحاء القاصية»[٤].

وعلى أي حال فان مدرسة الامام الصادق عليه السلام كانت مصدراً للعالم وينبوعاً يفيض على الأمة بالعلوم والمعارف الإسلامية، وقد أغدقت على العالم الإسلامي خدماتها الجليلة، في بثِّ التعاليم القيّمة في عصر ازدهر فيه العلم، واقبل المسلمون على انتهاله[٥].

فخرّجت هذه المدرسة لفيفاً من فحول العلم مما لا حصر له ولا عد، فكل منهم يقول حدثني جعفر بن محمد في مختلف فروع العلوم والفنون.

فمن الفقهاء الكوفيين، أبان بن تغلب بن رباح الكوفي، ومحمد بن مسلم الطائفي، وزرارة بن أعين، إلى غير ذلك ممن تكفلت كتب الرجال بذكرهم والتعريف بهم كما سيأتي.

ولقد ألّف فقهاء الشيعة ومحدثوهم في الكوفة (٦٦٠٠) كتاب، وامتاز من بينها (٤٠٠) كتاب اشتهرت بالأصول الأربعمائة، فهذه الكتب هي التي أدرجها أصحاب الجوامع الحديثية في كتبهم المختلفة. ولم تقتصر الدراسة آنذاك على الحديث والتفسير والفقه، بل شملت علوماً أخرى ساعدت على تخريج جملة واسعة من المؤلفين الكبار الذين صنفوا كتبا كثيرة في علوم مختلفة ومتنوعة كهشام بن محمد بن السائب الكلبي الذي ألف أكثر من مائتي كتاب، والفضل بن شاذان ألف (٢٨٠) كتاباً، وابن عمير صنف (١٩٤)كتاباً، وابن دول الذي صنف(١٠٠) كتاب، وجابر بن حيان أستاذ الكيمياء والعلوم الطبيعية، إلى غير ذلك من المؤلفين العظام في كافة العلوم الإسلامية [٦].

أضف إلى ذلك مساجدها ومعالمها التراثية لاسيما مسجدها الشهير (مسجد الكوفة) فهو معبد الأولياء والصديقين، قال الامام الصادق عليه السلام:.لو يعلم الناس ما فيه لأتوه ولو حبوا »[٧].

إذن هذه هي الكوفة وهذه معالمها الحضارية ومدرستها وتراثها المفعم بالعلم والفكر والمعرفة، فلنقف أمام هذا المركز العلمي والحديثي والثقافي الثر، باحثين عن معالمها ورواتها ومحدثيها.

وقبل الولوج في صلب البحث نعطي للقارئ نظرة موجزة حول أسم الكوفة في اللغة وبيان موقعها ومما ورد في بيان فضلها.

الكوفة في اللغة:

قال ابن منظور في لسان العرب:

والكوفة: الرملة المجتمعة، وقيل: الكوفة الرملة ما كانت، وقيل: الكوفة الرملة الحمراء وبها سميت الكوفة. الأزهري: الليث، كوفان اسم أرض وبها سميت الكوفة. وقال المفضل: إنما قال كوفوا هذا الرمل أي نحوه وانزلوا، ومنه سميت الكوفة.

وكوفان: اسم الكوفة، عن اللحياني، قال: وبها كانت تدعى قبل، قال الكسائي: كانت الكوفة تدعى كوفان. وكوف القوم: أتوا الكوفة، قال: إذا ما رأت يوما من الناس راكبا يبصر من جيرانها، ويكوف وكوفت تكويفاً أي صرت إلى الكوفة، عن يعقوب. وتكوف الرجل أي تشبه بأهل الكوفة أو انتسب إليهم.(٨).

وقال الزبيدي في تاج العروس:

.والكوفة: مدينة العراق الكبرى، وهي قبة الإسلام، ودار هجرة المسلمين، قيل: مصرها سعد بن أبي وقاص، وكان قبل ذلك منزل نوح عليه السلام، وبني مسجدها الأعظم، واختلف في سبب تسميتها، فقيل: سمي هكذا في النسخ، وصوابه سميت لاستدارتها، وقيل: بسبب اجتماع الناس بها وقيل لكونها كانت رملة حمراء، أو لاختلاط ترابها بالحصى، قاله النووي.

وقال الأموي: الكوفان بالضم العز والمنعة، ومنه قولهم: إنه لفي كوفان، وفتح ابن عباد الكاف وفي اللسان: إنه لفي كوفان من ذلك: أي حرز ومنعة.(٩).

وسميت كوفة الجند؛ لأنها أسست لتكون قاعدة عسكرية تتجمع فيها الجند.

وأي ما كان من سبب تسميتها فهي مدينة العراق الكبرى مصّرت في الإسلام بعد الفتح الإسلامي، وهي قبة الإسلام وجمجمة العرب، ورمح اللّه وكنز الايمان، دار هجرة المسلمين، وعاصمة أمير المؤمنين عليه السلام وفيها شيعته ومحبوه وأنصاره.

موقع الكوفة:

الكوفة تقع على نهر الفرات، وعلى مسافة(١٢) كيلومتراً من مدينة النجف، و (١٥٦) كيلومتراً من بغداد، و(٦٠) كيلومتراً جنوبي مدينة كربلاء. وأرضها سهلة عالية، ترتفع عن سطح البحر بـ (٢٢)متراً وشاطئها الغربي أعلى من الشرقي بستة أمتار.

شذرات في مدح الكوفة وفضلها

نقتطف بعض الروايات التي وردت في مدح الكوفة ومسجدها وأرضها مما جعلها محلاً لاستقطاب الفقهاء والمحدثين والأدباء، فضلاً عمن يريد التبرك بهذه التربة الطاهرة، ونذكر بعض منها:

١- روى ابن أبي شيبة في المصنف بسند صحيح، عن جندب﴿ الخير الازدي﴾ عن سلمان ﴿ الفارسي﴾، قال:

.الكوفة قبة الإسلام، يأتي على الناس زمان لا يبقي فيها مؤمن إلا بها أو قلبه يهوي إليها.(١٠).

٢- وروى أيضاً عن عبد الله بن عمر:

.يا أهل الكوفة أنتم أسعد الناس بالمهدي.(١١).

٣- روى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة عن أمير المؤمنين:

قوله عليه السلام:.إنه يحشر من ظهرها يوم القيامة سبعون ألفا، وجوههم على صورة القمر. وقوله عليه السلام:.هذه مدينتنا ومحلتنا، ومقر شيعتنا.

وقوله عليه السلام:.تربة تحبنا ونحبها.(١٢).

٤- وذكر الحمويني في معجم البلدان عن أمير المؤمنين أنه قال:

« الكوفة كنز الإيمان وجمجمة الإسلام وسيف الله ورمحه يضعه حيث يشاء، والذي نفسي بيده لينصرّن الله جلّ وعزّ بأهلها في شرق الأرض وغربها كما انتصر بالحجاز »(١٣).

٥- روى الشيخ الصدوق في الخصال، بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

.إن الله اختار من البلدان أربعة فقال عز وجل: (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين) فالتين المدينة، والزيتون بيت المقدس، وطور سينين الكوفة، وهذا البلد الأمين مكة »(١٤).

هذا نزر يسير من فضل الكوفة وأهلها ورد على لسان رسول الله صلى الله عليه وآلهوأهل بيته وأصحابه، مما جعلها تمتاز بمكانة خاصة بين سائر البلدان، ولعل ذلك أدى إلى هجرة الكثير من أهل العلم لاسيما من رواد أهل الحديث إلى قصد هذه المدينة من الصحابة والتابعين لينهلوا من علمها، كما سنأتي على ذكرهم لاحقاً.

دور الكوفة فكرياً وعلمياً:

للكوفة دور كبير في نشر الثقافة الإسلامية بجميع المستويات فقهاً وحديثاً وتفسيراً وأدباً وفلسفةً وغيرها، فالحركة العلمية في هذه المدينة دؤوبة ومستمرة، بحيث نجد أن من ينهل من علوم هذه المدرسة يكون ذا صفة خاصة تميزه عن أقرانه.

يقول أيوب بن المتوكل(ت/٢٠٠ هـ): وهو من علماء البصرة وقرائها:

«من لم يدخل الكوفة ويشرب من ماء الفرات لم يقرأ القرآن»[١٥]. فهو يكني عن أن الكوفة هي المنبع وهي الأصل في إفاضة العلم، لاسيما في علوم القرآن وحفظه فمن أراد هذا العلم وان يتدبره فعليه بالكوفة.

ولا عجب في ذلك فالكوفة هي المدرسة الكبرى للإمام الصادق عليه السلام كما تقدم ودوره بارز في نشر العلم والمعرفة فيها، يقول الحسن بن علي الوشاء:

«..فأني أدركت في هذا المسجد- مسجد الكوفة تسعمائة شيخ، كل يقول حدثني جعفر بن محمد.[١٦].

وسبقه فيها جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث تجد البلاغة والفصاحة بأروع صورها طافحة في نهجه الشريف.

وفي الكوفة أيضا تأسست مدرسة الامام أبي حنيفة وتقدم قوله، بحيث أوقف حياته على تلك السنتين التي تتلمذ فيها على يد أستاذه الامام الصادق عليه السلام.

ولعلك تسأل عن هذه الثروة العلمية الهائلة هل بزغ نورها فانتشر على الحواضر الإسلامية الأخرى، أم توقف العلم في إطارها وحبس فيها؟

فيجيبنا عن هذا التساؤل الامام مالك بن أنس حين وفد عليهم عالم من علماء الكوفة وهو سفيان الثوري فقال مالك:

.كانت العراق تجيش علينا بالدراهم والثياب، ثم صارت تجيش علينا بالعلم منذ جاء سفيان.[١٧].

فالعلم(ويقصد به علم الحديث) انتقل من الكوفة الى المدينة بل يجيش بوفرة وكثرة، كما يعبر عنه الامام مالك بن أنس.

وكذلك ما يرويه ابن سعد عن عبد الجبار بن عباس عن أبيه قال:

.جالست عطاء فجعلت أسائله فقال لي: ممن أنت؟ فقلت: من أهل الكوفة، فقال عطاء: ما يأتينا العلم الا من عندكم.[١٨].

إذن للكوفة والكوفيون فضل على بقية الأمصار فالحركة العلمية لا سيما في علم الحديث كما مر عليك، أخذت طابعاً معرفياً لتبادل الآراء بين مدرسة ومدرسة أخرى أو قل الرأي والرأي الآخر، فما من حاضرة من هذه الحواضر الا وللكوفيين فيها اثر من محّدث وفدها من الكوفة فحّدث فيها وتناقل أهلها حديثه، أو عالم من علمائها رحل الى الكوفة ليسمع بها الحديث، ومن ثم يعود الى بلده ليحدث أهل بلده بما تعلمه وسمعه من الكوفيين.

مناظرات فكرية وفلسفية لرجال الكوفة ورواتها

أما المناظرات الفكرية فقد أبدع أصحاب الامام الصادق عليه السلام، لاسيما ممن كان من أهل الكوفة ونذكر على سبيل المثال، تلك المناظرة التي جرت مع ذلك الشامي ، الذي كان يبدو منه أنه يريد أن يختبر علم الإمام ، فقدم له عليه السلام ثلة من بعض أصحابه الكوفيون، ليضربوا المثل الأعلى والرائع في جميع الفنون ففي العربية حمران، وفي الكلام مؤمن الطاق، وفي التوحيد هشام بن سالم ، وفي الإمامة هشام بن الحكم.

.عن هشام بن سالم قال : كنا عند أبي عبد الله (عليه السلام) جماعة من أصحابه فورد رجل من أهل الشام فاستأذن ، فأذن له فلما دخل سلم فأمره أبو عبد الله (عليه السلام) بالجلوس ، ثم قال له : ما حاجتك أيها الرجل ؟ قال : بلغني أنك عالم بكل ما تسأل عنه فصرت إليك لأناظرك ، فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : في ما ذا ؟ قال: في القرآن وقطعه وإسكانه وخفضه ونصبه ورفعه ، فقال أبو عبد الله : يا حمران دونك الرجل . فقال الرجل : إنما أريدك أنت لا حمران ، فقال أبو عبد الله (عليه

السلام) : إن غلبت حمران فقد غلبتني ، فأقبل الشامي يسأل حمران حتى ضجر . . . فقال الشامي : أناظرك في العربية ، فالتفت أبو عبد الله (عليه السلام) فقال : يا أبان بن تغلب ناظره ، فناظره فما ترك الشامي يكشر . قال : أريد أن أناظرك في الفقه ، فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : يا زرارة ناظره ، فما ترك الشامي يكشر . قال : أريد أن أناظرك في الكلام ، فقال : يا مؤمن الطاق ناظره ، فناظره فسجل الكلام بينهما ، ثم تكلم مؤمن الطاق بكلامه فغلبه به . فقال : أريد أن أناظرك في الاستطاعة ، فقال للطيار : كلمه فيها ، قال : فكلمه فما ترك يكشر . فقال : أريد أناظرك في التوحيد ، فقال لهشام بن سالم : كلمه ، فسجل الكلام بينهما ثم خصمه هشام . فقال : أريد أن أتكلم في الإمامة . فقال لهشام بن الحكم : كلمه يا با الحكم ، فكلمه ما تركه يرتم ولا يحلى ولا يمتر ، قال : فبقي يضحك أبو عبد الله (عليه السلام) حتى بدت نواجده . فقال الشامي : كأنك أردت أن تخبرني أن في شيعتك مثل هؤلاء الرجال ؟ قال : هو ذلك - إلى أن قال : - فقال الشامي : قد أفلح من جالسك - إلى أن قال : - فقال الشامي : إجعلني من شيعتك وعلمني ، فقال أبو عبد الله (عليه السلام) لهشام : علمه فإني أحب أن يكون تلميذاً لك.[١٩].

مساجد الكوفة ودورها في نشر الحديث

ومن الأمور التي جعلت الكوفة مركزاً علمياً وحديثياً هو ما تتمتع به من مساجد شرّفها الله تعالى بها، فصارت هذه المدينة محلاً لجذب العلماء ومحط نزولهم فيها، ولعل أبرز مساجدها الذي لعب دوراً مؤثراً في نشر الحديث وتداوله هو:

١- مسجد الكوفة الأعظم.

فهو يعتبر من أقدم المساجد عدا بيت الله الحرام.قال البراقي في تأريخ الكوفة:

.إن مسجد الكوفة أقدم من كل المساجد عدا بيت الله الحرام، كما ورد في الأخبار المأثورة في كتب السير والتواريخ. وورد أنه كان معبد الملائكة من قبل خلق آدم، وأنه البقعة المباركة التي بارك الله فيها، وأنه معبد أبينا آدم وما بعده من الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) ومعبد الأولياء و الصديقين، وأن من فضله عند الله أن المسافر حكمه

التقصير في الصلاة إلا في أربعة مواضع: أحدها مسجد الكوفة، فله التخيير في القصر والإتمام.(٢٠).

تخرّج أهل الحديث من مسجد الكوفة

لا نغالي إذا قلنا إن معظم من تخرج من أهل الحديث على يد أستاذهم ومعلمهم الامام الصادق عليه السلام، فقد تقدم قول الحسن بن علي بن زياد الوشاء، الثقة الجليل، الذي شهد على نفسه بأنه أدرك في مسجد الكوفة تسعمائة شيخ، كل يقول: حدثني جعفر بن محمد (عليهما السلام). ولا يبعد أن يكون معظم أصحاب الأصول الأربعمائة من جملة المشايخ الذين أدركهم الوشاء، وسمع عنهم في مسجد الكوفة.

وبهذا تكون مدرسة الكوفة هي الحاضنة الأولى لخريجي طلاب الحديث انطلاقاً من مسجدها الأعظم.

الشيخ الصدوق يستمع الى مشايخه في مسجد الكوفة

عند ورود الشيخ الصدوق رحمه الله الى الكوفة استمع.من مشايخها منهم: محمد بن بكران النقاش، وأحمد بن إبراهيم بن هارون القاضي الفامي في مسجد الكوفة، والحسن بن محمد بن سعيد الهاشمي الكوفي، وأبو الحسن علي بن عيسى المجاور في المسجد أيضاً. (٢١).

وفي هذا دلالة على أن هذا المسجد كان يرتاده طلاب الحديث ورواته.

أبان بن تغلب يفتي الناس في مسجد الكوفة

أبان بن تغلب بن رباح،أبو سعيد البكري الجريري الكوفي، ثقة جليل القدر سيد عصره وفقيهه وعمدة الأئمة عليهم السلام، روى عن الصادق " عليه السلام (ثلاثين ألف حديث) قال له أبو جعفر (عليه السلام): اجلس في مسجد الكوفة وافت الناس، إني أحب أن يرى في شيعتي مثلك.(٢٢).

أبو حنيفة يناظر في مسجد الكوفة

قدم الكوفة سبعون رجلاً من القدرية فتكلموا في مسجد الكوفة بكلام في القدر فبلغ ذلك أبا حنيفة فقال لقد قدموا بضلال ثم أتوه فقالوا نخاصمك قال فيما تخاصمونى قالوا في القدر قال أما علمتم إن الناظر في القدر كالناظر في شعاع الشمس كلما ازداد نظرا

ازداد حيرة أو قال تحيرا قالوا ففي القضاء والعدل قال فتكلموا على اسم الله فقالوا يا أبا حنيفة هل يسع أحدا من المخلوقين أن يجرى في ملك الله ما لم يقض قال لا، الا إن القضاء على وجهين منه أمر وحى والآخر قدرة...الخ [٢٣].

المناشدة والاحتجاج بحديث الغدير في مسجد الكوفة

أخرج الحافظ ابن أبي شيبة في مصنفه والحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده والهيثمي في زوائده نقلاً عن أبي يعلى واللفظ للثاني، قال:.حدثنا أبو بكر حدثنا شريك عن أبي يزيد الأودي عن أبيه قال دخل أبو هريرة المسجد﴿ أي الكوفة﴾ فاجتمع إليه الناس فقام إليه شاب فقال أنشدك بالله أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال فقال: أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.[٢٤].

استشهاد إمام الحديث والبلاغة في مسجد الكوفة:

لا غرو أن أمير وسيد الموحدين هو إمام الحديث ورأسه فهو القائل:. وأيم الله، لو أنشط، ويؤذن لي لحدثتكم حتى يحول الحول لا أعيد حرفاً. وأيم الله، عندي لصحف كثيرة، قطائع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).[٢٥].

وأخرج القندوزي، نقلاً عن الجويني الشافعي بسنده عن الإمام الباقر، عن أبيه، عن جده أمير المؤمنين (عليهم السلام)، أنه قال: . قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا علي! أكتب ما أملي عليك. قلت: يا رسول الله، أتخاف علي النسيان؟ قال: لا، وقد دعوت الله عز وجل أن يُحفظك ولا يُنسيك، ولكن أكتب لشركائك. قلت: ومن شركائي يا نبي الله؟ قال: الأئمة من ولدك... [٢٦].

وثيقة الامام علي عليه السلام في علم الدراية والرجال

ولو تأملنا في تلك الوثيقة التي يرسمها أمير المؤمنين عليه السلام بأبهى وأروع صورة في علم الرجال والدراية والجرح والتعديل، فهو يُعد المؤسس لهذا العلم [٢٧]، قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة:

ومن كلام له عليه السلام وقد سأله سائل عن أحاديث البدع وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر فقال عليه السلام : إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً وصدقاً وكذباً وناسخاً ومنسوخاً وعاماً وخاصاً ومحكماً ومتشابهاً وحفظاً ووهماً، وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم على عهده حتى قام خطيبا فقال (من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس:

رجل منافق مظهر للإيمان متصنع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم متعمداً فلو علم الناس انه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله،...فهذا أحد الأربعة .

ورجل سمع من رسول الله شيئا لم يحفظه على وجهه، فوهم فيه ولم يتعمد كذباً، فهو في يديه، ويرويه، ويعمل به، ويقول: أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوه منه، ولو علم هو أنه كذلك لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً يأمر به، ثم إنه نهى عنه، وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء، ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ المنسوخ، ولم يحفظ الناسخ، فلو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه .

وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يهم، بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به على سمعه لم يزد فيه ولم ينقص منه، فهو حفظ الناسخ فعمل به، وحفظ المنسوخ فجنب عنه، وعرف الخاص والعام والمحكم والمتشابه، فوضع كل شيء موضعه.

وقد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام له وجهان: فكلام خاص، وكلام عام، فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله سبحانه به، ولا ما عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيحمله السامع، ويوجهه على غير معرفة بمعناه، وما قصد به، وما خرج من أجله، وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يسأله ويستفهمه، حتى إن كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي والطارئ، فيسأله عليه السلام حتى

يسمعوا، وكان لا يمرّ بي من ذلك شيء إلا سألته عنه وحفظته، فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم.(٢٨).

ولذا طالما كان يقول أمير المؤمنين $:.إذا حدثتم بحديث فاسندوه إلى الذي حدثكم، فإن كان حقا فلكم، وإن كان كذباً فعليه.(٢٩).

وهذا الامام الهمام قد استشهد أثناء الصلاة على يد الخوارج في مسجد الكوفة.

٢- مسجد السَهلة:

هو من المساجد الكبيرة والذي لا يقل فضلاً عن مسجد الكوفة الكبير، وهذا المسجد شيّد في القرن الهجري الأول، وأيضاً كان هذا المسجد يرتاده طلاب الحديث بحيث أن بعض الرواة دفن في هذا المسجد، وممّن دُفِن بالسهلة: عليّ بن إبراهيم الخيّاط (ت ٢٠٧ هـ)، وأحمد بن محمّد الطائي (ت ٢٨١ هـ)، ومجد الدين حسن بن الحسين الطاهر العلوي (ت ٦٤٥ هـ).. وغيرهم.

٣- مسجد آل أعين :

آل أعين من الأسر الكوفية الشهيرة وهم من الرواة الثقات ،وكان من موضع آل أعين في الكوفة ومنزلتهم في الشيعة أن لهم مسجداً دخل فيه أبو عبد الله الصادق عليه السلام وصلى فيه ، وكان من المساجد الممدوحة بالكوفة ولهم محلة ، ودرب تعرفان بهم ، ودورهم متقاربة (٣٠).

٤- مسجد صعصعة بن صوحان العبدي:

صعصعة بن صوحان غني عن التعريف فهو من رواة الحديث المشهورين عظيم القدر من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، قال: الاردبيلي في جامع الرواة:

.صعصعة بن صوحان عظيم القدر من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام روى عن الصادق عليه السلام انه قال ما كان مع أمير المؤمنين عليه السلام من يعرف حقه إلا صعصعة وأصحابه روى ذلك الكشي في الصحيح. (٣١).

روى المفيد بسنده عن علي بن محمد بن عبد الرحمن التستري:

. قال: مررت ببني رؤاس فقال لي بعض إخواني: لو ملت بنا إلى مسجد صعصعة فصلينا فيه فإن هذا رجب ويستحب فيه زيارة هذه المواضع المشرفة التي وطئها الموالي بأقدامهم وصلوا فيها، ومسجد صعصعة منها... [٣٢].

ومن الطريف: أن معاوية أمره أن يصعد المنبر ويلعن علياً عليه السلام، فصعد صعصعة المنبر، وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس أتيتكم من عند رجل قدم شره، وأخر خيره، وأنه أمرني أن ألعن علياً، فالعنوه لعنه الله، فضج أهل المسجد بآمين [٣٣].

٥- مسجد زيد بن صوحان:

زيد بن صوحان أدرك النبي صلى الله عليه وآله وصحب علياً عليه السلام، ترجم له ابن حجر في تمييز الصحابة قائلاً:

.كان فاضلا ديناً سيداً في قومه،.. وروى أبو يعلى وابن منده من طريق حسين بن رماحس عن عبد الرحمن بن مسعود العبدي قال سمعت علياً يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر إلى من يسبقه بعض أعضائه إلى الجنة فلينظر إلى زيد بن صوحان. [٣٤].

قُطِعْت يدُه في يوم نهاوند سنة ٢٠ هجريّة. وشارك في معركة الجمل إلى جانب الإمام عليّ عليه السّلام وفيها استُشهِد سنة (٣٦ هـ) رحمه الله.

٦- مسجد جُعفي

بنو جُعفي بطن من سعد العشيرة بن مَذْحِج، وهو مالك بن أدد بن زيد بن يشخب بن عريب بن زيد بن كهلان. وفي الكوفة كان الكثير من الجُعفيّين ولهم بها محلّة، وقد نبغ منهم عدد من العلماء والأدباء ممّن ساهموا في الحياة الفكريّة والحديثية في الكوفة والبلاد العربيّة والإسلاميّة: كالشاعر الشهير المتنبّي أحمد بن الحسين الجعفي أبو الطيب، والفقيه جابر بن يزيد الجعفي، والشاعر عبيد الله بن الحرّ الجعفي.

إذن هذه بعض مساجد الكوفة والتي سميت بعضها باسم رواتها، ومعلوم أن تداول الحديث وإحياؤه ونقله ، كان في تلك المساجد لا سيما مسجدها الكبير كما تقدم .

الصحابة الذين نزلوا في الكوفة

ليس غريباً أن نجد أن معظم الصحابة والتابعين قد نزلوا الكوفة؛ لان رأس العلم المتمثل بأمير المؤمنين علي عليه السلام باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك أبنائه الامام الباقر والصادق عليهم السلام قد نزلوا في هذه المدينة؛ والأحاديث قد أمرت باتباعهم فهم سفن النجاة وباب حطتها؛ لذا تجد كبار الصحابة من القراء وحملة الحديث يسكنون ويهاجرون إلى الكوفة لتكون منزلاً لهم في حياتهم العلمية.

أما الصحابة الذين نزلوا الكوفة فنذكر منهم:

١.أبو جحيفة السوائي هو وهب بن عبد الله.

٢.أبو الخطاب الراوي عن النبي صلى الله عليه وآله.

٣.أبو رمثة التميمي حبيب بن حبان.

٤.أبو سبرة يزيد بن مالك المذحجي المتوفى سنة ١٠٠.

٥.أبو شهيم زيد أو يزيد بن أبي شيبة.

٦.أبو طيبة أو أبو ظبية صاحب منحة النبي صلى الله عليه وآله

٧.أبو قتادة بن ربعي الانصاري المتوفى سنة ٥٤.

٨.أبو ليلى بلال بن بليل الذي قتل بصفين.

٩.أبو مرحب العبدي سويد بن قيس الانصاري.

١٠. أبو مسعود الأنصاري عقبة بن عمرو.

١١. أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس توفي سنة ٤٣.

١٢.أسامة بن شريك الثعلبي من قيس عيلان.

١٣.الأسود بن ثعلبة اليربوعي الذي شهد حجة الوداع.

١٤.زيد بن أرقم الأنصاري أبو انس المتوفى.

١٥.سعد بن أبي وقاص أبو اسحاق الذي بنى الكوفة سنة ١٧.

١٦.حذيفة بن أسيد الغفاري أبو سريحة.

١٧.حذيفة بن اليمان أبو عبد الله المتوفى بالمدائن.

١٨.خباب بن الارت مولى لابن انمار شهد بدر.

١٩.خزيمة بن ثابت الخطمي الانصاري ذو الشهادتين.

٢٠.عامر بن وائلة المشهور بابي الطفيل المتوفى سنة ١١٠.
٢١.عمار بن ياسر أبو اليقضان المتقول بصفين.
٢٢.المسور بن شداد.
٢٣.سليمان بن صرد الخزاعي أبو مطرف المتوفى سنة ٦٥.
٢٤.سمرة بن جنادة بن جندب.
٢٥.سويد بن غفلة المذحجي، ولد عام الفيل، توفي بالكوفة سنة ٨٢ هـ.
٢٦.سويد بن قيس العبدي، أبو مرحب.
٢٧.سويد بن مقرن أبو عدي.
٢٨.سنان بن مقرن، ممن شهد الخندق مع النبي صلى الله عليه وآله.
٢٩.سهل بن حنيف، شهد بدرا، ونزل الكوفة، ثم ولاه أمير المؤمنين المدينة، وقد توفي بعد ذلك في الكوفة سنة ٣٨ هـ وصلى عليه أمير المؤمنين عليه السلام.
٣٠.شرحبيل بن الأعور بن عمرو بن معاوية.
٣١.شريح بن الحارث الكندي، ولي قضاء الكوفة، وهو من المعمرين، مخضرم، استمر في القضاء إلى سنة ٦٢ هـ، توفي سنه ٧٠ هـ.
٣٢.شقيق بن سلمة.
٣٣.شيبان الأنصاري، جد أبي هبير الشيباني الأنصاري.
٣٤.صخر بن العيلة بن عبد الله بن ربيعة.
٣٥.صفوان بن عسال المرادي، شهد بعض غزوات الرسول صلى الله عليه وآله.
٣٦.الصنابح بن عمير، أبو صفوان.
٣٧.ضرار بن الأزور - مالك - بن أوس بن خزيمة.
٣٨.طارق بن الأشيم الأشجعي.
٣٩.طارق بن زياد الجعفي، توفي سنة ١٠٠ هـ.
٤٠.طارق بن عبد الله المحاربي.
٤١.طلحة بن مصرف الايامي
٤٢.عبد الرحمان بن أبي ليلى، غرق مع ابن الأشعث سنه ٨٣ هـ.

٤٣.عبد الرحمان بن حسنة الجهني، أخو شرحبيل بن حسنة.
٤٤.عبد الرحمان بن مقرن المزني.
٤٥.عبد الرحمان الهمداني.
٤٦.عبد ربه بن سيلان، وقيل: اسمه جابر.
٤٧.عبد الله بن سخبرة.
٤٨.عبد الله بن حبيب السلمي، معلم القرآن في الكوفة أربعين عاما، يكنى أبا عبد الرحمان، توفي سنه ٧٢ هـ .
٤٩.عبد الله بن عتبة بن مسعود. وغيرهم[٣٥].

الرواة الكوفيون ومنهم:

١.ادم بن المتوكل أبو الحسن بياع اللؤلؤ ثقة.
٢.أبان بن أبي عمران الفزاري إمامي ثقة.
٣.أبان بن عبد الملك الثقفي إمامي ثقة.
٤.أبان بن عبد الملك الثقفي إمامي ثقة.
٥.أبان بن عبيدة الصيرفي ثقة.
٦.أبان بن عثمان الأحمر البجلي الإمامي ثقة.
٧.أبان بن عمرو بن أبي عبد الله الجدلي.
٨.إبراهيم بن أبي المثنى عبد الأعلى إمامي ثقة.
٩.إبراهيم بن جميل اخو طربال إمامي ثقة.
١٠.إبراهيم بن حنان الأسدي امامي ثقة.
١١.إبراهيم بن عبادة الازدي إمامي ثقة.
١٢.إبراهيم بن العرفي الأسدي مولاهم.
١٣.أحمد بن عبد الله الكوفي.
١٤.أحمد بن علي بن إبراهيم العلوي.
١٥.إسماعيل بن بكر الكوفي ثقة.
١٦.إسماعيل بن دينار إمامي ثقة.

١٧.إسماعيل بن رياح الكوفي.
١٨.إسماعيل بن زياد البزاز الأسدي.
١٩.إسماعيل بن كثير العجلي الكوفي.
٢٠.إسماعيل بن مهران السكوني.
٢١.أولاد الاشتر أبو الحسين محمد.
٢٢.أيوب بن علاق الطائي.
٢٣.بسطام بياع اللؤلؤ كوفي.
٢٤.بشر بن سليمان البجلي ثقة.
٢٥.بشر بن الصلت العبدي.
٢٦.بشر بم مسلمة الإمامي ثقة.
٢٧.بشير بن عاصم البجلي كوفي.
٢٨.بكار بن أبي بكر الحضرمي .
٢٩.بكر بن أبي حبيب الكوفي .
٣٠.بكر بن عبد الله الكوفي.
٣١.ثعلبة بن راشد الأسدي.
٣٢.ثوير بن عمرو بن عبد المرهبي.
٣٣.الجارود بن المنذر أبو المنذر.
٣٤.جبلة بن أعين الجعفي.
٣٥.وجبلة من الحجاج الصيرفي.
٣٦.جبير بن حفص الغمشاني.
٣٧.جندب بن جنادة الكوفي.
٣٨.الحارث بياع الأنماط.
٣٩.حذيفة بن اليمان أبو عبد الله.
٤٠.الحسن بن زياد الصقيل.
٤١.الحسن بن سيف بن سليمان.

٤٢.الحسن بن عطية الحناط.
٤٣.الحسين بن الحذاء الكوفي.
٤٤.الحسين بن الحسن الكندي.
٤٥.الحسين بن عمار إمامي ثقة.
٤٦.حماد بن أبي طلحة بياع السابري.
٤٧.خطاب بن مسلمة إمامي ، ثقة.
٤٨.خلاد بن أبي عمرو الوابشي.
٤٩.خلاد السدي البزاز الكوفي.
٥٠.داود بن حبيب أبو غيلان.
٥١.داود بن سليمان أبو عمارة.
٥٢.داود بن نصير الطائي.
٥٣.داود بن الهيثم الازدي.
٥٤.دينار أبو عمرو الأسدي.
٥٥.الربيع بن زياد الضبي.
٥٦.رزين بن علي الازدي الكوفي.
٥٧.رشيد بن زيد الجعفي ثقة.
٥٨.رقيم بن الياس البجلي ثقة.
٥٩.زرارة بن أعين ، ثقة .
٦٠.زحر بن يس الكوفي ثقة.
٦١.زيد بن أبي الحلال إمامي ثقة.
٦٢.زياد بن عيسى أبو عبيدة الحذاء.
٦٣.زياد بن المنذر أبو الجارود الأعمى.
٦٤.زيد بن سعيد الأسدي.
٦٥.سالم أبو رافع مولى أبان.
٦٦.سالم بن أبي الجعد الكوفي.

٦٧.سدير بن حكيم الصيرفي.
٦٨.سعد بن أبي خلف الزهري.
٦٩.سعد بن هاشم الهمداني.
٧٠.سعدان بن عماد الطائي.
٧١.سفيان بن السمط البجلي.
٧٢.سفيان بن مالك .
٧٣.سلمة بن الاهتم ثقة.
٧٤.سيف بن سليمان التمار ثقة.
٧٥.شرحبيل بن العلاء الكوفي.
٧٦.شريك بن عبد الله النخعي.
٧٧.شعيب بن ميثم التمار الأسدي.
٧٨.شهاب والد سعد بن هشام.
٧٩.صالح بن سعد الجعفي.
٨٠.صالح بن صالح الهمداني.
٨١.صفوان بن مهران بن المغيرة.
٨٢.الضحاك أبو مالك الحضرمي.
٨٣.الضحاك بن النعمان.
٨٤.طالب بن عمير الكوفي.
٨٥.عاصم بن بهدلة أبو بكر.
٨٦.عامر بن حميد الحضرمي.
٨٧.عباد بن زياد الكلبي.
٨٨.عبد الرحمن بن الحجاج البجلي.
٨٩.عبد الرحمن بن المنذر العبدي.
٩٠.عبد السلام البصري الكوفي.
٩١.عبد الصمد بن بشير العبدي.

٩٢.عبد الله بن أبي يزيد الهمداني.
٩٣.عبد الله بن سعيد الاسدي.
٩٤.فرقد الحجام الكوفي.
٩٥.فضالة بن الاسود الجهني.
٩٦.الفضل بن مرزوق الكوفي.
٩٧.الفضيل بن سكرة الكوفي.
٩٨.الفضيل بن فضالة الثعلبي.
٩٩.الفضيل بن النعمان الأنصاري.
١٠٠.القاسم بن عبد الرحمن الخثعمي.
١٠١.القاسم بن عبد الله الحضرمي.
١٠٢.القاسم بن الوليد القرشي.
١٠٣.قدامة بن عاصم الكوفي.
١٠٤.قيس بن يعقوب الدهني.
١٠٥.كامل بن العلاء التمار.
١٠٦.كعب بن زيد الأسدي.
١٠٧.كهيل بن عمارة الشامي.
١٠٨.مالك بن خالد الأسدي.
١٠٩.مالك بن عطية أبو الحسين.
١١٠.محمد بن إسحاق العدوي.
١١١.محمد بن جميل بن صالح الأسدي.
١١٢.محمد بن خالد بن عبد الله.
١١٣. محمد الخزاز الكوفي.
١١٤.محمد بن ذهل بن عمير.
١١٥.محمد بن عمر العطار الكوفي.
١١٦.المختار بن أبي عبيد الثقفي.

١١٧.مؤمن الطاق.

١١٨.ناصح البقال الكوفي.

١١٩.نجيح بن مسلم الكوفي. وغيرهم.

١٢٠.هشام بن سالم. [٣٦].

وغيرهم الكثير ، اقتصرنا على ذكر بعضهم ، مخافة الإطالة والتطويل.

الخاتمة...

إذن من خلال ما تقدم من بحثنا نستطيع القول: إن الكوفة هي مدرسة حديثية وحاضرة للعلم والعلماء، وفيها انتشر الحديث لاسيما في العصر الذهبي وهو عصر الامام الصادق عليه السلام، ففي عصره انتشر الحديث وروّج له في العالم الإسلامي ، لاسيما في المدينة المنورة وغيرها من الحواضر الإسلامية.

فللكوفة قصب الس[٣٧]بق في الحديث ولها الفضل في نشره في بقاع العالم الإسلامي برمته.

الهوامش:

[١] أسد حيدر،الفقه على المذاهب الأربعة:ج١ص٢٢، الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.

[٢] البراقي:تاريخ الكوفة:ص٤٢٩. الناشر : انتشارات المكتبة الحيدرية.

[٣] التحفة الاثني عشرية:ص٨.

[٤] تاريخ العرب:ص١٧٩،نقلا عن باقر شريف القرش،النظام السياسي في الإسلام:ص ٢٩٠. الناشر: دار التعارف للمطبوعات- بيروت.

[٥] أسد حيدر،الفقه على المذاهب الأربعة:ج١ص٢٤.

[٦] أنظر: السبحاني،أضواء على عقائد الشيعة الإمامية: ص٣٣٤-٣٣٥، الناشر: مؤسسة الإمام الصادق(ع) قم.

[٧] الكليني، الكافي:ج٣ص٤٩١، الناشر: دار الكتب الإسلامية- طهران.

[٨] ابن منظور،لسان العرب: ج٩ ص٣١١، فصل: الكاف. الناشر: أدب الحوزة - قم.

[٩] الزبيدي، تاج العروس: ج١٢ص٤٦٩-٤٧٠، مادة: كوف، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت.

[١٠] ابن أبي شيبة، المصنف:ج٧ص٥٥٤، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.

[١١] المصدر نفسه::ج٧ص٥٥٤.

[١٢] ابن أبي الحديد،شرح نهج البلاغة:ج٣ص١٩٨ فصل في ذكر فضل الكوفة. الناشر: دار إحياء الكتب العربية-بيروت.

[١٣] الحمويني، معجم البلدان:ج٤ص٤٩٢، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

[١٤] الصدوق، الخصال:ص٢٢٥، الناشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.

[١٥] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد:ج٨ص٣٢٠، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان.

[١٦] أحمد بن علي النجاشي، رجال النجاشي:ص٤٠ الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

[١٧] يحيى بن معين،تاريخ يحيى بن معين:ج٢ص٣٤٨، الناشر: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت.

[١٨] محمد بن سعد، الطبقات الكبرى:ج٦ص١١، الناشر: دار صادر- بيروت.

[١٩] الطوسي،اختيار معرفة الرجال:ج٢ص٥٥٨، الناشر : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

[٢٠] البراقي،تاريخ الكوفة:ص٢٠، الناشر: انتشارات المكتبة الحيدرية.

[٢١] انظر مقدمة كتاب كمال الدين وتمام النعمة ص:٨. الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

[٢٢] ابن داود الحلي:رجال ابن داود:ص٢٩، الناشر: منشورات مطبعة الحيدرية- النجف الأشرف.

[٢٣] ابن عبد البر الانتقاء في فضائل الثلاثة:ص١٦٤، الناشر: دار الكتب العلمية.

[٢٤] ابن أبي شيبة:ج٧ص٤٩٩، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان. أبو يعلى الموصلي، مسند أبي يعلى:ج١١ص٣٠٧. الناشر: دار المأمون للتراث. الهيثمي، مجمع الزوائد،ج٩ص١٠٥، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.

[٢٥] محمد بن الحسن الصفار:ص١٦٩، الناشر: منشورات الأعلمي - طهران.

[٢٦] القندوزي،ينابيع المودة:ج١ص٧٣، الناشر: دار الأسوة للطباعة والنشر.

[٢٧] وبهذا تسقط تلك الشبهات التي تقول بأن الشيعة ليس لهم علم جرح وتعديل ، فإن هذه الوثيقة تدحض هذه الشبهة.

[٢٨] شرح نهج البلاغة:ج١١ص٣٨، الناشر : دار إحياء الكتب العربية - بيروت.

[٢٩] الكافي:ج١ص٥٢

[٣٠] أبو غالب الزراري، تاريخ آل زرارة ، المقدمة، ص٨.

[٣١] جامع الرواة:ج١ص٤١١، الناشر: مكتبة المحمدي.

٣٢ بحار الأنوار:ج٥٢ص٦٦.
٣٣ بحار الأنوار:ج٥٢ص٦٦.
٣٤ ابن حجر العسقلاني:الإصابة في تمييز الصحابة:ج٢ص٦٤٧. الناشر: دار الجيل- بيروت
٣٥ انظر رجال النجاشي، ورجال الطوسي، وتهذيب الكمال، للمزي، وسير أعلام النبلاء للذهبي وغيرهم .
٣٦ انظر رجال النجاشي، ورجال الطوسي، والفهرست.

المصادر

١.ابن أبي الحديد،شرح نهج البلاغة، الناشر: دار إحياء الكتب العربية- بيروت.
٢.ابن أبي شيبة:المصنف، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.
٣.ابن أبي شيبة، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.
٤.ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة. الناشر: دار الجيل- بيروت.
٥.ابن داود الحلي، رجال ابن داود، الناشر: منشورات مطبعة الحيدرية- النجف الأشرف.
٦. ابن عبد البر، الانتقاء في فضائل الثلاثة، الناشر: دار الكتب العلمية.
٧.ابن منظور،لسان العرب، الناشر: أدب الحوزة - قم.
٨.أبو غالب الزراري، تاريخ آل زرارة.
٩. أبو يعلى الموصلي، مسند أبي يعلى. الناشر: دار المأمون للتراث.
١٠.أحمد بن علي النجاشي، رجال النجاشي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
١١.أحمد بن عمر النجاشي، رجال النجاشي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
١٢.الاردبيلي، جامع الرواة، الناشر: مكتبة المحمدي.
١٣.أسد حيدر، الفقه على المذاهب الأربعة، الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.
١٤.باقر شريف القرشي، النظام السياسي في الإسلام، الناشر: دار التعارف للمطبوعات- بيروت.

١٥.البراقي:تاريخ الكوفة، الناشر: انتشارات المكتبة الحيدرية.
١٦.جمال الدين يوسف المزي، تهذيب الكمال، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان
١٧.الحمويني، معجم البلدان، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١٨.الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان.
١٩.الزبيدي، تاج العروس، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت.
٢٠.السبحاني،أضواء على عقائد الشيعة الإمامية، الناشر: مؤسسة الإمام الصادق(ع) قم.
٢١.شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان
٢٢.الصدوق، الخصال، الناشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.
٢٣.القندوزي،ينابيع المودة، الناشر: دار الأسوة للطباعة والنشر.
٢٤.الكليني، الكافي، الناشر: دار الكتب الإسلامية- طهران.
٢٥.محمد بن الحسن الصفار، الناشر: منشورات الأعلمي - طهران.
٢٦.محمد بن الحسن الطوسي، الفهرست، الناشر: مؤسسة نشر الفقاهة.
٢٧.محمد بن الحسن الطوسي، رجال الطوسي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٢٨.محمد بن الحسن الطوسي،اختيار معرفة الرجال، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.
٢٩.محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، الناشر: دار صادر- بيروت.
٣٠.محمد بن علي بن الحسين الصدوق،كمال الدين وتمام النعمة، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٣١.الهيثمي، مجمع الزوائد، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.
٣٢. يحيى بن معين،تاريخ يحيى بن معين، الناشر: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت.

معالجة الفقر في القران والسنة حكومة امير المؤمنين عليه السلام في الكوفة انموذجاً

م. د.زهراء رؤوف الموسوي / الجامعة المستنصرية / كلية التربية الاساسية
الباحثة سوسن كاظم الحسيني / جامعة بغداد / كلية العلوم

(المبحث الاول)

الفقر لغة:

للفقر في اللغة عده معاني ، اهمها انه حالة تناقض الغنى ، والفقر والفقر بمعنى واحد ، مثل الضعف والضعف ، قال ابن سيده : وقدر ذلك ان يكون له مايكفي عياله ، ورجل فقير من المال ، وقد فقر فهو فقير والجمع فقراء وقال ابن السكيت : الفقير الذي له بلغة من العيش او له ما يأكله والمسكين الذي لاشي له قال يونس : الفقير احسن حال من المسكين : وقال ابن الاعرابي : الفقير الذي لاشي له والمسكين مثله والفقر الحاجة ، والفقير المحتاج والمسكين من اذله الفقر او غير من احواله وفعله الافتقار والنعت فقير .[١] فالفقر في لغة العرب مرتبطة بالمسكين والمسكنة وهي حالة من العجز والضعف والمرض والحاجة الشديدة ، تمنع من الاحتراف ، او يحترف مع قصور في تحقيق الحاجات وهو نقيض للغنى وابلغ تعريف للفقر في لغة العرب ما قالع البغدادي بأن الفقر انكسار فقار الظهر وهو اشبه بالموت .[٢]

الفقر في لغة القران

عرفت كتب الاخلاق الفقر بأنه فقد ما يحتاج اليه ولا يسمى ما لا يحتاج اليه فقيراً .[٣] ويقسم الفقر الى نوعين الاول مادي وهو فقد المال وما يختص به والثاني معنوي وهو فقد وحاجة الممكنات الى الغني المطلق وهو الله تعالى فالممكن محتاج الى دوام الوجود المستفاد منه تعالى وهذا بالمعنى العام للفقر المعنوي واما المعنى الخاص فحاجته الى الاخلاق والآداب تندرج ايضاً ضمن المعنى العام الذي هو الحاجة الى الغني المطلق يقول تعالى (والله الغني وانتم الفقراء) [٤] اما الفقر في القران فقد ورد ذكره في عدة ايات قال تعالى (الشيطان يعدكم الفقر) [٥]ففي هذه الاية اشارة الى الفقر المادي والمعنوي معاً .[٦]

وقال تعالى في سورة محمد (هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ ۖ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) وفيها ايضا اشارة الى الفقر المادي والمعنوي اي فقر المال وفقر الممكنات للغني المطلق ان يفيض عليهم من خلق العطاء والانفاق ليشعروا بأنهم فقراء ايضاً الى المالك الحقيقي فيتكون لديهم ملكة الانفاق على المحتاجين .[٧] وقال تعالى في سورة فاطر (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)[٨] فقصر الفقر فيهم وقصر الغنى فيه سبحانه فكل الفقر فيهم وكل الغنى فيه سبحانه ، واذ كان الغنى والفقر وهما الوجدان والفقدان متقابلين لايرتفعان عن موضوعهما كان لازم القصر السابق قصر اخر وهو قصرهم في الفقر وقصره تعالى في الغنى فليس لهم الا الفقر وليس له تعالى الا الغنى .

فالله سبحانه غني بالذات له ان يذهبهم ويستغني عنهم وهم الفقراء بالذات ليس لهم ان يستغنوا عنه بغيره.

والملاك في غناه تعالى عنهم وفقرهم انه تعالى خالقهم ومدبر امرهم واليه الاشارة بأخذ لفظ الجلالة في بيان فقرهم وبيان غناه والاشارة الى الخلق والتدبير في قوله تعالى: (إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) وكذا توصيفه تعالى بالحميد وهو المحمود في فعله الذي هو خلقه وتدبيره.

فيعود معنى الكلام الى نحو من قولنا : يا ايها الناس انتم بما انكم مخلوقون مدبرون لله الفقراء الى الله فيكم كل الفقر والحاجة والله بما انه الخالق المدبر ، الغني لا غني سواه.[٩]

الفقر في لغة الحديث الشريف:

لم تخالف السنة المطهرة القران الكريم في الاشارة الى الفقر وتعريفه بغض النظر عن علاجه كما ورد في القران فالقران والعترة خطاب لسكة حديد واحدة يسير عليها قطار المؤمن المكلف فأذا تمسك بهما سار على نهجهما ونجا.

ولقد سلطت الاحاديث الشريفة الضوء للاشارة الى اهمية ظاهرة الفقر وعلاجها في المجتمع المسلم فقد جاء عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال لامير المؤمنين عليه السلام: " يا علي، ان الله جعل الفقراء امانة عند خلقه، فمن ستره اعطاه الله تعالى مثل

اجر الصائم القائم، ومن أفشاه الى من يقدر على قضاء حاجته فلم يفعل فقد قتله اما انه ما قتله بسيف ولا رمح ولكنه قتله بما نكأ من قلبه "

ثم لاريب في ان كل من لم يجد القوت من التعفف وستر احتياجه هذا وصبر ورضي يكون داخلا تحت هذه الاخبار وتثبت له الفضيلة التي وردت فيها، ولاريب في ان هذه صفة لا توجد في ألف ألف واحد.

واما الفقير الحريص الذي يظهر فقره ويجزع معه فظاهر بعض الاخبار وان تناوله ، الا ان الظاهر خروجه منها كما او مات اليه بعض الاخبار المذكورة وان كان احسن حالا من الغني الذي مثله في الحرص .[١٠]

وقد ذكر في الكافي عن احمد بن محمد بن خالد عن عثمان بن عيسى عمن ذكره عن ابي عبد الله عليه السلام قال :جاء رجل موسور الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم نقي الثوب ، فجلس الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم .فجاء رجل معسر دون الثوب فجلس الى جنب الموسر فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيه ،فقال له رسول الله صلى الله عليه واله وسلم :" اخفت ان يمسك من فقره شي "؟ قال : لا، قال:" فخفت ان يصيبه من غناك شيء "؟ قال: لا قال : " فخفت ان يوسخ ثيابك "؟ قال : لا ، قال :" فما حملك على ما صنعت "؟ فقال : يا رسول الله ان لي قريناً يزين لي كل قبيح ويقبح لي كل حسن ، وقد جعلت له نصف مالي ، فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم للمعسر : " اتقبل " ؟ قال : لا، فقال له الرجل : ولم ؟ قال : اخاف ان يدخلني ما دخلك .[١١]وهنا ايضا اشارات الى انواع الفقر بنوعيه فالاول فقير بماله والثاني فقير باخلاقه .وعن علي بن ابراهيم ، عن ابيه ، عن النوفلي عن السكوتي عن ابي عبد الله عليه السلام قال : قال النبي صلى الله عليه واله وسلم :" طوبى للمساكين بالصبر ، وهم الذين يرون ملكوت السماوات والارض". في هذا الحديث اشارات الى انه تعالى الغني اذا سلب نعمة الفقر المادي والمال من الانسان وكان الانسان صبوراً فانه سيفتح عليه باب الغنى من جانب اخر وهو الجانب المعنوي الباطني للغنى برؤيته لملكوت السماوات والارض ، وكذلك عن ابو علي الاشعري عن محمد بن عبد الجبار ، عن ابن فضال ، عن محمد بن الحسين ابن كثير الخزاز ، عن ابي عبد الله عليه السلام ايضا

قال :" قال لي : اما تدخل السوق ؟ اما ترى الفاكهة تباع ؟ والشيء مما تشتهيه ؟ فقلت : بلى ، فقال : اما ان لك بكل ما تراه فلا تقدر على شرائه حسنة .

وفي الكافي ايضا ذكر عن سهل بن زياد عن علي بن اسباط ، عمن ذكره ، عن ابي عبد الله عليه السلام قال : الفقر الموت الاحمر ، فقلت لابي عبد الله عليه السلام : الفقر من الدينار والدرهم ؟ فقال : لا ولكن من الدين .[١٢]

(المبحث الثاني)

علاج القران الكريم لمشكلة الفقر:

الفقر مشكلة تؤذي النفوس والعقول والمجتمعات الانسانية وهو كغيره من المشاكل التي قام بعرضها القران ثم عرض علاج لها من قبل المسلمين وحثهم على العمل بقوانين القران لبناء المجتمع الانساني المؤمن وما في المجتمعات من تدهور للاوضاع الا لبعدهم عن القران لذا ورد ان الامام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف عند ظهوره لاياتي بدين جديد بل يوضح ويقيم دين جده صلى الله عليه واله وسلم وتعاليم القران التي ابتعد عنها المسلمين ومنها ظاهرة الفقر .

اولاً: عالج القران الفقر بقوله تعالى (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَاملِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)[١٣](أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)[١٤](ان تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[١٥]قوله تعالى (ان تبدوا الصدقات فنعما هي) الابداء هو الاظهار ، والصدقات جمع صدقة ، وهي مطلق الانفاق في سبيل الله اعم من الواجب والمندوب وربما يقال : ان الاصل في معناها الانفاق المندوب.

وقد مدح الله سبحانه وتعالى كلا من شقي الترديد ، لكون كل واحد من الشقين ذا اثار صالحة ، فاما اظهار الصدقة فأن فيه دعوة عملية الى المعروف ، وتشويقا للناس الى البذل والانفاق ، وتطيبا لنفوس الفقراء والمساكين حيث يشاهدون ان في المجتمع رجالا رحماء بحالهم واموالا موضوعة لرفع حوائجهم ، مدخرة ليوم بؤسهم فيؤدي الى زوال

اليأس والقنوط عن نفوسهم ، وحصول النشاط لهم في اعمالهم ، واعتقاد وحدة العمل والكسب بينهم وبين الاغنياء المثوين ، وفي ذلك كله الخير واما اخفائها فإنه حينئذ يكون ابعد من الرياء والمن والاذى وفيه حفظ لنفوس المحتاجين عن الخزي والمذلة ، وصون لماء وجوههم عن الابتذال ، وكلاءة لظاهر كرامتهم ، فصدقة العلن اكثر نتاجاً وصدقة السر اخلص طهارة .

ولما كان بناء الدين على الاخلاص وكان العمل كلما قرب من الاخلاص كان اقرب من الفضيلة رجح سبحانه جانب صدقة السر فقال : (وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) فإن كلمة خير افعل التفضيل والله تعالى خبيرا باعمال عباده لايخطىء في تمييز الخير عن غيره وهو قوله تعالى (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)، [١٦]فقد ذكر هنا عموم الصدقة كعلاج اما في سورة التوبة وغيرها من سور القران فقد حث على علاج الفقر بالخمس والزكاة فقد ورد عن النبي صلى الله عليه واله وسلم في معنى الاية في الكافي باسناده عن عبد الله بن سنان قال: قال ابو عبد الله عليه السلام : لما نزلت هذه الاية :(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا) وانزلت في شهر رمضان فأمر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم مناديه فنادى في الناس : ان الله فرض عليكم الزكاة كما فرض عليكم الصلاة ففرض الله عز وجل عليهم من الذهب والفضة وفرض الصدقة من الابل والبقر والغنم ومن الحنطة والشعير والتمر والزبيب فنادى بهم بذلك في شهر رمضان وعفى لهم عما سوى ذلك .

قال: ثم لم يفرض لشيء من اموالهم حتى حال عليه الحول من قابل فصاموا وافطروا فأمر مناديه فنادى في المسلمين : ايها المسلمون زكوا اموالكم تقبل صلاتكم . قال : ثم وجه عمال الصدقة وعمال السوق .[١٧]

ثانيا : الحث على العمل

عالج القران الكريم الفقر بالحث على العمل قال تعالى : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)[١٨](وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ

تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[١٩]والمعنى في سورة الملك ان الله تعالى جعل الارض منقادة مطاوعة لكم تمشون فيها تأكلون من رزقه الذي قدره لكم بانواع الطلب والتصرف فيها[٢٠] والمعنى في سورة المزمل المراد بالضرب في الارض للابتغاء من فضل الله طلب الرزق بالمسافرة من ارض الى ارض للتجارة [٢١] فقد حث القران على العمل حتى لاتكون ظاهرة الفقر ولا غيرها من عول الانسان وفقره المادي والمعنوي .

(المبحث الثالث)

معالجة الفقر في الكوفة وارجاء المعمرة :

لقد سعى رسول الله صلى الله عليه واله جاهدا للرقي بالمسلمين الى درجات الكمال المادي والمعنوي بعد ما كانت الامة تغط في سبات الجل والفقر والعوز وبعد ان كانوا يقتلتون القد والورق ويشربون الطرق اصبحوا يكسرون الذهب والفضة بالمعول ويملكون سواري كسرى وفارس وقد حاول كل المعصومين من ذرية الرسول الخاتم صلى الله عليه واله وسلم جاهدين كما فعل جدهم الاعظم القضاء على الفقر المادي وفقر الاخلاق والادب .

ان لسياسة الامام بينه وبين رعاياه هي سياسه الرجل الذي شاء القدر ان يجعله فدية للخلافة الدينية في نضالها الاخير مع الدولة الدنيوية التي بدأت بوادر ظهورها بعد وفاة النبي الخاتم (ص). فالناس في الحقوق سواء ...في دولته التي اسسها متخذا من الكوفة ارضية لتطبيق هذه الحقوق وارجاعها لمستحقيها لما تتمتع به من ميزات مناسبة لرسم هذه السياسة الدينية ،فلا محاباة لقوي ولا اجحاف لضعيف وقد عمد الى القطائع التي وزعت قبله على المقربين والرؤساء فانتزعها من القابضين عليها وردها الى مال المسلمين لتوزيعها بين من يستحقونها على سنة المساواة وقال : " والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الاماء لرددته ، فان في العدل سعة ... ومن ضاق عليه العدل فالجور علية أضيق ".[٢٢]

ولذا فأن الامام امير المؤمنين عليه السلام ما كان ليشذ عما رسمه القران الكريم والنبي الخاتم صلى الله عليه واله وسلم ولكنه اجتهد وعلى ضوء ما جاء في القران الكريم

وصك الذين خلت قلوبهم من الرحمة واستباحوا ما ليس لهم فيه حق صكهم صكا عنيفا بقوله: ما جاع فقير الا بما متع به غني . وقوله عليه السلام : وما رايت نعمة موفورة الا والى جانبها حق مضيع .[٢٣]هاتان العبارتان صورتا مشكلة الفقر بأبشع صورها وقد عالج الامام عليه السلام هذه الظاهرة من جوانب عدة سنتطرق اليها بالتدرج ان شاء الله تعالى:

اولا: العمل واهميته:

كانت فلسفة الادارة في دولته تقوم على اسعاد الناس وليس قمعهم واخذهم بالشدة وهي تتطابق مع الذي جاء في وصيته عليه السلام الاخيرة للأشتر : " وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم ، فإنهم صنفان : إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق ".[٢٤]

كما تقوم على المساواة بين الناس في العطاء : " لوكان المال لي لسويت بينهم ... ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف ".[٢٥]

وتقوم إيضاً على مبدأ الثواب والعقاب ومدى التزام العمال والموظفين بهذا النهج . فالناجحون في مهامهم يستحقون الثناء ، وربما الارتقاء الى مهمات اكثر دقة ، كما حدث لعامل البحرين (عمر بن أبي سلمة المخزومي) الذي نال ثقة الإمام ، فاستدعاه الى الالتحاق به حين قرر السير الى الشام ، مُطْرِياً عليه بقوله : " فلقد أحسنت الولاية وأديت الأمانة ، فاقبل غير ظنين ولا ملوم ولا متهم ولا مأثوم [...] فإنك ممن استظهر به على جهاد العدو وإقامة عمود الدين " .[٢٦]

عمل عليه السلام في الكوفة بالأرض وزراعتها وحفر الابار واوقفها للفقراء والمساكين الى درجة انه قد مجلت يداه الشريفتان من كثرة سقي الماء لهم ولم يترفع ان يطحن بالرحى وهو امير المؤمنين وقائد الدولة الاسلامية وينقل انه اعتق الف مملوكا من كد يده وكان يخرج ومعه احمال النوى فيقال له يا ابا الحسن ما هذا معك ؟ فيقول :" نخل ان شاء الله " فيغرسه ، فما يغادر منه واحدة "[٢٧] وكان يقول : " من لم يصبر على كده ، صبر على الافلاس " [٢٨]ويقول : " ان الاشياء لما ازدوجت ، ازدوج الكسل والعجز فنتج منهما الفقر " [٢٩]

"وكان امير المؤمنين عليه السلام يضرب بالمر (المسحاة) ويستخرج الارضين ، وانه اعتق الف مملوك من كد يده "[٣٠]

وروي " ان امير المؤمنين عليه السلام لما كان يفرغ من الجهاد يتفرغ لتعليم الناس والقضاء بينهم ، فاذا فرغ من ذلك اشتغل في حائط له ، يعمل فيه بيديه ، وهو مع ذلك ذكر الله تعالى "[٣١]

بالإضافة الى ان العمل اليدوي عند الامام كان ضروريا للصحة والسلامة الجسمية ،فأن الامام عليه السلام كان يعمل بيديه حتى لا يأكل من بيت المال ، فهو يريد ان يعطي لا ان يأخذ حتى بمقدار حقه كفرد مسلم من عامة الناس ولذلك فانه عليه السلام كثيرا ما كان ينفق سهمه في سبيل الله ... ثم يعمل اجيرا لدى بعض اصحاب الاراضي حتى يسترزق ..[٣٢]

كما انه عليه السلام كان يرفض ان يعيش عالة على احد ويقول : (استغني عمن شئت تكن نظيره)[٣٣] ويقول :" وان استطعت ان لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل فانك مدرك قسمك واخذ سهمك "[٣٤] فمهما كان فان في مقدور اي انسان ان يكون منتجا بمقدار حاجته .

وبهذه الدروس النظرية والعملية يعلم الامام عليه السلام الناس كيفية التعامل مع الحياة ليتجنبوا الفقر ويصونوا ماء وجوههم من السؤال والحاجة .

ثانياً: الزهد طريق للعمل

حيث اجتمع الزهد والاحساس بالمسؤولية في شخصية الامام ع ، فقد كان اكبر زاهد في العالم ، وكان يحمل في صدره اكثر القلوب احساسا بالمسؤولية الاجتماعية . فمن ناحية كان يقول : " ما لعلي لنعيم يفنى ولذه لا تبقى ". ومن ناحية اخرى كان يسهر الليل كله لحيف قليل في العدالة مع مظلوم ولا يرضى ان ينام مبطانا . فهو بذلك يصور ارقى نظام للدولة التي اسسها في مجتمع الكوفة.[٣٥]

و كان امير المؤمنين عليه السلام محتاطا لنفسه ، ومحتاطا لدينه ، ومحتاطا للمسلمين ، اخذ نفسه بمعالي الامور وابتعد عن صغائرها ، زهدا وتقشفا وعبادة.

" لقد رقعت مدرعتي حتى استحييت من راقعها "

لم يجنح الى الترف ، ولم يمل الى اللين وخفض العيش ، اخشوشن في ذات الله ، وضحى في سبيل الله ، ونصب نفسه علما لدين الله ، ما وقف بين امرين الا اختار اصعبهما مراما ، واصلبهما شكيمة ، ما اراح نفسه قط ولا استراح .[٣٦]

يجمع كسر الخبز واطرافه في جراب معلوم ويختمه ، فيسأل عن ذلك ، فيقول : اخشى هذين الغلامين ، يعني الحسن والحسين عليهما السلام ، ان يلتاه في سمن او عسل .

وهو القائل : " وَلَوْ شِئْتُ لاَهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ، إِلَى مُصَفَّى هذَا الْعَسَلِ، وَلُبَابِ هذَا الْقَمْحِ، وَنَسَائِجِ هذَا الْقَزِّ وَلكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ ـ وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوِ بِالْيَمَامَةِ مَنْ لاَ طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ ".

وفي شدة الصيف ووقدة القيظ يصوم شهر رمضان فتقدم له ابنته طبقا فيه قرص من شعير ، وقدح من لبن ، وحفنه من جريش الملح ، فيقول لها :

" تريدين ان يطول وقوف ابيك بين يدي الله تقدمين له ادامين في طبق واحد ؟ ثم يختار الخبز والملح ويعزف عن اللبن .

انها الشدة في ذات الله ، والتسليم للقناعة ورضى الله ، وحمل النفس على الزهد ، وهي في الوقت نفسه المثل العليا التي قل ان نجدها عند احد وقد لا نجدها ، لأننا لا نقدر عليها ، اليس هو القائل الصادق :

" الا وان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمرية ، ومن طعمه بقرصيه ، الا وانكم لا تقدرون على ذلك ولكن اعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد ". [٣٧]

وهل عرف تاريخ البشرية حاكما قد حرم على نفسه ان يأكل خبزا يابسا ويشبع منه مادام في بعض اطراف مملكته من لاعهد له بالشبع ولا طمع له بالقرص ، وحرمها من لبس ثوب ناعمو في الدنيا انسان يتعسر عليه حتى ما خشن ورث من اللباس .

وهل عرف التاريخ حاكما يطحن لنفسه الشعير ويأكل منه خبزا يابسا يستعين على كسره بركبتيه ويرقع خفه بيديه ولا يكنز من الدنيا قليلا ولا كثيرا ما دام على وجه الارض بطون غرثى واكباد حرى . وظل الى ان انتقل عن هذه الدنيا يقول : أأقنع من نفسي ان يقال امير المؤمنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر وخشونة العيش ، وكان اقل ما هذه الدنيا شأنا خير عنده من الخلافة اذا لم يحق حقا ويبطل باطلا.[٣٨]

وجاء عن الامام محمد الباقر عليه السلام ان امير المؤمنين ذهب مع قنبر الى سوق البزازين وطلب من رجل يبيع الملابس ان يبيعه ثوبين فقال له : يا امير المؤمنين ان عندي حاجتك ، ولما ايقن الامام ان الرجل يعرفه تركه ومضى خشية ان يتساهل معه في الثمن ، ومضى حتى وقف على غلام واشترى منه ثوبين احدهما يثلاث دراهم والاخر بدرهمين وبعد ان انصرف امير المؤمنين جاء والد الغلام فقص عليه ما جرى له مع المشتري ووصفه بصفاته فأخذ درهمين ولحقه بهما وهو يقول : ان ولدي ربح منك درهمين فخذ احدهما او خذهما فقال له الامام عليه السلام اذهب بدرهميك فانه بايعني على رضاي ثم اعطى الامام الثوب الذي اشتراه بثلاثة دراهم الى قنبر وابقى لنفسه الثوب الثاني ، فقال له قنبر : انت اولى به مني يا امير المؤمنين لانك تصعد المنبر وتخطب الناس ، فقال له امير المؤمنين :

وانت شاب لك شره الشباب ، وانا استحي من ربي ان اتفضل عليك فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول : البسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تأكلون [٣٩]

ثالثا: محاربته الاحتكار في الكوفة:

فبعد ان عمل ليكون قدوة وبعد ان زهد حتى لايدع مجالا لما وراء زهده حارب الامام علي عليه

السلام الاحتكار الذي هو من اسباب الفقر فهو القائل : (واعلم مع ذلك ان في كثير منهم يعني التجار – ضيقا فاحشا ، وشحا قبيحا ، واحتكار للمنافع ، وتحكما في البيعات ، وذلك باب مضرة للعامة ، وعيب على الولاة ، فامنع من الاحتكار)[٤٠]

وقال عليه السلام فيما يعود الى التجار واصحاب المصانع : واستوص بالتجار وذوي الصناعات واوص بهم خيرا المقيم منهم والمضطرب بماله ، والمترفق ببدنه .[٤١] فإنهم مواد المنافع واسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح في برك وبحرك وسهلك وجبلك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترؤن عليها وتفقد امورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك واعلم مع ذلك ان في كثير منهم ضيقا فاحشا قبيحا واحتكارا للمنافع وتحكما في البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة فامنع الاحتكار فإن رسول الله منع منه ، وليكن البيع سمحا بأسعار لا تجحف بالبائع والمبتاع . ومضى يوصيه بالفقراء

والايتام والمرضى والشيوخ الذين لا يستطيعون العمل بأن يجعل لهم ما يكفيهم من خزينة الدولة الى غير ذلك مما لم تتوصل اليه ارقى الدول في عصرنا الحاضر .[٤٢]

رابعا : وصايا الامام عليه السلام لرجال الحكم والولاة:

احتاط الامام عليه السلام للمسلمين ، فلم يطلق ايدي عماله في الغنائم ، ولم يخولهم تخويلا مطلقا في الحكم وانما اخذهم بكثير من الجد والعزم ، وشدد عليهم في الرقابة والحساب ، يستمتع الى شكوى الرعية ، ويقتص لهم عن عمله ويتفقد الشؤون العامة بنفسه ، فكان الله بذلك رقيبا عليه ، وهو رقيب عليهم ، يثيب المحسن ويعاقب المسيئ ، حتى اذا لمس من احدهم خيانة او جناية اخذه بها اخذ الناظر الحثيث .

وهذا نموذج خاص في السياسة ، ونموذج عام بسيط مثله :

دخل على امير المؤمنين اثنان من اصحابه ، ولعلهما طلحة والزبير قبل نكث البيعة ، الامام في بيت المال وبدأ يحاورانه في شيء من شؤونهما ، فيطفئ الامام السراج ويخرج بهما بعيدا عن بيت المال والى داره لان زيت السراج يتقد من اجل مصلحة او منفعة لبيت مال المسلمين ليس غير . وهما في مسألة قد تكون خاصة فيهما ، فليذهب علي بهما الى خارج هذا المقر الرسمي وليكن لهما ما شاءا ، اما ان ينفق وقته معهما على حساب هذا الزيت – وان كان ضئيلا – فليس الى ذلك سبيل .

ووجد القادمان ان لا حياة لهما مع الامام في السياسة .

وكان رحيما بالمسلمين رؤوفا بهم ، عطوفا عليهم يبسم لهذا ويهش لذاك ، يواسي اهل العوز والفقر والفاقة ، ويجالس المضنى والمتعب والمستفيد ، ليس بينه وبين الرعية حجاب قائما بشؤونهم : في الصلاة اماما وعلى المنبر خطيبا ، وفي الحروب متقدما ولدى الاسواق امرا بالمعروف وناهيا عن المنكر ، حاملا درته حينا ، ومخصرته حينا اخر تاليا لقوله تعالى : (ويل للمطففين) في عدة آيات .[٤٣] وقد كان عليه السلام يقول : وقد علمتم انه لا ينبغي ان يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وامامة المسلمين البخيل فتكون في اموالهم نهمة ، ولا الجاهل فيضلهم بجهله ، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ، ولا الحائف للدول فيتخذ قوما دون قوم ، ولا المرتشي في الحكم .... فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع ، ولا المعطل للسنة فيهلك الامة) ويقول ايضا:

(ولكنني اسى ان يلي امر هذه الامة سفاؤها وفجارها فيتخذون مال الله دولا ، وعباده خولا ، والصالحين حربا ، والفاسقين حزبا)[٤٤] وعن علي ابن المعلى ، عن يحيى بن احمد ،عن ابي محمد عن رومي بن زرارة عن ابيه ، عن ابي جعفر عليه السلام قال : امير المؤمنين عليه السلام في كلام له : الا انه من ينصف الناس من نفسه لم يزده الله الا عزا .[٤٥]

خامسا: توزيع الامام لبيت المال :

حظي المسلمون بفتوحات كبيرة ، مما هطل على العالم الاسلامي بثروة كثيرة ، ثروة استقرت في أيدي شخصياتها بدلاً من أن تقسم بالتساوي بين جميع الافراد ، أو تصرف في المصارف العامة لهم . واشتد هذا الامر في زمن عثمان بقوة طاغية ، مما اكسب أولئك الافراد المعدودين الذين لم يكن لهم من قبل أية ثروة أو رأسمال ، ثروة بغير حساب . وعملت الدنيا حينئذ عملها فأفسدت من الامة الاسلامية أخلاقها . وكان نداء الإمام (ع) حينذاك بسبب الإحساس بهذا الخطر العظيم !.

وواضح ان هذه الثروات الطائلة لا تنبع من الارض ولا تنزل من السماء ، ومالم يكن هناك الى جانبها حقوق مضيعة من فقراء مدقعين لا تتيسر هذه الثروات .

وكان الإمام (ع) قد ادرك هذه المخاطر فكافحها مكافحة عملية على عهده ، حتى ضحى بنفسه في هذا السبيل ، ومكافحة كلامية بالخطب والكتب وسائر كلماته (ع) .[٤٦]

فلهذا يحذر الإمام (ع) الناس عن عبادة الدنيـــا ويقول في الخطبة ١٢٧ :" .. وقد أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلا إدباراً ، ولا الشر إلا إقبالاً ، ولا الشيطان في هلاك الناس إلا طمعاً ، فهذا أو ان قويت عُدته ، وعمت مكيدته ، وأمكنت فريسته . اضرب بطرفك حيث شئت من الناس فهل تبصر إلا فقيراً يكابد فقيراً ، أو غنياً بدل نعمة الله كفراً ، أوبخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفراً ، أو متمرداً كأن بإذنه عن سمع المواعظ وقراً . أين خياركم وصلحاؤكم وأين أحراركم وسمحاؤكم ؟ وأين المتورعون في مكاسبهم والمتنزهون في مذاهبهم"[٤٧]

ومن القابه المستفادة من الزيارات والروايات انه عليه السلام (العادل بالسوية) فقد كان عليه السلام مثالا عظيما يحتذى به في العدالة وهو القائل اذا كان المال لي فسأعدل

بينهم كيف وان المال لهم . هذا المورد المهم جعل الغني والفقير في العطاء على حد سواء لذا يرى ان في خلال حكومته عليه السلام لم يكن هناك فقير مستحقا لأموال الخمس والزكاة التي تحتاج الى مورد لصرفها ولذلك عندما رأى الامام في احد الايام رجلا من اهل الكتاب وهو يستعطي الناس قال : ما هذا ؟ اي ما هذه الظاهرة الغريبة ولم يقل من هذا ؟

ان عليا عليه السلام كان يقسم ما في بيت المال بين المسلمين ، ثم يأمر بكنسه فيكنس ويصلي فيه رجاء ان يشهد له يوم القيامة واتاه مال من اصبهان فقسمه سبعة اسباع ووجد فيه رغيفا فقسمه سبع كسر وجعل على كل قسم كسرة .

وفي حلية الاولياء لابي نعيم ان ابن النباح قال له : يا امير المؤمنين لقد امتلاء بيت المال من صفراء وبيضاء اتت من الخارج ، فقال : الله اكبر ، علي بالناس فنودي بهم ولما اجتمعوا فوق جميع ما في بيت المال وهو يقول : يا صفراء ويا بيضاء غري غيري وكان اذا وصلت الاموال في المساء يقول لمن حضر اقتسموها ، فيقولون له لقد امسينا يا امير المؤمنين اخرها الى غد ، فيقول من يضمن بقائي الى الغد .

وكذلك موقفة من اخيه رحمه الله معروف ومشهور بين اكثر المؤرخين والمحدثين ، وقد شد الرحال اليه من الحجاز بعد ان احوجته ظروفه المادية الى طلب المعونة منه ، فأبى عليه الامام ان يعطيه من مال الشعب اكثر من حقه ولما الح عليه احمى له الحديدة كما جاء في بعض خطبه التي يصف بها هذا الموقف.[٤٨]

وهكذا كان الامام علي عليه السلام يقدم الاخرين على نفسه ويبحث عمن يعطيه ويعتبر ذلك دينا عليه ، لأنه لا له ، ويقول : " الكريم يرى مكارم اخلاقه دينا عليه يقضيه ، واللئيم يرى سوالف احسانه دينا له يقتضيه " [٤٩] ولذلك فإنه عليه السلام كان يبحث عن ذوي الحاجة ليعطيهم ، كما يبحث احدنا عن الدرر والجواهر .

وكما يقول : " ما كان علي لينتظر حتى يسأل ، بل كان يبحث هو نفسه عن صاحب الحاجة ، والمسكين ، واليتيم ، والفقير ، والمحروم ، يمضي اليهم وهو يعطيهم من ماله ما يعتقد انه حق لهم معلوم" .

وكان يقول : " السخاء ما كان ابتداء اما ما كان عن مسألة فحياء وتذمم "(فرار من الذم)

هكذا كان يتزكى ، وما لاحد عنده من نعمة تجزى ، الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ... ولسوف يرضى! وقد جعله ربه رضيا .

ولشد ما كان يرضى اذ يسعد الاخرين !!!... وكان عند ربه مرضيا !.. ارضى الله ورسوله ، فأرضاه الله ورسوله .[٥٠]

وحينما رزق الله المسلمين غنائم كثيرة واتسع رزق المجاهدين منهم ، اتخذ بعضهم المزارع ، والدور الكبيرة ، وفاخر الرياش .اما هو ونفر من كبار الصحابة ، فقد كانوا يتصدقون بما يغنمون !بل ولم يكن يؤخر العطاء من الليل الى النهار ..[٥١]

وقد روى ابو اسحاق الهمداني ان امراتين اتيا عليا عليه السلام احداهما من العرب والاخرى من الموالي فسألتاه فدفع اليهما دراهم وطعاما بالسواء ، فقالت احداهما اني امرأة من العرب ، وهذه من العجم ، فقال : اني والله لا اجد لبني اسماعيل في هذا الفي فضلا على بني اسحاق .[٥٢]

وقد كان الامام علي عليه السلام يظهر امتعاضاً مما وصله عن قاضي الكوفة (شريح بن الحارث) وشراء دار له ، وتشكيكاً باستغلال منصبه ، فاستدعاه وقال له : " فانظر يا شريح لا تكون هذه الدار من غير مالك ، أو نقدت الثمن من غير حلالك ، فإذا أنت قد خسرت دار الدنيا ودار الآخرة ".[٥٣]

وبوحي من هذا الموقف يوجه كتاباً الى أحد عماله ، طالباً منه تقديم كشف حسابه ، بعدما بلغه من أخبار عن سوء أمانته وإثرائه على حساب منصبه :" بلغني أنك جردت الارض فأخذت ما تحت قدميك ، فارفع إليّ حسابك ، واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس ".[٥٤]

فمن هنا نرى ان الامام عليه السلام وضع الاساس للنظام العادل الذي يقتلع جذور النقمة من نفوس الفقراء ويضع الحد لجموح نفوس الاغنياء وهذا العلاج النفسي لم تتمكن ارقى دساتير العالم اليوم من التوصل اليه فلقد اشبعت نظمنا العصرية البطون ولكنها لم تتمكن من علاج الناقمة وانها لم تدرك بعد انه ليس بالخبز وحده (الجانب

المادي) يحيا الانسان فالناس تهمهم المساواة وان يروا القدوة والحاكم متساو معهم وهذا ما يوفر لهم الاطمئنان الروحي ويسمو بهم عن ما كانت تعانيه الطبقة الفقيرة في الجاهلية من بؤس وحرمان فالأسلوب الذي خطه الامام في المساواة في المأكل والملبس والعطاء وفي محاربة الاحتكار واختيار الولاة في محاربة الاثراء الفاحش على حساب العامة كان له الاثر العظيم في اصلاح المجتمع فقد طبق الامام عليه السلام نظريات وقوانين القران فوافقت النظرية التطبيق فنهض بالمجتمع الى ارقى ما يكون خلال مدة حكمه القصيرة .

المبحث الرابع

الاستنتاجات :

١- لا يمكن دراسة ظاهرة الفقر بشكل موضوعي بمعزل عن دراسة الظواهر ذات الصلة، سواء كانت سببا لها أو آثارا عنها، كما أن علاجها لا يكون إلا في اطار العلاج الشامل لهذه المشاكل مع تقديم علاج الأسباب على علاج الآثار.

٢ - لقد عالج الإسلام ظاهرة الفقر حقيقا لا وهما، وهذا ما سجله التاريخ بماء الذهب في أروع الأمثلة، من خلال سيرة الرسول صلى الله عليه واله وسلم العطرة وسيرة المعصومين عليهم السلام ومن اتخذناه انموذجا لبحثنا امير المؤمنين عليه السلام .

٣ -إنَّ الإسلام قد تطرَّق لمشكلة الفقر من البداية، وجعل مسؤولية القضاء على الفقر مسؤولية مشتركة بين الفرد والدولة، فعلى الفرد أن يسعى إلى إتقان العمل، وزيادة الإنتاج...الخ .

التوصيات :

في ضوء النتائج التي توصل إليها البحث توصي الباحثتان بـ:

- الالتزام بمنهج القران الكريم ومنهج الرسول صلى الله عليه واله وسلم والائمة المعصومين عليهم السلام ومن اتخذناه انموذجا الامام علي عليه السلام في معالجة ظاهرة الفقر.

- توفير فرص عمل لشريحة الشباب الفقراء القادرين على العمل من خلال انشاء مشاريع تشجع على العمل اليدوي اقتداءاً بمنهج امير المؤمنين عليه السلام .

- توفير الحياة الكريمة لغير القادرين على العمل، أو الَّذين لم تستطع الدولة أن توفِّر لهم فرص العمل المناسبة، وذلك بمنح حدِّ الكفاية، لكلِّ محتاج، أو معيل كما كان يفعل سيد الاوصياء عليه السلام .

- توفير سكن مناسب للفقراء من خلال بناء وحدات سكنية تكون بديلا عن الايجارات الشهرية التي ترهق كاهل الفقراء .

- الاهتمام بتعليم شريحة اطفال الفقراء والايتام من خلال انشاء مدارس خاصة لهم.

- إصدار قوانين لرعاية حقوق العمال، وضمان حقوقهم، وحرِّيَّة اختيار العمل المناسب لهم من حيث التَّخصُّص، أو المواهب الفرديَّة، مع حماية حقِّ التَّنافس، والتَّفاوت، وقانون العرض والطَّلب ما دام ينأى عن الاستغلال والاحتكار.

(ملخص البحث)

ان الفقر مشكلة تؤذي النفوس والعقول والمجتمعات الانسانية وهو كغيره من المشاكل التي قام بعرضها القران ثم عرض علاج لها من قبل المسلمين وحثهم على العمل بقوانين القران لبناء المجتمع الانساني المؤمن قال تعالى (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [٥٥].

ولم يكن الامام امير المؤمنين عليه السلام ليشذ عما رسمه القران الكريم والنبي الخاتم صلى الله عليه واله وسلم ولكنه اجتهد وعلى ضوء ما جاء في القران الكريم وصك الذين خلت قلوبهم من الرحمة واستباحوا ما ليس لهم فيه حق صكهم صكا عنيفا بقوله: ما جاع فقير الا بما متع به غني .اما في العصر الحديث فقد قام كثير من العلماء والمفكرون بوضع نظريات لتحليل الظاهرة ولوضع حلول لها، كما قامت الأنظمة السياسية بوضع برامج وسياسات على مستوى دولهم، كما قامت المنظمات العالمية مستنفرة للهيئات والمراكز العلمية والبحثية المتخصصة، من وضع مخططات عالمية لعلاج الظاهرة، ولما كانت هذه المحاولات على كل المستويات، خارج إطار العدالة الإنسانية المنشودة، وخارج إطار علاج الأسباب، فإنها باءت بالفشل وأقل ما يقال

عنها أنها لم تأت أكلها ،إن لم نقل أنها أدت إلى تفاقمها، حتى أصبح الفقر ظاهرة عالمية لا يكاد يخلو منها بلد ، وتعاني منه أكثر المجتمعات.

وقد قسم البحث الى ثلاث مباحث تضمن المبحث الاول (تعريف الفقر لغة والفقر في لغة القران و في لغة الحديث الشريف) والمبحث الثاني (علاج القران الكريم لمشكلة الفقر) والمبحث الثالث (معالجة الفقر في الكوفة وارجاء المعمورة) والمبحث الرابع (اهم ما توصل اليه البحث من الاستنتاجات والتوصيات).

والحمد لله رب العالمين

الهوامش:

١ - ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ،ط٢، ٢٠٠٣،ج١١، ص٢٠٦.
ينظر الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ، ترتيب وتوثيق خليل مأمون ، دار المعارف ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠٧، ص ١٠٠٥.

٢ - البغدادي ، المعونة ، دار الفكر، بيروت ، لبنان، دط، ج١، ١٩٩٩، ص٤٤١.

٣ - ، النراقي ، جامع السعادات ، ص٣١١، ط١ ، ج١-٣، مطبوعات دار الاندلس ، ٢٠٠٩بيروت.

٤ - سورة محمد الاية، ٣٨

٥ - سورة البقرة الاية ١٦٨

٦ - الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القران ، ص ٦٢٤، ج١-٢، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ،بيروت ، لبنان .

٨- الشيرازي ، ناصر مكارم ، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ،منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ص ٦٦٠، ج١٢،ط١ المصححة ، ٢٠٠٧، بيروت .

٨ - سورة فاطر الاية ١٥.

٩ - الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القران ، ص ٢٥-٢٦ ، ج١٧-١٨ مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ،بيروت ، لبنان .

١٠ - النراقي ، جامع السعادات ، ص٣١٧-٣١٨، ط١ ، ج١-٣، مطبوعات دار الاندلس ، ٢٠٠٩بيروت .

١١ - الكليني ، اصول الكافي ، ج١-٢ ، دار المرتضى ، ص ٥٩٩،ط١، ٢٠٠٥، بيروت .

١٢ - الكليني ، اصول الكافي ، ج١-٢ ، دار المرتضى ، ص ٦٠٠-٦٠١،ط١، ٢٠٠٥، بيروت.

١٣ - سورة التوبة الاية ٦٠

[١٤] – سورة التوبة الاية ١٠٤

[١٥] – سورة البقرة الاية ٢٧١.

[١٦] – الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القران ، ص ٦٢٦-٦٢٧ ، ج١-٢ مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ،بيروت ، لبنان

[١٧] – الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القران ، ص ٢٩١ ، ج٩-١٠مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ،بيروت ، لبنان

[١٨] – سورة الملك الاية ١٥

[١٩] – سورة المزمل الاية ٢٠

[٢٠] – الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القران ، ص ٢٨٣ ، ج١٩-٢٠ مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ،بيروت ، لبنان

[٢١] – الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القران ، ص ٣٧٧ ، ج ١٩-٢٠ مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ،بيروت ، لبنان

[٢٢] – العقاد ، عباس محمود ، عبقرية الإمام علي : ص١٦٤-١٦٥ .

[٢٣] – العزيزي ، روكس بن زائد ، الامام علي اسد الاسلام وقديسه ، ص ١٠٧، ١٩٦٧، النجف .

[٢٤] – الامام علي (ع) في رؤية (النهج) و (رواية) التاريخ : ص ١٩٢ ، نقلا عن نهج البلاغة ج٣ ص٩٣ .

[٢٥] – المصدر السابق نقلا عن نهج البلاغة ج٢ ص١٠ .

[٢٦] – المصدر السابق ، نقلا عن نهج البلاغة ج٣ ص٧٥ .

[٢٧] – فروع الكافي :ج٥،ص٧٥.

[٢٨] –غرر الحكم ودرر الكلم

[٢٩] –الحياة : ج٤،ص٣١٩

[٣٠] – ميزان الحكمة :ج٤،ص١٢١

[٣١] –المستدرك :ج٢،ص٤١٧

[٣٢] – المدرسي ، هادي ، مصدر سابق ، ص٢٠٠.

[٣٣] – نهج البلاغة : الحكم

[٣٤] –شرح نهج البلاغة : ج١٦، ص٩٣.

[٣٥] – مطهري ، مرتضى ، في رحاب نهج البلاغة : ص١٥٨.

[٣٦] – جعفر ، مهدي خليل ، الموسوعة الكبرى لاهل البيت ع ، مركز الشرق الاوسط الثقافي ، ص ٢٩٠.

[٣٧] – جففر ، مهدي خليل ، مصدر سابق ، ص ٢٨٨-٢٨٩.
[٣٨] – الحسني ، هاشم معروف ، سيرة الائمة الاثني عشر ، ط٦، المكتبة الحيدرية ، ص ٣٠٠.
[٣٩] – الحسني ، هاشم معروف ، مصدر سابق ، ص٣٠٤-٣٠٥
[٤٠] – العزيزي ، روكس بن زائد ، الامام علي اسد الاسلام وقديسه ، ص ١٠٧، ١٩٦٧، النجف .
[٤١] – المترفق ببدنه ، العامل بيده ، والمرافق الادوات والالات التي يستعملها صاحب المصنع.
[٤٢] – الحسني ، هاشم معروف ، مصدر سابق ، ص ٢١٧-٢١٨.
[٤٣] – جففر ، مهدي خليل ، مصدر سابق ، ص ٢٩٠- ٢٩٣-٢٩٤.
[٤٤] – العزيزي ، روكس بن زائد ، الامام علي اسد الاسلام وقديسه ، ص ١٠٨، ١٩٦٧، النجف
[٤٥] – الكليني ، مصدر سابق ، ص٥٢٣.
[٤٦] – في رحاب نهج البلاغة : ص١٧٠ – ١٧١ .
[٤٧] – في رحاب نهج البلاغة : ص١٧٢.
[٤٨] – الحسني ، هاشم معروف ، مصدر سابق ، ص٣٠٨-٣١٠.
[٤٩] – المدرسي ، هادي ، اخلاقيات امير المؤمنين عليه السلام ، ط١، بيروت ، مؤسسة الاعلامي ، ١٩٩٩، ص ١٣٩.
[٥٠] – علي امام المتقين : ج١ ، ص٤٩.
[٥١] – المدرسي ، هادي ، مصدر سابق ، ص١٤٠.
[٥٢] – الحسني ، هاشم معروف ، مصدر سابق ، ص٣١٣.
[٥٣] – الامام علي (ع) في رؤية (النهج) ، نقلا عن نهج البلاغة ج٣ ص٥ .
[٥٤] – المصدر السابق نقلا عن نهج البلاغة ج٣ ص٧٢ .
[٥٥]– سورة التوبة الاية ٦٠

المصادر :

- القران الكريم
- الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ، ترتيب وتوثيق خليل مأمون ، دار المعارف ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠٧.
- ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ،ط٢، ٢٠٠٣،ج١١.
- البغدادي ، المعونة ، دار الفكر، بيروت ، لبنان، دط، ج١، ١٩٩٩.
- الحسني ، هاشم معروف ، سيرة الائمة الاثني عشر ، ط٦، المكتبة الحيدرية .

- الشيرازي ، ناصر مكارم ، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ،منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ج١٢،ط١ المصححة ، ٢٠٠٧، بيروت .
- الطباطبائي ، محمد حسين ،الميزان في تفسير القران ،ج١-٢ مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ،بيروت ،لبنان
- الطباطبائي ، محمد حسين ،الميزان في تفسير القران ،ج١-٢،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ،بيروت ،لبنان
- الطباطبائي ،محمد حسين ،الميزان في تفسير القران ،ج٩-١٠مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ،بيروت ،لبنان
- الطباطبائي ،محمد حسين ،الميزان في تفسيرالقران ،ج١٩-٢٠مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ،بيروت ،لبنان
- الطباطبائي،محمد حسين ،الميزان في تفسير القران ،ج١٧-١٨مؤسسة الاعلمي للمطبوعات،بيروت ،لبنان
- العزيزي ، روكس بن زائد ، الامام علي اسد الاسلام وقديسه ، ١٩٦٧، النجف .
- العقاد ، عباس محمود ،عبقرية الإمام علي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بغداد – بيروت ، مطبعة منير ، بغداد شارع المتنبي ، توزيع مكتبة دار التربية .
- الكليني ، اصول الكافي ، ج١-٢ ، دار المرتضى ،ط١، ٢٠٠٥، بيروت .
- المدرسي ، هادي ، اخلاقيات امير المؤمنين عليه السلام ، ط١، بيروت ، مؤسسة الاعلامي ، ١٩٩٩.
- النراقي ، جامع السعادات ، ط١ ، ج١-٣، مطبوعات دار الاندلس ، ٢٠٠٩بيروت.
- بيضون ،إبراهيم ،الامام علي (عليه السلام) في رؤية النهج و رواية التاريخ ، ، ط٢ ، نشر العتبة العلوية المقدسة – قسم الشؤون الفكرية الثقافية ، ١٤٣٣ه – ٢٠١٢ م
- جعفر ، مهدي خليل ، الموسوعة الكبرى لاهل البيت ع ، مركز الشرق الاوسط الثقافي.
- عبيدات ، ذوقان ، كايد عبد الحق وعبد الرحمن عدس ، ١٩٩٨،البحث العلمي مفهومه وادواته واساليبه ، ط ٦ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بغداد .

- مطهري ، مرتضى ، في رحاب نهج البلاغة ، ط٢ ، دار المصطفى العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، بيروت ، ١٤٣١ ه -٢٠١٠ م .

الكوفة في رحلتي ابن جبير وابن بطوطة ـ دراسة موازنة ـ

د. صفاء عبد الله برهان الغرباوي
أستاذ الأدب الأندلسي المساعد
كلية العلوم الإسلامية بجامعة بغداد

المقدمة :

حظيت مدينة الكوفة الشريفة، بمنزلة مهمة في الوجدان الإسلامي؛ لما تمثله من نواة المدينة العربية في فجر الإسلام، وهو ما جعلها تحتل مراتب متقدمة، عند الحديث عن المدن الإسلامية، وقد زانها شرفا ورفعة، اختيارها عاصمة أمير المؤمنين علي عليه السلام، فكانت الحاضرة المدنية والعلمية والدينية وقتذاك.

لقد كثير الحديث عن مدينة الكوفة، في متون الفكر والتاريخ والسياسة والأدب، وفيما يتعلق بالشأن الأخير، نجد الشعراء نظموا القصائد المستقلة فيها، أو تلك التي جاءت الكوفة ضمن موضوعات القصائد المتنوعة. ولا ريب في تأثير الأدب في حياة الإنسان، ومنه الأدب النثري، بألوانه المتعددة، كالقصة والخطبة والرسائل والمناظرات والمقامات. وقد وردت الكوفة في كل تلك الألوان، بحسب الحاجة التي يمليها فكر الإنسان وذائقته، بما أثرى تلك المتون النثرية. والملفت للأنظار أن الألوان الأدبية، تفتقد طيفا مهما، هو أدب الرحلات، الذي لما يزل يصارع البقاء؛ لعدم عناية الباحثين بهذا اللون من الأدب، علاوة على عدم اهتمام بعض الرحالة، بتدوين رحالتهم بصيغة أدبية، تعنى بوصف الأماكن والأحداث والشخصيات. هذا الطيف الأدبي، قد أثرى النثر العربي كثيرا، ولاسيما من قبل الرحالة المغاربة والأندلسيين، الذين شغفوا بالرحلات إلى المشرق الإسلامي، وعمد ثلة قليلة منهم إلى تدوين رحلاتهم، وقد ازدانت تلك التدوينات باسلوب أدبي، ارتقى بما حدثوا عنه في الأماكن التي زاروها.

إن المتتبع لأثر أدب الرحلات، يدرك أن هذا الفن الجميل، قد أضاف للأدب العربي الكثير، ولاسيما فيما يتعلق بوصف المجتمعات البعيدة، بما يشغل الذائقة الشخصية للرحالة والمتلقي معا. وكان العراق من أهم البلاد المشرقية، التي رنت لها أبصار المغاربة والأندلسيين، فحاز على مدونات كثيرة، أظهرت ما كان عليه هذا البلد، فوصفوا أمكنته واشخاصه وأحداثه، ولكن لم تحظ مدينة الكوفة، إلا على ذكر رحلتين اثنتين، هما ابن

جبير الأندلسي (٥٧٨__ ٥٨١هـ)، وابن بطوطة المغربي (٧٢٥_ ٧٤٩هـ)، إزاء صمت الرحلات الأخرى؛ لأسباب متنوعة كعدم زيارة المدينة أصلا، أو عدم الالتفات إليها عند المرور بها، فكانوا كراما في مرورهم، أو أن ثمة مدونات تناولت الكوفة، ولكنها أمست مدونات مفقودة. ومن هنا حرص الباحث على ذكر ما جاء في هاتين الرحلتين، ولاسيما أنهما تمثلان عنوانان مهمان في أدب الرحلات، ولكي لا يندثر ذكر الكوفة في هذا الفن النثري، كما اندثر ما سواها، الذي قلّ الاعتناء به أصلا. فجاءت مفردات البحث معرفة به، ومن ثم التعريف بالرحلتين، وأهم المحطات التي وقف عندها الرحلتين، موازنا بينهما بحسب الأوصاف التي أورداها، وما رشح منها من نتائج توصل إليها البحث.

مدخل .. أدبية الرحلة:

كان للرحلة أهمية واضحة في وجدان العرب؛ لما تمثله من تجديد في حياة الإنسان العربي، يشمل المكان الذي يحتضن الكثير، مما لم تألفه الذات المرتحلة. وهو ما يعني تغييرا مهما في أدبيات الإنسان، وارتقاء في نظرته إلى مفردات الحياة، وهذا ما درجت عليه الذات العربية، التي ألفت الترحال لأسباب متنوعة، والمؤكد أن ذلك منح العربي تميزا واضحا.

ومن الطبيعي أن منهجية الشخصية العربية، وما يعتريها من رؤى نقدية، تطورت بتطور حياة العرب العقائدية والفكرية والاجتماعية، بعد بزوغ الإسلام الذي شكل موقفه الخاص من الرحلة، بخاصة الهجرة النبوية الشريفة، التي غيرت مسار الإسلام، وانتقلت به نقلة واضحة، ومن هنا كان للارتحال أثره، الذي يؤثر في الإنسان والكان معا، وهو الشأن الذي يزود تلك الشخصية بالكثير من المعارف، التي ترتقي بصاحبها و تميز بها طوابعه.

كان للأوصاف التي رمقها المتلقي العربي، بحسب المنهجية التي أملت على الرحالة، أن يدوّن ما لم يألفه في بيئته، بما يشتمل على الارتقاء بالموصوفات، وعرضها في صورة أدبية، بما يمنحه الأسلوب الوصفي، الذي تخط به مفردات الوصف، والذي يحدّ بأنه (إسلوب إنشائي، يتناول الأشياء في مظهرها الحسي).[١] وهذا الاتساع في مفهوم الرحلة،

ودخولها في حقل أدبي، يعتمد الوصف، أثر في تداخل المعاني، التي تزدان بها الموصوفات، ولاسيما عند الرحالة الأديب، الذي يعمل على وضع الرحلة في حيز صنعته، وهو ما يمكن كتابات الرحالة، من الرسوخ في جنس أدب الرحلة؛ بوصفه (مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من سلوك وأخلاق، وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها).[٢]

ولهذا استحوذ أدب الرحلات، على ما يحمله هذا الجنس الأدبي، من تفسير الظواهر والأحداث والأماكن، بحسب موازينه الأدبية الخاصة، التي تحدث كثيرا من الانطباعات، والتي تحتكم إلى التعمق في فهم الأدبية من جهة، وتمكين ما تقع عليه العين الراحلة مما يحيط بها من مؤثرات المكان المزار من جهة أخرى، بما تفرض على الكاتب من استنفار الحواس الخمس؛ لأجل تقديم وصف أدبي يليق بكل ذلك، والمؤكد أن ذلك يكون في صياغة نثرية، تناظر الصياغة الشعرية، بما تسجله من ملاحظات، تعنى بخصائص أدب الرحلات، التي تؤكد بدورها جنسه الأدبي، وبهذا فإنه يفسر لنا حقيقة، وهي (اعتماد الكاتب في عرض أفكاره ومعانيه على الوضوح التام، والتحليل والبسط والإفاضة والالتزام في كثير من الأحيان بالدقة اللغوية، والاعتماد أحيانا على الأقيسة والبراهين العقلية والمنطقية؛ لذا كان النثر أدق من الشعر في عرض المعاني وتحليلها).[٣]

وهنا نجد أن الوصف يعتمد ما تقدم ذكره في النص؛ للتركيز على أوجه كثيرة، بما ترصده العين الأدبية. ومن أهمها ما يعمل في الوجدان من استقراء، يؤدي إلى تحكيم العقل أولا والعاطفة ثانيا، باعتماد الحوادثِ والظواهر المتفردة، التي تمثل مسيرة الحياة والإنسان معا؛ لترتبط أدبية الرحلة، بما تنماز به عن الاجناس الأدبية الأخرى، ما يعني (إن موضوع العلم الأدبي، يجب أن يكون دراسة الخصيصة النوعية للموضوعات الأدبية، التي تميزها عن كل مادة أخرى).[٤]

وبهذا فأن مسألة تصوير البيئة مكانا وإنسانا، ستخصص حيز الرحلة الأدبي، التي تراعي صيغة هذا الأدب وشكله، ومن ثم فإنها تخضع في تكوينها إلى المزاج الشخصي للرحالة، التي تحتم الوقوف عند طبيعة هذا المزاج، وما ينتج عنه من مفردات، تسلك

نفسها في عالم الرحالة الأدبي، الذي يؤثر إظهار الحوادث، وبيان الأمكنة و الظواهر المتعلقة بها، المتفرد عن المنظور المحلي؛ لأن (الاقتصار على التراث القومي وحده في عملية الإبداع، لا يغني عن التراث الإنساني).[٥]

إن المتأمل للصورة التي يرسمها أدب الرحلات، يلاحظ خضوعها لعناصر مهيمنة عليها، بخاصة التفاعل مع التراث المحلي للمجتمعات الأخرى، الذي تتجلى تأثيراتها على المستوى الثقافي، وتمثل وحدة في النشاط الإنساني، ومن ثم فهو يقدم صورة للنظير، دون أن يطرأ عليها أي تغيير؛ ليبتعد عن النمطية الراسخة، وليفسح المجال للرؤى والمنهجية المقابلة، أن تتجاوز النظرة الثابتة، التي تجسّد تراثا موقوفا على أبناء جلدته، وتبدو تعبيرا عن معرفة صالحة في زمانها ومكانها.

▪ الغرب الإسلامي والرحلات:

شغف أبناء الغرب الإسلامي _ الذي يشمل المغرب والأندلس_ بالرحلة إلى المشرق، وقد كان الداعي لذلك، هو روحانية الشرق وسحره، الذي بان في هواجسهم الدينية والاجتماعية، علاوة على مزاج الرحلة العالي، الذي عرف عن المغاربة والأندلسيين، بحيث طغت الرحلات في تلك الاصقاع على ما سواها، وشكلت حضورا اجتماعيا، وانتجت مادة أدبية وثقافية، فضلا عن المادة الجمالية، التي تتضح أمام متلقي النصوص الرحلية، ويتعين معها قراءة النص، بما تحتمله من مشاهد ناطقة. ومن ثم عد منجزهم الرحلي نشاطا انسانيا، يحتوي صورة المجتمعات الأخرى، التي تشرق أبعادها الاجتماعية والثقافية والفكرية والاقتصادية، التي تحرك محاور كثيرة من تلك الرحلات. وهكذا انتهت الرحلة في مجملها إلى تشكيل أدبي ضمن منظومة إنسانية، يعتمد عناصر متنوعة، تستجيب لرغبة أبناء الغرب الإسلامي؛ ومن هنا فلا ريب أن (شكلت الرحلة بالنسبة لمسلمي الغرب الإسلامي، منذ فجر الدعوة الإسلامية، وإشراق شمسها على ربوع هذا الجانب من العالم الإسلامي، هاجسا دائم الحضور، ومطلبا قوي الإلحاح).[٦]

ولا ريب في أن أدب الرحلة، الذي انماز به أولئك المغاربة والأندلسيون، إنما احتكم إلى قضية الطبع بنحو كبير، وهو ما يساير حقيقة فن الرحلات، على احتسابه ضمن الفنون الإنسانية، التي تنتظم ضمن قواعد مؤسسة، ونتائج مقننة، التي تعتمد مخزونها

المتنوع؛ لتفهـم طبيعة الإنسان الانتقالية، ومن ثم لتخضع تفسير الظاهرة الأدبية، وهو ما يمنح الطبع منزلته المهمة في العملية الإبداعية، وتبين حقيقته التي تتلخص في أن (الطبع هو عمود العملية الإبداعية، وهو الذي يتحكم في توجيه المبدع إلى نظم و نثر، وإليه يعود تفوقه في غرض أو مجموعة أغراض في إطار الصناعة والفن الواحد).[٧] وهكذا تتحدد معالم هذا الفن النثري، في مرحلة التأسيس والتكوين والنتاج، التي تجعله يمد جنسه إلى فن الأدب، مستندا إلى حراك إنساني في الرؤية والتجربة والنتاج، بما يجعله يتحرك في محورين أساسين، الأول فعل السفر، وما يكشف لهم من حركة المجتمعات المزارة، حيث أديانها وأساطيرها وعاداتها وتقاليدها وأحداثها. والآخر منجز الرحالة نفسه، الذي يصف ذلك في لغة، ترتقي بطبيعة تلك المشاهد والأحداث والأشخاص. وهو ما وقع لأبناء الغرب الإسلامي، الذين حرصوا على اكتشاف الشرق بحواضره ومعالمه ورموزه الإنسانية، وكان ذلك يمثل دافعا مهما لرحلة الكثيرين إليه، بمعنى أن (العامل الجغرافي الذي جعل الغرب الإسلامي في أقصى نقطة من خارطة العالم الإسلامي، حتى سمي في بعض الحوارات الطريفة بذيل الطاووس، كان دافعا قويا لأهله؛ للتواصل مع عواصم الثقافة العربية في المشرق).[٨]

كان العراق أحد أبرز البقاع المشرقية، التي تطاولت لها أعناق الرحالة المغاربة والأندلسيين؛ لما يحمله من خزين حضاري كبير، ولاسيما بعد شروق شمس الإسلام، وبناء مدينة الكوفة في سنة ١٦هـ، أول المدن الإسلامية التي بنيت خارج أرض النبوة، بعدما فتح المسلمون العراق، وتحريره من الإمبراطورية الساسانية، وازدادت أهمية الكوفة، بعد أن اتخذها أمير المؤمنين علي عليه السلام عاصمةً للخلافة الإسلامية في سنة ٣٥ هـ. لكن المفارقة الغريبة حقا، أن مدونات الرحالة المغاربة والأندلسيين، قد صمتت عن الحديث عن تلك المدينة، ولم تنبس ببنت شفة، حتى النصف الثاني من القرن السادس الهجري، بحيث سجلت أول زيارة لها من قبل رحالة أندلسي. هو بنيامين التطيلي (٥٦١_٥٦٩ هـ)[٩]، الذي كان معنيا بتدوين الجاليات اليهودية خارج الأندلس، فمر على ذكر الكوفة، وذكر أنه: (يقيم بها سبعة آلاف يهودي. وفيها قبر يكينة ملك يهوذا، حوله كنيس يهودي، وفيها أيضا مسجد كبير للمسلمين، في رحبته مرقد

الإمام علي بن أبي طالب، صهر نبيهم محمد، يحجونه للزيارة والتبرك).[١٠] والملاحظ أن غاية الوصف، تقدم تقريرا للوجود اليهودي بالكوفة عددا وآثارا، وذكر مسجد الكوفة المعظم فحسب. ولكنه وقع في لبس تاريخي، عندما نسب موضع مرقد أمير المؤمنين علي عليه السلام في المسجد، على حين أنه مكان اغتياله في المحراب.

▪ رحلتا ابن جبير و ابن بطوطة:

إن المتمعن في أدب الرحلات، يدرك أن هاتين الرحلتين، تعدان من أهم ما انتجه وجدان الغرب الإسلامي، فيما يخص هذا الحقل من الدراسات الأدبية. وقد أشار الكثير من الباحثين إلى أهميتهما على المستويات كافة،؛ لما تضمنتا من معلومات موثقة، وأسلوب محكم، وقصص مشوقة. بما أثرى أدب الرحلات، وجعل منهما، أساسا منظورا إليه من قبل الرحالة المغاربة والأندلسيين، وهم يدونون متونهم الرحلية. فقد وصف ابن عسكر المالقي، رحلةَ ابن جبير الأندلسي[١١]، بقوله: (له كتاب جمع فيه رحلته، وعجائب ما رأى وشاهد، وأتقن فيه غاية الاتقان).[١٢] ولا ريب في أن ابن جبير، كان على درجة عالية من الضبط والموضوعية والأمانة في النقل، أسوة بالرحالة المغاربة والأندلسيين، الذين كانوا من النخب الثقافية، و كان (حرصهم شديدا على تدوين وتوثيق دقائق رحلاتهم إى المشرق ومجرياتها).[١٣] أما رحلة ابن بطوطة المغربي[١٤]، فتعد من أشهر الرحلات التي قام بها الرحالة المسلمون، إن لم تكن أشهرها، ومما يميزه في تلك الرحلة أنه (لم يكن نقالة، اعتمد على كتب غيره، بل كان رحالة، انتظم محيط اسفاره عددا كبيرا من الأقطار).[١٥] ويكفي في علو شانها، ما قرره الدكتور عبد الهادي التازي، الذي كان أهم من اعتنى بها، وحققها تحقيقا رصينا، قال: (إن رحلة ابن بطوطة ستبقى في حاجة أكثر إلى استجلاء غوامضها والكشف عن عن المزيد من أسرارها وفوائدها).[١٦] ولا مشاحة في أن كلمة التازي، تعطي لرحلة ابن بطوطة أعمارا أدبية، تتجاوز حدود الزمان والمكان، بحسب ما أودعها من معلومات متنوعة، ذات فوائد طريفة على الوجدان المحلي عامة.

▪ مدينة الكوفة:

استحوذت مدينة الكوفة على أهمية واضحة، ضمن اهتمامات المتون الرحلية؛ لما تمثله من الأنموذج العمراني الأول والرصين، الذي شكّل أساس المفهوم الإسلامي للحواضر الإسلامية، وكان له أن يبلغ مدى واسعا في التفكير الإنساني؛ لما يحرزه من أهمية اجتماعية؛ إذ العمق الروحي للجماعة المسلمة، سواء أكانت محلية أم زائرة، التي تنظر إلى الكوفة، بوصفها تلك المدينة العربية الأولى، التي تمصرت في ظل الإسلام، واتخذت أول عاصمة بعد المدينة المنورة. وهو ما يخضع الوجدان المسلم للإرادة العلوية الشريفة، التي حققت للمسلمين فضاء روحيا وماديا، يقوم على أسس من المبادئ، التي تمكن من الانخراط الفعّال في المشروع العلوي للدولة الإسلامية.

وقد أدركت النصوص الرحلية تلك الغاية، وبانت من مفردات الرحالتين، الصفةُ الحقيقية التي نشأت عليها الكوفة، وإن تغيرت أحوالها العمرانية إلى حد كبير، ولاسيما في زمن الرحلتين، ولكن ذلك لم يمنع من تصوير حقيقة تلك المدينة في كتاباتهم، بما أشعر المتلقي بمسايرتها للذائقة الأدبية، بحسب الخطاب الذي تبتغيه الذات الراحلة، ومن ها كان (على الناثر أن يحيط بالأحداث التاريخية، والاجتماعية، وأخبار العرب، حتى يحسن تصويرها، ولا يتجاوز حقائقها المألوفة).[١٧]

لقد أظهر ابن جبير الأندلسي، الحال التي غلبت على الكوفة، بما وقعت عليه عيناه، وقد بانت في ثقافة الغزو، التي تغلبت على ثقافة التحضر؛ نتيجة ما قامت به قبيلة خفاجة العربية حينها، وهو ما يشكل الأسلوب البدائي، الذي شمل شعوبا وأجناسا في حضارات قديمة، عندما لا ينظر إلى الحاضرة السياسية والعلمية كالكوفة بعين تفوقها، بل من عين نزعة التسلط والحصول على المغانم؛ نتيجة تردي أحوال المسلمين في أيام الاحتلال الاجنبي، حيث تعاقب احتلال البويهيين والسلاجقة، الذين جثموا على صدر العراقيين وقتذاك، ولم يكن تعنيهم عمران البلاد والعباد، قال واصفا الكوفة: (هي مدينة كبيرة عتيقة، قد استولى الخراب على أكثرها، ومن أسباب خرابها، قبيلة خفاجة المجاورة لها، فهي لا تزال تضر بها، وكفاك بتعاقب الأيام والليالي محييا ومفنيا، بناء هذه المدينة بالآجر خاصة، ولا سور لها. والجامع العتيق، آخرها مما يلي شرقي البلد، ولا عمارة تتصل من جهة الشرق).[١٨]

يبدو أن الكوفة هنا كانت تمر بحال عسيرة، بل نرمق من وصف ابن جبير، أنه لا يمكنه أن يعطيها الصفة العلمية، التي عرفت عنها؛ بوصفها مدرسة إشعاع للقراءآت القرآنية والمدارس النحوية؛ والسبب تعاقب الأزمان التي ابتعدت عن تلك المرحلة الزاهرة، علاوة على تعرب القبائل المحيطة بها، ولاسيما خفاجة، ما جعلها تجافي التفوق على الأجناس والبيئات الاخرى؛ لأن الصفة البدائية التي أدركتها عين ابن جبير، قابلت تحضر ما سواها وقتذاك، ولاسيما بلاد الأندلس موطن ابن جبير. وهذه البدائية بتاريخ معين، بدليل أن الحال استمرت إلى زمن مرور ابن بطوطة بالمدينة؛ إذ نجد أن الحال استمر، لدرجة أن الوصف جاء مقاربا كثيرا في جزء من مفردات ابن بطوطة، قال: (مدينة الكوفة، وهي إحدى أمهات البلاد العراقية، المتميزة فيها بفضل المزية، مثوى الصحابة والتابعين، ومنزل العلماء والصالحين، وحضرة علي بن ابي طالب أمير المؤمنين، إلا أن الخراب قد استولى عليها؛ بسبب العدوان التي امتدت إليها، وفسادها من عرب خفاجة، المجاورين لها، فإنهم يقطعون طريقها، ولاسور عليها، وبناؤها بالآجر، وأسواقها حسان، وأكثر ما يباع فيها التمر والسمك).[١٩] وواضح أنه ينماز من وصف ابن جبير، بالانفتاح على حقيقة الكوفة، عندما عرف بماضيها التليد في النصف الأول من وصفه، حيث (الحاضرة العراقية، واحتضان السلف الصالح، ودار العلم، والعاصمة العلوية). ومن هنا نلحظ أن توصيفاته المقتضبة، كانت تكثف دلالاتها التي يتجاوز فيها مفهوم التفكير، المكانَ المتحوّل عبر الزمان، وهو في الوقت ذاته، يسير في صيرورة بيّنة، ويبرز معها صنع الحدث، على وفق ثنائية (الثابت / المتحوّل)، وهو ما يعطي للكوفة العلوية منزلتها الروحية، التي أثرت الحضارة الإسلامية. وهذا الشأن يؤكد أن ابن بطوطة، كان يساير طبيعة الذات الإنسانية، التي تسعى به إلى البحث عن هوية الذات المفقودة، وما تضم في ثناياها من ميادين متعددة، تلج إلى الألق العقلي. وبعدها نراه يردد كلمات الخراب، التي ساقها ابن جبير؛ مشخصا أثر قبيلة خفاجة في خرابها، وهو قطع الطريق أمام الناس، ما يعني تعرّب هؤلاء القوم وقتذاك، بما فرضته ظروف الاحتلال الاجنبي للبلاد، ولكنه ينفرد بوصف داخلي لمدينة الكوفة، حيث البعد التجاري لها، التي تقف به موقفا واضحا إزاء الخمول الفكري حينذاك، وهو ما يضع

المتلقي، إزاء ما يفتح كل ما هو ضيق؛ ليؤكد أن الحياة مزدهرة؛ بسبب تلك الأسواق الحسان.

▪ جامع الكوفة:

مثّل جامع الكوفة المعظم، صورة مهمة من صور النشاط الإنساني الكبير؛ بوصفه المؤسسة العلمية والقضائية؛ لينطلق منها المنجز العلوي، ولاسيما في الحواضر والبوادي الكبرى، وما تعمله من أسباب التحضر؛ إذ نقل ذلك المنجز الكبير، الكوفة من معسكر لجيوش الفتح إلى حاضرة الدولة الإسلامية، بما جعلها تغترب عن المدن الإسلامية زمنذاك. وعلى وفق ذلك كان لجامع الكوفة، منزلته الروحية والحضارية في وجدان المسلمين. وهو ما أدركته العيون الزائرة له، وبينوا ذلك بمفرداتهم الوصفية، التي لا تظهر معها طبيعة الوصف، العاملة في الشخصية الإنسانية، حيث عمران ذلك المسجد المادي والروحي، وما يفرزه من نشاط إنساني، يتداخل في ذهنية المتلقي، ويعمل في بقية العناصر المكونة للنتاج الإنساني. ويسرد أحوال البلاد والعباد المشرقية، التي تحتضن أحداثا ومعالما، توطّئ مفاهيم تاريخية قائمة الذات، ومتمكنة من النفس البشرية، التي تحرز مكانتها في الحيز المقابل، بما يربط علاقة الإنسان بالمكان؛ فمثلت الرحلة (طريقا للمجد، وشكلت سبيلا للشهرة والتألق في مجتمع ظلت أنظاره وقلوبه وأفئدته، مرتبطة بالمشرق كرمز للصفاء والطهارة والنقاء، وكعلامة للجذور والأصول، وكمنبع للحقيقة والشريعة).[٢٠]

ومهما يكن من شان يذكر، فقد أفصحت مفردات الرحلتين، عن إعجاب كبير بذلك المسجد الشريف، الذي بدا معهما تأثرهما في كثير من أوصافهما؛ بسبب المرحلة المتقدمة لتفوق العراقيين الحضاري، ولاسيما عند بزوغ الاسلام عليهم، وازدهارها في بلاد الرافدين، الذي انجلى واضحا في العلوم والعمران، فجعل ما سواها يستشعر التبعية لها، والشعور بالضآلة أمام المنجز العراقي، فأورد ابن جبير وصف ذلك المسجد المعظم بنحو وافٍ، يمكن أن نلتقط منه ما يعين على فهم ذلك الوصف بنحو متتابع، بحسب الموضوعات التي أوردها، قال: (هو جامع كبير، في الجانب القبلي منه. خمسة أبلطة، وفي سائر الجوانب بلاطان، وهذه البلاطات على أعمدة من السواري الموضوعة من

صم الحجارة، المنحوتة قطعة على قطعة، مفرغة بالرصاص، ولا قسي عليها، على الصفة التي ذكرناها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي في نهاية الطول، متصلة بسقف المسجد، فتحار العيون في تفاوت ارتفاعها، فما أرى في الأرض مسجدا، أطول أعمدة منه، ولا أعلى سقفا).[٢١]

الوصف هنا يدقق في بناء ذلك الجامع، كان يسجل الرصيد العمراني، الذي بلغه بخلاف حال الكوفة؛ إذ لم يصله خراب الأعراب والأحقاب، ومن هنا احتل منزلة مرموقة، شكل بها المعلم الأبرز للكوفة، بحسب طريقة بنائه الهندسية المتفردة، التي بينت التراث العمراني للعراقيين، ومنها البلاطات التي أدهشت عين ابن جبير، ولا ريب فهم بناة الجنائن المعلقة، وزقورة أور، وقصور الحيرة المجاورة للكوفة، وغيرها من المعالم العمرانية العراقية. وقد منحت ابن جبير، مساحة من التأملات الذاتية لهذا المكان، بما خالف المألوف المختزن في ذهنهم، ومن ثم فإن محصلة الوصف المكاني هذا، يسعى إلى الخروج بتلك المشاهد من تجريدتها؛ لتعرض إلى طول الباع العراقي، الذي أنشأ هذا المسجد الشريف، وأكدت أنه تنتمي إلى ما هو أعم وأشمل، حيث أحداث وشخصيات و أمكنة وأزمنة؛ ليوجه بتلك الأوصاف المجتمعات المسلمة إلى صفة هذا المسجد، ولاسيما عند مقارنته مع المسجد النبوي الشريف، ما يعني أنه كان يخاطب الضمير الجمعي؛ لأن (الذي لا شك فيه، أن الأديب لا يكتب لنفسه، وإنما يكتب لمجتمعه، وكل ما يقال عن فرديته المطلقة غير صحيح).[٢٢] وهو أمر لا يختلف عليه اثنان، ولاسيما عندما يتعلق الأمر بزيارة بلاد بعيدة، تختلف في تمدنها وتحضرها وبداوتها، بما يشكل رغبة ملحة للمسلمين في الأصقاع الغربية، للوقوف على معالم الإسلام الأولى بالمشرق.

في الوقت الذي نجد ابن بطوطة، قد وصف ذلك المسجد بنحو مقتضب، لم يرتق إلى وصف ابن جبير، ولم يرد ذلك المنجز العمراني إلى أصوله الحضارية، علاوة على مقارنته بالمسجد النبوي وطول أعمدته، التي تؤكد استقلاله، وما تضمنت من مفردات تتداخل وظيفيا في خدمة المتلقي. قال ابن بطوطة: (جامعها الأعظم جامع كبير شريف، بلاطاته سبعة، قائمة على سواري حجارة ضخمة منحوتة، قد صنعت قطعا، ووضع

بعضها على بعض، وأفرغت بالرصاص، وهي مفرطة الطول).[٢٣] فلم يكن هذا الوصف، سوى ترديد مبتسر المعنى والألفاظ، وقد كان عيالا على وصف ابن جبير، ولم يزد عليه إلا بنعت الجامع بـ(الأعظم والشريف)، وكأنه اكتفى بما ورد في وصف ابن جبير، الذي يعني معه أن الذائقة الأندلسية، كانت تعتمد مساحة التأملات، التي لم يديمها ابن بطوطة، ما يؤشر حقيقة أن الأماكن المنظور إليها، تكون ذات أبعاد حدثية، وهو ما لم يرجح وصف ابن جبير؛ لما أروده من وصف مكثف وافٍ لحال ذلك المسجد.

▪ الآثار النبوية:

احتوى جامع الكوفة الكثير من الآثار النبوية القديمة، التي كانت تغذي شريان الحياة الروحية، ولم يكن بوسع أي كان، أن يحجب البصر عنها، وهو ما يجلي أهمية أخرى لهذا الجامع الشريف، بما يمكنه أن يكون الأوفر حظا، بعد المسجد النبوي الشريف، الذي احتوى معالم النبوة المحمدية ومدفنها، فكان جامع الكوفة يضم معالم الخلافة العلوية، مسبوقة بآثار الأنبياء الأولين، وكان الكوفيون حريصين على تلك المشاهد الشريفة، و غير مستعدين للتفريط بكينوتها الروحية، فحافظوا على ذلك التراث الجليل، بما تنماز به هويتهم التاريخية والثقافية. فكان أن شخصت تلك المعالم الجليلة، التي توارثوا نسبتها إلى أصحابها جيلا عن جيل، وبما أكد معه النزعة الشخصية في إكبار تلك البقاع المباركة، وفي الوقت نفسه أثر ذلك في أدبيات الرحالة الزائرين، التي تعاملت على وفق المقابل الذوق الشخصي لها، والانطباع المعرفي للكوفيين، الذي يعني عدم الانسياق، خلف النوازع المحلية لهم. ويبدو أن تلك الرؤية المرتحلة، كانت تمثل تنوعا في معالجة الموروث الإنساني، وكل ذلك قد أدى إلى (جعل المدينة الإسلامية تمور بالحركة والحياة؛ لأنها استقطبت الفعاليات الإنسانية على الصعيد الاجتماعي والديني والفكري).[٢٤]

لقد كان هذا الاتجاه الحركي، ذا تأثير حضاري مهم، يعيد لآثار الأنبياء كينونتها، ويغرس التصورات الخاصة بمعتقدات الشعوب، منذ أمد بعيد في الأبعاد والرؤى، سواء اتفقت مع حقيقة نسبة الموروث أم لا، قال ابن جبير: (في الزاوية من آخر هذا البلاط القبلي،

المتصل بآخر البلاط الغربي، شبيه مسجد صغير، محلق عليه أيضا بأعواد الساج، هو موضع فار التنور الذي كان آية لنوح عليه السلام، وفي ظهره، خارج المسجد، بيته الذي كان فيه، وفي ظهره بيت آخر، يقال: إنه كان متعبد إدريس صلى الله عليه وسلم، ويتصل بهما فضاء متصل بالجدار القبلي من المسجد، يقال: إنه منشأ السفينة).[٢٥] وكما يلحظ فإن ابن جبير، يبدو هنا أنه يقدم وصفا مقتضبا عن تلك الأمكنة المشرفة، التي تخص معالم نبوية مهمة، وهي (موضع فار التنور، وبيت النبي نوح عليه السلام، ومتعبد إبراهيم، ومنشا سفينة نوح)، وهي آثار مهمة، ترتبط بعضها ببعضها الآخر زمنا وحدثا، بما يجاري وجدان القارئ والجمهور وحركة التاريخ. ولكنه أخضع المعلمين الآخيرين في هذا النص، إلى عملية النقد الموضوعي، عندما لم يؤكد نسبتها، بقوله: (يقال)، وهو بذلك عزله عن كل ما هو خارجه، دون أن يمس بحقيقة تلك المشاهد الجليلة؛ لأنه ناقل ليس أكثر، وليس له أن يحكم على حقيقة نسبة هذا المعالم إلى أصحابها، وبذلك فقد احترز بنفسه، عن النفي والإثبات، التي تسهم في حركة البناء الداخلي للنص نفسه، وقد وضح ذلك بحمله أقوال الكوفيين أنفسهم، التي تقيد مقالته إزاء المتلقي، قال: (هذه الآثار الكريمة، تلقيناها من ألسنة شيوخ البلد، فأثبتناها حسبما نقلوها إلينا، والله أعلم بصحة ذلك كله).[٢٦] وعلى وفق تلك الحال، فقد احترز ابن جبير بمفرداته، وقد تعامل مع ما تلقاه من شيوخ الكوفة بحيادية، تصف الأشياء كما هي، وتبتعد عن تقييمها؛ لأنها ستجعله غريبا عن مجتمع إسلامي عريق، فما كان منه أن يتجنبها؛ لأنه أدرك أن (الغريب هنا من يجتنب المجتمع، وما يشيع به من معتقدات، وينفصل عن العامة والناس).[٢٧] بخلاف ابن بطوطة، الذي لم يسمح لذاته، أن يتفاعل مع معتقدات أهل الكوفة، أو يسير في سبيل سلفه ابن جبير، الذي يتمكن من قراءة حركة التاريخ، ما جعله منغلقا في تفكيره، كما بان في قوله: (في الزاوية من آخر هذا البلاط، مسجد صغير، محلّق عليه أيضا بأعواد الساج، يذكر أنه الموضع الذي فار منه التنور، حين طوفان نوح عليه السلام، وفي ظهره خارج المسجد، بيت يزعمون أنه بيت نوح عليه السلام، وإزاءه بيت، يزعمون أنه متعبد إدريس عليه السلام، ويتصل بذلك فضاء، متصل بالجدار القبلي من المسجد، يقال: إنه موضع إنشاء سفينة نوح عليه السلام).[٢٨] كما يدرك من عبارات

التقليل والزعم، التي ساقها في مشاهداته، فإنه لم يكن مقتنعا بنسبة تلك الآثار الكريمة، و قد كاد أن يكون وصفه ترديدا لسلفه ابن جبير، لولا أنه انحرف عن خطه بتلك المعالجة الشخصية، بما يظهر معه توجه مفردات الوصف، إلى ما يتضمنه المسجد الشريف، بما يمكن المتلقي من معرفة ما يسرده، وتحجب ابن بطوطة أن يكون مرسلا لأوصاف جديدة، بعد الرحلة السابقة، بما يحول الرحلتين إلى منجزين متقاربين، يحتويهما الوصف نفسه، الذي لا يقدم وظيفة نقل الأفكار، بل لا يتجاوز أن يكون وسيلة وغاية، تغرس وجودها الذاتي. مع الفارق في الترجيح وما زاد عليه ابن بطوطة من وصف: (بهذا المسجد آثار كريمة، فمنها بيت إزاء المحراب عن يمين مستقبل القبلة، يقال: إن الخليل، صلوات الله عليه، كان له مصلى بذلك الموضع).[٢٩]إن طبيعة التناول الوصفي، الذي ساقه كل من ابن جبير وابن بطوطة، فيما يتعلق بآثار النبوة المذكورة، كانت تتناول المرحلة الزمنية التي امتدت قبلهما، فضلا عما بعدهما زمنيا، وهي مفردات لا تتعدى ما هو داخل في المسجد، التي يمكنهما من النظر فيها، وما يظهر معها استقلالها الزمكاني أيضا، من دون بيان مدى حضورها في وجدان المجتمع الكوفي خاصة، وهي ما هي من حيث وجودها في ذلك المجتمع؛ بوصفه عنصرا مهما في بنيته. ولاسيما ممن أدركوا تلك الآثار، التي لا يمكن ان ينظر إليها بنحو معزول؛ نتيجة تلاشي أغلب تلك الآثار في الأزمان اللاحقة، وهو ما ينشد حيز العلاقة بين داخل النص وخارجه، وقد ذكر السيد حسين البراقي، معلقا على كلام ابن بطوطة: (ويظهر من قوله في ظهره خارج المسجد بيت يزعمون أنه بيت نوح، أن بيت نوح ملاصق للزاوية الغربية، ويتصل بالباب الذي ذكرنا أنه مقام نوح، الذي بجنب المنبر، وهو الباب الذي يدخل منه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى المسجد. وأما متعبد إدريس فليس له اليوم عين ولا أثر، وأما الفضاء الذي ذكره المتصل بالجدار القبلي من المسجد الذي نجرت فيه السفينة، فهو الفضاء الموجود ما بين بيت أمير المؤمنين، وبيت نوح الذي هو ملاصق للحائط القبلي).[٣٠]

ولا شك في أن ما قدمه ابن بطوطة وعقب عليه السيد البراقي، يمثل أثر الزمان في عفاء المكان؛ نتيجة التعاقب على الآثار القديمة إلى حد كبير. بما يؤكد أن السطوة الزمانية، تفعل فعلتها في الغربة المكانية، وعلى وفق ذلك فقد بين السيد البراقي، بعد قرون

خمسة، مثلت المسافة الزمنية التي دثرت تلك المعالم النبوية، وقد بين السيد البراقي ذلك، بعدما شرح قسم من مفردات ابن بطوطة، ولاسيما فيما يخص المعالم العلوية الشريفة، التي لم تسعف ابن بطوطة في التنبه إليها، على ما للرجل من ملكة عالية في تحسس الأمكنة والسؤال عنها، وليس ذلك بغريب عنه، فهو لم يستطع فهم سر تلك المعالم النبوية، التي تجاورت في حاضرة الخلافة العلوية، وسبقتها بقرون طوال، ومن ثم فإنه لم يستطع أن يحقق هدف الرحالة من رحلته، عندما يمر ببعض الأماكن المهمة، التي تذهب إلى أن الرحالة في المدونات الرحلية، قد (اتخذ من الصورة المكانية وسيلة لخلق التوافق النفسي الطبيعي).[٣١] لتؤكد أن ثقلها الروحي، يختبيء في تلك الآثار المؤصلة، التي مهدّت نفسها لتكون موئلا، تأسست عليه حاضرة أمير المؤمنين علي عليه السلام.

▪ الآثار العلوية:

وكما بينا في المفردات السابقة، فقد كان للارتباط الكبير والمتعاقب، بين المعالم النبوية، على مختلف المشارب من زمن سيدنا نوح إلى سيدنا إبراهيم عليهما السلام، ارتباط بيّن في الوجود المقصود في الكوفة، وإن لم تسم بهذا الاسم، وقد أدركت تلك الأرض المباركة، نزول امير المؤمنين علي عليه السلام، واختياره لها كحاضرة للخلافة الإسلامية بعد المدينة المنورة. من هنا كان للوجود العلوي المبارك أهميته، بعد تحويل تلك المدنية الإسلامية المحدثة بصفتها العسكرية، إلى حاضرة متمدنة، لفت أنظار الباحثين في شؤون العمران الحضاري، فعدت أنموذجا للمدينة الإسلامية، التي ألفت معالم عصرية فاقت ما سواها، حتى في المسجد الذي تحول إلى دار للخلافة العلوية، ومؤسسة مهمة من مؤسسات الحكم، التي تدير شؤون الرعية عامة، وأنف من المقام في قصر الإمارة؛ زهدا وورعا وتيسيرا للقاء الناس، وقد كتب له حسن الخاتمة في محراب ذاك المسجد، فأمسى معلما للشهادة والإجلال، ومن هنا كان مسجد الكوفة، يتجاوز حيزه المكاني؛ ليشكل فضاءً وهو (أوسع من المكان، وهو مجموعة الأمكنة التي تقوم عليها سيرورة الحكي).[٣٢]

وقد أوردت رحلة ابن جبير، وصفَ ذلك المكان الشريف، بنحو موجز: (على مقربة منه، مما يلي الجانب الأيمن من القبلة، محراب محلق عليه بأعواد الساج، مرتفع عن

صحن البلاط، كأنه مسجد صغير، وهي محراب امير المؤمنين علي، رضي الله عنه، وفي ذلك الموضع، ضربه الشقي اللعين عبد الرحمن بن ملجم بالسيف، فالناس يصلون فيه، باكين داعين).[٣٣] كذلك كان لابن جبير، أن يمر على البيت الشريف، الذي غسل فيه أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقال: (مع آخر هذا الفضاء دار علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، والبيت الذي غسل فيه. ويتصل به بيت، يقال: إنه كان بيت ابنة نوح صلى الله عليه وسلم).[٣٤]

هنا نجد ابن جبير الأندلسي، معطيا توصيفا دقيقا لمحراب أمير المؤمنين علي عليه السلام. وواضح أن ثمة أعمدة من ساج، كانت عمادة ذلك المحراب، ويبدو أن صفة هذا المحراب، تنطبق على محراب مسجد الكوفة، لا المحراب المعروف حاليا، الذي ضُرب فيه أمير المؤمنين علي عليه السلام؛ لأن هذه الأوصاف لا تنطبق على المحراب المشهور، الذي لم يبلغ ارتفاعه كا أورده ابن جبير، فضلا عما ورد في تحديد موقعه، وهي إشارة مهمة لحقيقة المحراب المنسوب، بما يخالف الموروث المشهور عن هذا المحراب، الذي لم يتم تجاوزه؛ بسبب سلطته التي تؤكد بنحو مبين أن (الموروث أشمل من التراث؛ لأنه يشتمل على كل ما أنجزه الأسلاف، وكل ما فكروا به، منه ما بقي، وما زال يملك مفاعيل مؤثرة فينا _وهو التراث_ ومنه ما أدى دورا في مرحلة من المراحل تم تجاوزه بعد ذلك).[٣٥] وهنا نجد ابن جبير، يبين الطقوس العبادية التي يؤديها المسلمون هناك، وقد كان ناقلا أمينا لما رآه، من دون تدخل في معتقداتهم. والحال نفسها عندما يذكر المكان الذي غسل فيه امير المؤمنين علي عليه السلام، واتصاله ببيت ابنة نوح عليه السلام، موردا إياه في صيغة تضعيف (يقال)، من دون أن يعلق على حقيقة نسبته، نفيا أو إثباتا، بحسب المنهج الذي اختطه من بيان الوصف دون ترجيح.

أما ابن بطوطة المغربي، فقد كان مرددا لمفردات ابن جبير، مع الاقتصاد بها إلى حد معين، وقد ختم حديثه، بما يتعلق ببيت ابنة نوح عليه السلام، بإيكال العلم لله تعالى، قائلا:(على مقربة منه، محراب محلّق عليه أعواد الساج، مرتفع، وهو محراب علي بن أبي طالب، رضي الله عنه. وهنالك ضربه الشقي ابن ملجم، والناس يقصدون الصلاة به).[٣٦] وقال: (في آخر هذا الفضاء دار علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، والبيت

الذي غسل فيه، ويتصل به بيت، يقال أيضا: إنه بيت نوح عليه السلام، والله أعلم بصحة ذلك كله).[٣٧] وواقع الوصف الذي ساقه ابن بطوطة، يعتمد الواقع التاريخي وحسب، الذي يصف الأمكنة، والاحتراز من التدخل في حقائقها، على ما له من رؤية خاصة، لا تحقق أو تتابع حقيقة تلك الآثار الجلية، ولاسيما أن الرجل بعيد عن تلك البيئة ثقافيا، ما يجعله يرصف المفردات، كما ألفتها العين من دون تحريك لذائقته الأدبية، التي تمنح المكان ثقلة وتأثيره في الوجدان الإنساني؛ لأن مغزاه العميق (يقتضي أشكالا، ويتضمن معاني عديدة، بل إنه قد يكون، في بعض الأحيان، الهدف من وجود العمل كله).[٣٨] فكان التعريف بهذه الأمكنة الشريفة، التي احتواها ذلك المسجد، يشكل الخصيصة المهمة في النصوص، من حيث كشفها لموقع تلك الأمكنة.

▪ ضريح مسلم بن عقيل:

شكل ضريح الشهيد مسلم بن عقيل، رضوان الله عليه، أحد أهم معالم مسجد الكوفة المعظم، وقد بلغت شهرة ذلك الضريح الشريف حدًا، جعلته أحيانا يتفوق على شهرة المسجد المعظم، وبذلك أظهر تفوقا على ثقافة المكان الأصلية؛ لذلك حاز الضريح التفضيل الإيجابي، ومختزلا لوعي الزائر للكوفة عامة، بل لا نبالغ إن قلنا، إنه مثل (مكانا للوعي تختزل عبره الوعي بالأمكنة كلها، ابتداء من الأمكنة الصغرى، والأمكنة الكبرى المألوفة).[٣٩] ولا يعني ذلك أن الضريح الشريف، قد تقدم على المعالم الأخرى، بصورة تجع تلك الأماكن ثانوية الحضور. بل إن الوجدان الشعبي، قد وقف هذا الموقف؛ نتيجة ما ضم من جسد شريف لسفير الإمام الحسين عليه السلام، الذي سجل ذاته كأول شهيد في النهضة الحسينية الخالدة، بعد التضحيات الكبيرة والمواقف الشجاعة، التي أبداها في حاضرة الكوفة، وهو وحيد غريب مخذول مقتول. ولم يحضر دفن جثمانه الشريف أحد، فكان مشهده الشريف يعلن عن ظلامة كبيرة للهاشميين، دغدغت المشاعر الإنسانية، التي تتعاطف مع المظلوم، ومن هنا جاء دور أدب الرحلات؛ لكي يسجل (مشاعر الأمة وآرائها، ومن هذه الآراء، ما يتعلّق بصلات هذه الأمة بغيرها، وبالصور التي تكونها لنفسها).[٤٠]

ولم يفت ابن جبير الأندلسي، أن يمر بذلك الضريح؛ تبركا به، وإتماما لزيارة معالم المسجد الشريف، قال واصفا (في الجهة الشرقية من الجامع، بيت صغير، يصعد إليه، فيه قبر مسلم بن عقيل، رضي الله عنه، وفي جوفي الجامع على بعد منه يسير، سقاية كبيرة من ماء الفرات، فيها ثلاثة أحواض كبار).[٤١] ومن الواضح أن هذه اللقطة، التي يقدمها ابن جبير لضريح مسلم بن عقيل، رضوان الله عليه، والسقاية التي تتوسط المسجد الشريف، كانت تمثل مرحلة زمكانية، حافظت على وجودها إلى وقتنا الحاضر، على الرغم من وصف غرفة الضريح بالبيت الصغير، التي مثلت مرحلة الضمور والتبعية للمسجد الشريف. ولم يكن هناك فرق كبير بين هذا الضريح، وبقية المعالم التي تجعل أي منهم، يتفوق على الآخر، ولكن الملفت للنظر إنه لم يشر إلى بقية المشاهد الشريفة هناك، ولعل تقدّم شخصية الشهيد مسلم بن عقيل، رضوان الله عليه، قد غطت على الشخصيات الأخرى، كالمختار المجاور له، أو هانئ بن عروة المقابل له، والمستشهد معه في اليوم نفسه رضوان الله عليهم. في الوقت الذي وصف الأحواض الثلاثة الكبيرة، ومصدر مياهها، التي لم يتبق منها سوى اثنين، ولكن مع هذا فقد بينت مفرداته المكانية، أن (المكان قد يعبر بمجرد ذكره عما يعجز النص الأدبي الإبانة عنه، أو التعبير عن دلائليته).[٤٢] وكان من نتائج هذه الرؤية الثقافية، أن لحقت الرحلة مفاهيم جديدة، تتمثل في وصف المكان الآخر والبيئات الأخرى، التي تعنى بدراسة كل ما هو طارئ وطريف، لم تألفه الذات الراحلة، ومن بعدها الذات المتلقية، بما يشكل معه حركية اجتماعية وحضارية، تفي بحاجة الإنسان إلى الرحلة، من حب المعرفة والانطلاق في فضاءات مكانية جديدة، ومنها ذواتنا التي تتعرف على أوصاف عتيدة في وقتها، بما لم تدركه أبصارنا الآن. على حين نجد أن ابن بطوطة، قد ذكر مرقدين شريفين، لاثنتين من بنات الإمام الحسين عليه السلام، قال: (في الجهة الشرقية من الجامع، بيت مرتفع يصعد إليه، فيه قبر مسلم بن عقيل بن أبي طالب، رضي الله عنه، وبمقربة منه خارج المسجد، قبر عاتكة، وسكينة بنتي الحسين عليه السلام).[٤٣] ويمكن أن نلمس من هذا الوصف المكثف، أن ابن بطوطة المغربي، أدرك عمارة ضريح مسلم بن عقيل، رضوان الله عليه، ولكنه لم يذكر ما يخص الأحواض التي بينها سلفه ابن جبير، ولعل ذلك غفلة منه. في

الوقت الذي حدد مرقد السيدتين الجليلتين عاتكة وسكينة، الذي لم يعرف لهما أي أثر في وقتنا هذا، بل حتى لم يذكر أنهما هناك، والمعروف هناك مشهد خديجة ابنة أمير المؤمنين علي عليه السلام.

▪ الفرات والقصر:

كان نهر الفرات بالكوفة، يمثل مصدرا لحياة تلك المدينة، بما لم يمنحه الأعراب الذين خربوا حياة فيها، بما لبّى حاجات نفسية و اجتماعية للشعب الأجنبي، دون أن تلبي حاجات المجتمع وقتذاك، وقد جاءت أوصاف الرحالتين، بنحو واقعي يصف الأشياء كما هي، وهو الشأن الذي نقع عليه في أدب الرحلات، التي تعنى بـ(الوصف الدقيق، والتصوير الأمين والنقل الصادق، بدافع تحري الدقة تحريا علميا موضوعيا، وهي عندئذ تتجلى بالابتعاد عن الهوى والميل والغرض الذاتي).[٤٤]وبناء على تلك الحقيقة الأدبية، فإن الرحالة يكون أمام عمل كبير، يقتضي منه عدم تحكيم عواطفه الشخصية، التي قد تعارض هذه الرؤية أو تلك، أو تتلاعب بالحقائق التي تعنى بالأمكنة والطقوس، ما يمنح أدب الرحلات الموضوعية فيما يصفه، الذي يشكل أهمية ذلك الأدب، وعليه قال ابن جبير الأندلسي: (إن وقت المقام بالكوفة، ضاق عن ذلك، لأنا لم نبت فيها سوى ليلة يوم السبت. وفي غدائه رحلنا، ونزلنا قريب الظهر على نهر منسرب من الفرات، والفرات من الكوفة على مقدار نصف فرسخ، مما يلي الجانب الشرقي. والجانب الشرقي كله حدائق نخيل ملتفتة، يتصل سوادها، ويمتد امتداد البصر).[٤٥] وهنا ندرك أن الأوصاف التي ساقها ابن جبير، كانت تلبي حاجة ذلك الوقت، واستثمر تلك المدة الزمنية، ومن ثم فقد استوقفه نهر الفرات، الذي كان موطنا لراحته، بحسب الحال البديعة التي كان عليه. وقريب من مسجد الكوفة المعظم، كان للزائر لتلك البقة الشريفة، أن يرمق أطلال خربة لقصر الكوفة، التي أصابها فعل الإنسان، ما يحاول بحسب فكره، أن يدفع الضرر والفساد، وهو الشأن الذي قام به عبد الملك بن مروان، والحقيقة إنما وقع منه ذلك؛ للهروب من مصير تكرر في ذلك الحيز المكاني، وعلى وفق ذلك ندرك، أن ذلك الفعل البشري، كان يؤشر التخلي عن التعامل مع الموروث المادي، ولم يكن بوسعه أن يجرب ممارسته. وهكذا فقد كانت تلك الآثار، تمثل بحد

ذاتها درسا تاريخيا، يندر تكراره في بقعة أخرى، التي وصفت الآثار المعتبر بها (سواء ما كانت عليه، وما طرأ من تغيرات أو زوال أو تجديدات أو إصلاحات، وكانت هذه الأوصاف على جانب كبير من الأهمية في عالم الآثار والفنون).[٤٦] لقد كان ذلك القصر، يضع أمام المتلقي، نوع من التفكير الشخصي، الذي يسعى إلى التعامل بطريقة الحلول السريعة، التي تقوم على معيار الخشية من تكرار المصير، ومن ثم تدرك آثار تلك الثقافة في آثار شاخصة، وهو ما جعل المتلقي في حال من الانبهار، على الرغم من أن ذلك، قد أدى إلى ضياع الخصوصية الحضارية، التي حوصرت بالفعل الشخصي، الذي يخالف التجربة الإنسانية؛ نتيجة محدودية آثاره، وكان لمثل هذا الأنموذج أن يكون (مصدر لوصف الثقافات الإنسانية، ولرصد بعض جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع معين خلال فترة الزيارة).[٤٧] كذلك قدم ابن بطوطة عرضا لقصر الكوفة، كان يمثل صمتا للحياة، ونكوصا على ذلك التاريخ، وهو ما بينته مفردات ابن بطوطة الذي ذكره وحده فحسب، مشفوعا بذكر نهر الفرات. قال: (أما قصر الإمارة بالكوفة، الذي بناه سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، فلم يبق إلا أساسه. والفرات من الكوفة على مسافة نصف فرسخ، في الجانب الشرقي منها، وهو منتظم بحدائق النخل الملتفة، المتصل بعضها ببعض).[٤٨] ولم يكن وصف نهر الفرات هنا، إلا من باب الإحاطة بجغرافية تلك المدينة، التي يتحتم أن تكون مفردة من مفردات رحلاته، أسوةً بغيره مما يذكره الرحالة عند زيارتهم بلدا أجنبيا، ويبدو من وصف الفرات، أنه ينبض بالحياة، بخلاف قصر الكوفة المغتال تاريخيا، ويبدو أن طريقة تحلّق النخيل حول الفرات، بما يساير نبض المجتمع بالحياة؛ نتيجة ما يهبه الماء والنبات. قد جذبت انظار ابن بطوطة لأرض السواد. والذي يفهم من هذه الثنائية (الموت/ الحياة)، كان أهم ما ينبغي التأكيد عليه؛ لأنها تعبر عن مناخات المجتمع، وقد ذكر ذلك الشريف الإدريسي، قائلا: (بين بغداد والكوفة سواد متصل وأعمال غير متميزة، تخترق إليها أنهار الفرات).[٤٩] لقد عرف عن الإنسان المغربي، ومنهم ابن بطوطة المغربي، أن جغرافية المغرب الإسلامي، كانت تحاصر طموحه الشخصين وطبيعته التواقة للترحال، وأدرك بنحو واضح (أن عليه أن يسعى لرؤية العالم الآخر، عالم المشرق الذي كان مصدر سعادته).[٥٠] ومن هنا فقد عرض لنا

ابن بطوطة، موضع قبر أشقى الأشقياء ابن ملجم، كما للتابعي الجليل المختار بن أبي عبيد، رضوان الله عليه؛ ولعل ذلك متابعة منه لتاريخ تلك المدينة، قال: (رأيت بغربي جبانة الكوفة، موضعا مسودا شديد لسواد في بسيط أبيض، فأخبرت أنه قبر الشقي ابن ملجم، وأن أهل الكوفة يأتون في كل سنة بالحطب الكثير، فيوقدون النار على موضع قبره سبعة أيام، وعلى قرب منه قبة، أخبرت أنها على قبر المختار بن أبي عبيد).[٥١] واضح أنه يحرز ما لتلك المدينة من معالم، ومنها وصفه للطقوس التي تقام على قبر اللعين ابن ملجم، وهو ما لم يدركه سلفه ابن جبير الأندلسي، كذلك لم يدركه ابناء هذا العصر، وهو ما يؤكد اختلاف الموضعين، لاختلاف صاحبيهما، وهو عندما يذكر أفعال الكوفيين، إنما يرصف أفعال جماعة إنسانية، تعانق ثقافة دينية، دفعتها إلى إشهار مصير ذلك شقي المريد، بعمل يفهم منها طبيعة تفكيرها، وبذلك يقدم ابن بطوطة تلك الصورة، نقلا أمينا من دون تدخل، أو إبداء رأي في تلك الطقوس.

▪ نتائج البحث:

بعد الانتهاء من تدوين مفردات البحث هذا، الذي ركن إلى أدب الرحلات مرجعية، وتعلقت اهدابه برحلتي ابن جبير الأندلسي وابن بطوطة المغربي، اللتان جرت أحداثهما بين أواسط القرن السادس، حتى الثلث الأول من القرن الثامن الهجريين، اللذان تفردا من دون رحالة الغرب الإسلامي، بوصف مدينة الكوفة الشريفة، ودونا الكثير من المعلومات، التي تخص تلك المدينة، فإن للباحث أن يرصف أهم النتائج التي توصل إلها في يسير دراسته هذه، التي وازنت بين الرحلتين، وبين ما تحمله ذات الغرب الأسلامي تجاه الكوفة، ومن أهم تلك النتائج:

ـ ظهرت صورة الكوفة في وضع مزري إلى حد ما؛ نتيجة ما احتملته من إهمال وتعاقب الأحداث، ولاسيما الأثر السلبي للقبيلة العربية (خفاجة) حينذاك، بما يمثل مرحلة ضنك فكري واجتماعي واقتصادي، حاصر ذلك المجتمع، ولم تترك كل العوامل مجتمعة، فرصة للكوفة للنهوض حينها.

ـ أما عن مسجد الكوفة المسجد الأعظم في الإسلام، الذي بني بعد المسجد النبوي الشريف، بزمن قليل، فقد حافظ على آثاره وعمرانه، وقد أظهرت الأوصاف التي

ساقها الرحالتان، تلك المنزلة الروحية، التي حفظت للمسجد الشريف كينونته، ولم يتخالف الرحالتان في وصفهما كثيرا.

ـ كانت لآثار الأنبياء نوح وإدريس وإبراهيم عليهم السلام، أن تشكل إحدى أهم معالم مسجد الكوفة الأعظم، مع ملاحظة السبق الزمني لتلك الآثار، ولكنها شكلت مهدا روحيا، تأصلت عليه الكينونة الكوفية هناك، على الرغم مما ورد من تهوين غير مدروس في نسبتها للنبوة.

ـ كذلك أدركت مفردات الرحلتين، معالم علوية جليلة بالمسجد، وهي محراب أمير المؤمني علي عليه السلام، وبيته الشريف، وقد بان من الأوصاف المساقة هناك، أن لها منزلة كبيرة في الوجدان المسلم عامة، بحسب صيغة الدعاء على قاتله، كذلك تحديده لمكان المحراب الحقيقي.

ـ وفيما يتعلق بضريح الشهيد مسلم بن عقيل رضوان الله عليه، وبنات الائمة، والمختار بن أبي عبيد، فقد أولى الرحالتان ذكرهما، ولكن بنحو يتضائل بحسب منزلة أصحابها، وإن جاءت مقتضبة بنحو عام، واللافت ذكره هو تحديد قبر ابن ملجم اللعين، وطقس الإحراق عليه.

ـ كان نهر الفرات، يشكل معلما نابضا بالحياة في الكوفة، على خلاف قصرها الذي كان عنوان اليباب، وقد ورد مفردات واصفة في ذلك، بما أظهر عينة من بلاد العراق وقتذاك، وبما يظهر الهوية الحضارية للكوفة، التي تعاشقت فيها هاتان الثنائيتان الرئيستان (الخراب والعمار)، التي شكلتها دهور وأحداث كبرى.

الملخص:

ينظر البحث في صورة مدينة الكوفة، بحسب منظور أدب الرحلات، الذي يعد من الحقول الأدبية، الذي نهض في العصور الإسلامية المتأخرة، ولاسيما ببلاد المغرب والأندلس، ومثل معينا لا ينضب للباحثين في العلوم الإنسانية عامة؛ لما احتوته نصوصه من طريف ومثير علاوة على ما ترتسم به رؤى الرحالة المغاربة والأندلسيين، من معطيات جديدة، تشمل ميادين جغرافية وثقافية.

وقد نهضت رحلتا ابن جبير الأندلسي (٥٧٨__ ٥٨١ هـ)، وخلفه ابن بطوطة المغربي (٧٢٥_ ٧٤٩هـ)، بنصيب مهم في وصف لمدينة الكوفة، بخلاف الرحلات الأخرى التي لم تذكر هذه المدينة، ومن هنا مثلت مادة أساسية للباحثين، تقدم بدروها نصوصا رحلية، أثارت منذ القدم وإلى عصرنا اهتماما الكثيرين؛ لما تضمنتاه من أسلوب متميز في أدب الرحلات عامة، وما تمنحه من وصف وافٍ، مثل وثيقة مدونةً تصف تلك المدينة العريقة، ومجتمعها، ولاسيما مسجدها العتيق.

وهكذا... فقد خاضت مفردات هذا البحث في تلك الفجاج الادبية، فشرعت بتقديم مفهوم أدب الرحلات، الذي عانى النسيان من قبل الباحثين المعاصرين، إلى الحد الذي حسب على الأدب الجغرافي سهوا وغفلة، بعدها عرضت إلى الموازنة بين وصف الرحالتين الكبيرين، بما اشتملت عليه مفرداتهما من وصف المدينة، ومسجدها، وساكنتها، وقصصا، وما يمكن متابعته من تصوير معبر عن مشاهدات كل منهما، وأدواتهم الأدبية التي عالجت ما شاهداه، وتقديمهم للأحداث التي عاشوه تجربة حقيقية معيشة ؛بما تفترضه من تحري صدق المعلومات، وأهمية الوصف الذي يرتقي بمدوناتهم إلى مصاف الأجناس الأخرى من قصة وسيرة شعبية، التي احتوت نسبة عالية من الواقعية، بما يعني أن أدب الرحلة في جوهره، هو صورة من الواقع المحسوس، الذي يزدان برؤى المنشئ وتصوراته، بحسب تجربته المحسوسة في المكان الذي ارتحل إليه. ومنه مدينة الكوفة محل دراستنا، التي توزعت مباحثها، بحسب المشاهد الموصوفة، التي تمت موازنتها أدبيا، عبر معالجة تهدف إلى بيان طبيعة الأسلوب، والنمو العضوي للمكان الموصوف، وما يعني ذلك من تعبير شخصي، يتوخى وقائع شهدها الرحالتان، أو سمعا بها، وأماكن زارها في مسافة زمنية، تقارب القرن والنصف، هي الفاصل بين زيارتهما المهمة.

الهوامش:

[١] بناء الرواية: سيزا قاسم أحمد، الهياة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤: ٧٦.

[٢] الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري: نصر عبد الرزاق الموافي، مطابع الوفاء، المنصورة، ١٩٩٥: ٤٠.

[٣] في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم: عثمان موافي: دار المعرفة الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٢: ١٣٣/١.

[٤] تحليل الخطاب الروائي: سعيد يقطين: المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٧: ١٣.

[٥] التراث والتجديد في شعر السياب دراسة تحليلية جمالية: عثمان حشلاف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٦: ١٦.

[٦] الرحلة العياشية: عبد الله بن محمد العياشي، حققها وقدم لها: د. سعيد الفاضلي، ود. سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط١، أبو ظبي، ٢٠٠٦: ١١.

[٧] الخطاب النثري في كتاب المثل السائر لابن الأثير: باية بن مساهل، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، ٢٠٠٩: ٩٥.

[٨] الرحلة العياشية: ١١.

[٩] هو بنيامين بن يونة التطيلي النباري، أشهر الرحالة اليهود، غادر سرقسطة في سنة ٥٦١ هـ. أسوة بقومه الذين هجروا الأندلس في القرنين (٦و٧ هـ)؛ نتيجة الضغوط الأسبانية. وطاف الكثير من البلدان التي احتوت الشتات اليهودي، وسجل أماكن الوجود اليهودي فيها، ومفردات حياتهم المحلية، عاد إلى الأندلس في سنة ٥٦٩هـ، وتوفي بها في سنة ٥٨٦ هـ. ينظر: يهود الأندلس والمغرب، حاييم الزعفراني، ترجمة: أحمد شحلان، مطبعة النجاح الجديدة، ط١، الدار البيضاء، ٢٠٠٠: ٦٧، ويهود الأندلس في ظل الحكم الإسلامي (٩٢ _٨٩٧ هـ): د. هشام فوزي عبد العزيز، مجلة دراسات أندلسية، العدد ١٥، المطبعة المغاربية للطبع والنشر والإشهار، تونس، ١٩٩٦: ١٠١.

[١٠] رحلة بنيامين التطيلي: ٣١٣_٣١٤. ذكر محقق الرحلة في هامش الصفحة، قائلا: (يروى أن بعض أثرياء اليهود من بغداد، ومنهم آل نطيرة، كانوا يبعثون مقدارا من المال، يوزع على العلويين وبني هاشم).

[١١] هو محمد بن أحمد بن جبير: من أهل غرناطة، كان من عمال السلطان، واكتسب مالا كثيرا . ثم نزع عن ذلك كله، وتصدق بجميع ماله، وزهد في الدنيا، كان من أهل العلم والفضل، والدين والأدب البارع والشعر الفائق، سكن مالقة وأقام بها مدة، ورحل إلى المشرق إلى مات رحمه الله. ينظر: أعلام

مالقة: أبو بكر بن خميس، تقديم وتخريج وتعليق، د. عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٩٩ . ١٣٨.

[١٢] المصدر نفسه: ١٣٨.

[١٣] الرحلة العياشية: ١٢.

[١٤]هو محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي المغربي: ولد بطنجة في سنة ٧٠٣هـ، وكان عالما فقيها ناسكا بارا، ولما بلغ ٢٢ سنة، خرج عن مدينته بقصد الحج، فأخذ يتقلب في الأمصار ، توفي في سنة ٧٧٩ هـ. ينظر: الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام: العباس بن إبراهيم السملالي، المطبعة الملكية، ط٢، الرباط، ١٩٩٣: ٢/٥.

[١٥] تاريخ الأدب الجغرافي: اغناطيوس يوليانوفيتش: ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، دار الغرب الإسلامي، ط٢، بيروت، ١٩٨٧: ٤٥٢.

[١٦] رحلة ابن بطوطة: أكاديمية المملكة المغربية، ط١، الرباط، ١٩٩٧: ١/ ١٤.

[١٧] الخطاب النثري في كتاب المثل السائر لابن الأثير: ١٠١.

[١٨] رحلة ابن جبير: محمد بن احمد الكناني الأندلسي: دار صادر بيروت، د ت: ١٨٧.

[١٩] رحلة ابن بطوطة: ٢/ ٥٥.

[٢٠] الرحلة العياشية: ١١.

[٢١] رحلة ابن جبير: ١٨٨.

[٢٢] في النقد الأدبي: شوقي ضيف، دار المعارف، ط٧، القاهرة، ١٩٨٨: ١٩١.

[٢٣] رحلة ابن بطوطة: ٢/ ٥٥.

[٢٤] مدينة قسنطينة في أدب الرحلات: عبد الحافظ بورايو، رسالة ماجستير في كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، ٢٠٠٧: ١٥.

[٢٥] رحلة ابن جبير: ١٨٨.

[٢٦] رحلة ابن جبير: ١٨٨.

[٢٧] الاغتراب سيرة ومصطلح : محمود غريب، دار المعارف، ط٤، القاهرة، ١٩٩٣: ٤٤.

[٢٨] رحلة ابن بطوطة: ٢/ ٥٦.

[٢٩] المصدر نفسه: ٢/ ٥٥. وقد بين السيد حسين البراقي، قائلا: (إن ابن بطوطة شاهد آثارا كثيرة، وفي زماننا هذا ليس لها عين ولا أثر، ويظهر من كلامه في محراب أمير المؤمنين أنه المحراب الموجود الآن، الذي بجنب المنبر المبني بالجص والحجارة). تاريخ الكوفة:حرره: السيد محمد صادق بحر العلوم، دار الأضواء، ط٤، بيروت، ١٩٨٧: ٣٨.

[٣٠] تاريخ الكوفة: السيد حسين البراقي، حرره: السيد محمد صادق بحر العلوم، دار الأضواء، ط٤، بيروت، ١٩٨٧ ٣٨.

[٣١] التفسير النفسي للأدب: د. عز الدين إسماعيل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣: ٦٤.

[٣٢] قراءات متعددة للشخصية دراسة تطبيقية على شخصيات نجيب محفوظ: روزو ماري شاهين، دار الهلال، ط١، القاهرة، ١٩٩٥: ٤١.

[٣٣] رحلة ابن جبير: ١٨٨.

[٣٤] المصدر نفسه: ١٨٨.

[٣٥] نحن والآخر : محمد راتب الحلاق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٧: ٥٦.

[٣٦] رحلة ابن بطوطة: ٢/ ٥٥.

[٣٧] المصدر نفسه: ٢/ ٥٦.

[٣٨] بنية الشكل الروائي: حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، ط٢، بيروت، ٢٠٠٩: ٣٣.

[٣٩] الرواية والعنف دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة: الشريف حبيلة،، عالم الكتب، ط١، عمان، ٢٠١٠: ٢٢.

[٤٠] الأدب المقارن: محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١: ٣٣١.

[٤١] رحلة ابن جبير: ١٨٨.

[٤٢] سيميولوجية النص السردي مقاربة سيميائية لرواية الفراشات وغيلان: ذويبي الزوبير، رابطة أهل القلم، ط١، سطيف، ٢٠٠٦: ٢٢.

[٤٣] رحلة ابن بطوطة: ٢/ ٥٦.

[٤٤] مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا: سيد حامد النساج: كتب الرحلة قديما وحديثا: سيد حامد النساج، مكتب غريب الفجالة، القاهرة، د ت: ٦.

[٤٥] رحلة ابن جبير: ١٨٩.

[٤٦] أدب الرحلة الأندلسية والمغربة حتى نهاية القرن التاسع الهجري : نوال عبد الرحمن الشوابكة، دار المأمون للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠٠٨: ١٥٩.

[٤٧] أدب الرحلات: د. حسين محمد فهيم: ١٥.

[٤٨] رحلة ابن بطوطة: ٢/ ٥٦.

[٤٩] نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة ٢٠٠٢: ٢/ ٦٦٨.

[٥٠] رحلة الرحلات مكة المكرمة في مائة رحلة مغربية: د. عبد الهادي التازي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط١، مكة المكرمة، ٢٠٠٦: ٢٠.

[٥١] رحلة ابن بطوطة: ٢/ ٥٦.

▪ مصادر البحث ومراجعه:

ـ أدب الرحلات: د. حسين محمد فهيم: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط١، الكويت، ١٩٨٩.

ـ أدب الرحلة الأندلسية والمغربة حتى نهاية القرن التاسع الهجري: نوال عبد الرحمن الشوابكة، دار المأمون للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠٠٨.

ـ الأدب المقارن: محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة. ٢٠٠٠.

ـ الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام: العباس بن إبراهيم السملالي، المطبعة الملكية، ط٢، الرباط، ١٩٩٣.

ـ أعلام مالقة: أبو عبد الله بن عسكر وأبو بكر بن خميس، تقديم وتخريج وتعليق، د. عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٩٩ .

ـ الاغتراب سيرة ومصطلح : محمود غريب، دار المعارف، ط٤، القاهرة، ١٩٩٣.

ـ بناء الرواية: سيزا قاسم أحمد، الهياة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤.

ـ بنية الشكل الروائي: حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، ط٢، بيروت، ٢٠٠٩.

ـ تاريخ الأدب الجغرافي: أغناطيوس يوليانوفيتش: ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، دار الغرب الإسلامي، ط٢، بيروت، ١٩٨٧.

ـ تاريخ الكوفة: السيد حسين البراقي، حرره: السيد محمد صادق بحر العلوم، دار الأضواء، ط٤، بيروت، ١٩٨٧.

ـ تحليل الخطاب الروائي: سعيد يقطين: المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٧.

ـ التراث والتجديد في شعر السياب دراسة تحليلية جمالية: عثمان حشلاف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٦.

ـ التفسير النفسي للأدب: د. عز الدين إسماعيل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣.

ـ رحلة ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي، أكاديمية المملكة المغربية، ط١، الرباط، ١٩٩٧.

ـ رحلة ابن جبير: محمد بن احمد الكناني الأندلسي: دار صادر بيروت، د ت.
ـ رحلة بنيامين التطيلي: تقديم د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، المجمع الثقافي، ط١، أبو ظبي، ٢٠٠٢.
ـ رحلة الرحلات مكة المكرمة في مائة رحلة مغربية: د. عبد الهادي التازي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط١، مكة المكرمة، ٢٠٠٦.
ـ الرحلة العياشية: عبد الله بن محمد العياشي، حققها وقدم لها: د. سعيد الفاضلي، ود. سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط١، أبو ظبي، ٢٠٠٦.
ـ الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري: نصر عبد الرزاق الموافي، مطابع الوفاء، المنصورة، ١٩٩٥.
ـ الرواية والعنف دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة: الشريف حبيلة، عالم الكتب، ط١، عمان، ٢٠١٠.
ـ سيميولوجية النص السردي مقاربة سيميائية لرواية الفراشات وغيلان: ذويبي الزوبير، رابطة أهل القلم، ط١، سطيف، ٢٠٠٦.
ـ في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم: عثمان موافي: دار المعرفة الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٢.
ـ في النقد الأدبي: شوقي ضيف، دار المعارف، ط٧، القاهرة، ١٩٨٨.
ـ قراءات متعددة للشخصية دراسة تطبيقية على شخصيات نجيب محفوظ: روزو ماري شاهين، دار الهلال، ط١، القاهرة، ١٩٩٥.
ـ مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا: سيد حامد النساج، مكتب غريب الفجالة، القاهرة، د ت.
ـ نحن والآخر: محمد راتب الحلاق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٧.
ـ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة ٢٠٠٢.
ـ يهود الأندلس والمغرب، حاييم الزعفراني، ترجمة: أحمد شحلان، مطبعة النجاح الجديدة، ط١، الدار البيضاء، ٢٠٠٠.

❖الرسائل والبحوث الاكاديمية:

ـ الخطاب النثري في كتاب المثل السائر لابن الأثير: باية بن مساهل، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، ٢٠٠٩.
ـ مدينة قسنطينة في أدب الرحلات: عبد الحافظ بورايو، رسالة ماجستير في كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، ٢٠٠٧.
ـ يهود الأندلس في ظل الحكم الإسلامي (٩٢ _ ٨٩٧ هـ): د. هشام فوزي عبد العزيز، مجلة دراسات أندلسية، العدد ١٥، المطبعة المغاربية للطبع والنشر والإشهار، تونس، ١٩٩٦.

الجذور الاجتماعية لمجتمع الكوفة ابان واقعة الطف

د.حنان عباس خير الله
جامعة ذي قار/ كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم التاريخ

المقدمة

تُعد مدينة الكوفة من أهم المدن العربية والإسلاميّة ، لما لها من مكانة دينية وموقع جغرافي مهم ، بالإضافة إلى الوقائع المهمة التي توالت على أرضها. وقد لعبت هذه المدينة دوراً مهماً في صياغة كثير من الأحداث ، ناهيك عن أثرها في تبلْورِ كثير من المسارات العلمية والثقافية.

كانت الكوفة أممية قد امتزجت فيها عناصر مختلفة في لغاتها وعاداتها وتقاليدها فكان فيها العربيّ والفارسيّ والنبطيّ والسريانيّ إلى جانب العبيد وغيرهم.

وأمّا القبائل العربيّة التي سكنت الكوفة فكانت عبارة عن القبائل اليمنيّة وهي تشمل: قضاعة ، غسان ، بجيلة ، خثعم ، كندة ، حضرموت ، الأزد ، مذحج ، حمير، همدان ونخع. والقبائل العدنانيّة وتشمل: تميم وبني العصر. وكذلك كان فيها قبائل بني بكر وهي عبارة عن: بني أسد ، غطفان ، ومحارب ونمير.

وقد ساهمت العصبيّات القبليّة في عدم وجود حالة وفاق اجتماعيّ ، حتّى إذا حصل وفاق في مكان ما كان سريعاً ما يتمّ القضاء عليه ، حيث كان الأساس هو التآمر. إنّ التركيب غير المتوازن والغالب على هذه المدينة ، قد منح بعض المجموعات القدرة على تغيير السياسة الحاكمة في كلّ آن ، وأن يجذب المجتمع نحو جهة معيّنة أخرى.

ومن خلال هذا البحث سنتحدّث بمزيد مِن التحقيق عن طبيعة المجتمع الكوفي ، فإنّه المرآة الذي تنعكس عليه الأحداث الهائلة التي لعبت دورها الخطير في تاريخ الإسلام السياسي ، وأنْ نبين العناصر التي سكنت الكوفة وننظر إلى طبيعة الصلات الاجتماعية فيما بينهما ، والحياة الاقتصادية التي كانت تعيش فيها اثناء وقوع معركة الطف واثر التكوين الاجتماعي في ردود المجتمع الكوفي ازاء تلك الاحداث .

❖تركيب المجتمع الكوفيّ

بنيت الكوفة عام ١٧ ق بأمر من عمر باعتبارها مدينة عسكريّة ، فاجتمع فيها عدد من القبائل التي وفدت من أماكن متعدّدة وثقافات مختلفة. وعلى هذا الأساس فهذه المدينة

الحديثة الوجود كانت تفتقد للهويّة التاريخيّة ، وهي مليئة بالأخطار بسبب عدم التناسب والانسجام بين ساكنيها[١]. وقد كتب أحد المحقّقين حول الذين سكنوا الكوفة وطوائفها والأديان المنتشرة فيها ما يأتي:

كانت الكوفة أمميّة قد امتزجت فيها عناصر مختلفة في لغاتها وعاداتها وتقاليدها فكان فيها العربيّ والفارسيّ والنبطيّ والسريانيّ إلى جانب العبيد وغيرهم.

وأمّا القبائل العربيّة التي سكنت الكوفة فكانت عبارة عن القبائل اليمنيّة وهي تشمل: قضاعة ، غسان ، بجيلة ، خثعم ، كندة ، حضرموت ، الأزد ، مذحج ، حمير ، همدان ونخع. والقبائل العدنانيّة وتشمل: تميم وبني العصر. وكذلك كان فيها قبائل بني بكر وهي عبارة عن: بني أسد ، غطفان ، ومحارب ونمير[٢].

وهناك قبائل عربيّة أخرى استوطنت الكوفة وهي: كنانة وجديلة وضبيعة ، وعبد قيس وتغلب وأياد وطي ، وثقيف وعامر ومزينة[٣].

سادت في قبائل مجتمع الكوفة الروح القبليّة ، فكانت كلّ قبيلة تنزل في حيٍّ معيّن لها لا يشاركها فيها إلّا حلفاؤها ، كما كان لكلّ قبيلة مسجدها الخاصّ ، ومقبرتها الخاصّة ، وعاش في الكوفة أتباع عدد من الأديان ، فكان إلى جانب المسلمين بفرقهم المختلفة ، المسيحيّون واليهود[٤].

لقد دفعت الحساسيّات والعصبيّات القبليّة أهل الكوفة إلى الإسراع في اتخاذ القرارات عند مشاهدة أقلّ نفع أو ضرر كي لا تتقدّم عليها القبائل الأخرى. وبعبارة أخرى: جعلتهم تلك العصبيّات أشخاصاً متسرّعين ، لا يمكنهم اتخاذ قرارات انطلاقاً من التعمّق والدراسة ، وبالتالي وقعوا في المهلكات .

وقد ساهمت العصبيّات القبليّة في عدم وجود حالة وفاق اجتماعيّ ، حتّى إذا حصل وفاق في مكان ما كان سريعاً ما يتمّ القضاء عليه ، حيث كان الأساس هو التآمر. إنّ التركيب غير المتوازن والغالب على هذه المدينة ، قد منح بعض المجموعات القدرة على تغيير السياسة الحاكمة في كلّ آن ، وأن يجذب المجتمع نحو جهة معيّنة أخرى.

ومن الخصائص الأخرى للأفراد العسكريّين والحاملين للسلاح ، عدمُ الانضباط والطاعة للحاكم ، وهذا غير مختصّ بأهل الكوفة.

يقول ابن أبي الحديد:"قيل: إنّ أهل الكوفة كانوا قد فسدوا في آخر خلافة أمير المؤمنين، وكانوا قبائل في الكوفة ، فكان الرجل يخرج من منازل قبيلة فيمر بمنازل أخرى فينادي باسم قبيلته: يا للنخع مثلاً أو يا لكندة نداءً عالياً يقصد به الفتنة وإثارة الشرّ ، فيتألّب عليه فتيان القبيلة التي مرّ بها فينادون: يا لتميم ويا لربيعة ويقبلون إلى ذلك الصائح فيضربونه ، فيمضي إلى قبيلته فيستصرخها ، فتسلّ السيوف وتثور الفتن" [٥] .

❖حالة المجتمع الكوفي قبل ورود الامام الحسين (ع)

تميز المجتمع الاسلامي في العصر الاموي بخصلتين وهما الصراع الاجتماعي القبلي الذي كانت تغذية الايادي الاموية والتي من مصلحتها توهين المجتمع للانفراد بالسلطة والخصلة الثانية هو الامتداد الجغرافي للدولة الاسلامية ودخول قوميات وامم في الاسلام بسطوة السيف من غير ان تنتقل لهم روح الاسلام والذين كانوا يشعرون بالانتقاص من العرب المسلمين واشتداد الصراع الاجتماعي بين طبقات وفئات المجتمع فكان عبارة عن خليط غير متجانس من غير الممكن ان يؤول الى الاستقرار لعدم توفر اواصر المساواة الاجتماعي ، فكان مجتمعا هشا غير متماسك اثرت فيه الحروب والطبقية فزعزعت هويته الاسلامية في مثل هذه الاجواء تحرك الامويون للسيطرة على المجتمع وتوهين اساسه الاسلامي والعودة الى الجاهلية التي سيطرت على الحكام الامويون[٦].

لذلك نشاهد عدم الاستقرار الذي كانت تعيشه المدن الاسلامية في الكوفة والبصرة والشام وغيرها مما أدى الى شروخ كبيرة في العالم الاسلامي وكان اكبرها واعظمها حادثة كربلاء التي اعطت انطباعا واضحا عن طبيعة المجتمع انذاك عندما يقول احدهم (املأ ركابي فضة او ذهبا.... إني قتلت السيد المحجبا) فهو اعتراف صريح بأن الغاية قتل الامام الحسين كانت شخصية[٧].

عند دخول مسلم بن عقيل الكوفة ومبايعة الناس له ومحاصرته لقصر الكوفة بصحبة ثلاثون الف من الانصار لكن الخبث الاموي الذي كان يعلم بغايات اكثر الناس ومصالحهم الشخصية فكانوا ما بين طامع ومنتقم وناقم ومبغض ولم يحملواهم القضية الحسينية في الاصلاح والعدالة والمساواة والقيم الاسلامية الاخرى التي من اجلها خرج الحسين (عليه السلام) ولذا تم خداعهم بسهولة بتوزيع المال او التخويف بالجيش

الشامي او التهديد والوعيد للمخالفين والامان للموافقين وبما ان مصالحهم قد تحققت فآلوا على عدم اراقة دمائهم فلم ينتهي مسلم بن عقيل من صلاته الا بثلاثة نفر ثم بعد ذلك ترك وحيدا فريدا وكذلك مارس المجتمع نفس الحالة مع الامام الحسين (عليه السلام) الذي دعي ليكون اميرا فاذا بهم ينقلبوا على نواتهم التي كانت تعيش حالة الفردية والمصلحة الشخصية بعد ان منتهم الدولة الاموية بالمال والمناصب فاصبحوا من مناصرين وفدائيين للامام الحسين (عليه السلام) الى وحوش كواسر تريد ان تحصل على غنيمتها من ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فخرجوا عليهم بجيوشهم الجرارة لقتاله والقضاء على الاسلام بقتله لانهم يعيشون حالة البداوة والتعصب والجاهلية فلم يكن بالحقيقة مجتمع مسلم متكامل بل خليط من اناس مسلمون اكتسبوا من الاسلام الرقي الاجتماعي في التعامل مع ابن بنت نبيهم على انه المفهوم الحقيقي لتوحيد الله واناس لم يكتسبوا الاسلام الا اسمه ولم يفقهوا من الدين شيء واخرون اعتبروا الدين وسيلة لتحقيق المكاسب الشخصية وكل هذا خلفية لغربلة المجتمع الكوفي من قبل الامويين وفرز الزمر على قائمتين الاولى لمناصرين الامويين والثانية لمخالفيهم ومن ثم محاربة المخالفين لهم حتى تهجيرهم..، فهو مجتمع مفكك متناقض لم يستطيع الصمود امام المكر الاموي فغلبة نزعتهم الفردية على طبيعتهم الاجتماعية وكانت النتيجة ان قتلوا سيد شباب اهل الجنة الحسين الشهيد (عليه السلام) والتمثيل به بما تأباه الانسانية فضلا عن الدين وليكون الحسين (عليه السلام) قضية رأي عام نادت به كل المجتمعات للوصول الى الحرية والعدالة والاستقرار[٨].

وعلى الجملة ، فإنّ المجتمع الكوفي في ذلك الوقت كان يتكوّن في الأعمّ الأغلب من الفئات التالية:

١ ـ الشيعة

فلا ريب في وجود جماعة من شخصيات الشيعة الموالين لأهل البيت عليهم السلام في الكوفة... من أمثال:

سليمان بن صرد ، المختار بن أبي عبيد ، حبيب بن مظاهر ، مسلم بن عوسجة ، هاني بن عروة ، والأصبغ بن نباتة...[٩] .

٢ ـ الحزب الأُموي

هؤلاء أيضاً كانوا جماعةً من أشراف الكوفة، كالّذين كتبوا إلى يزيد يشكونه في أمر «النعمان بن بشير»، وقد عبَّر عنهم يزيد في كتابه إلى ابن زياد بـ «شيعتي»، وكالّذين تعاونوا مع ابن زياد في القضاء على مسلم بن عقيل وأصحابه ، فمن رجال الحزب الأُموي في الكوفة:

حصين بن نمير، محمّد بن الأشعث بن قيس ، عزرة بن قيس ، كثير بن شهاب ، القعقاع بن شور الذهلي ، خالد بن عرفة ، أبو بردة بن أبي موسى الأشعري ، عبيد الله بن عبّاس السلمي ، سمرة بن جندب ، يزيد بن الحارث ، أسماء بن خارجة ، حجّار بن أبجر ، شمر بن ذي الجوشن ، بكر بن حمران الأحمري[١٠].

لقد كان هؤلاء وغيرهم حول ابن زياد ، وهم الّذين جعلوا يخذّلون الناس عن مسلم عليه السلام ، وعلى أيديهم تمّ القضاء عليه وعلى أصحابه ، وكان لهم دور في حشد الناس لحرب الإمام عليه السلام ، ثمّ خرجوا يقودون الجيوش لحربه.

وقد كان جماعة من هؤلاء عيوناً ليزيد ، كمسلم بن سعيد الحضرمي ، وعمارة بن عقبة ، وعبيد الله الحضرمي ، ومسلم بن عمرو الباهلي[١١].

وقد جاء أنّ الرجل الأخير ـ مسلم بن عمرو الباهلي ـ قد خاطب مسلم بن عقيل قائلا له: «أنا من عرف الحقّ إذ أنكرته ، ونصح لإمامه إذ غششته ، وسمع وأطاع إذ عصيته وخالفته»[١٢] .

وفي «تاريخ دمشق» ومختصره: «كان عظيم القدر عند يزيد...»[١٣] .

٣ ـ الخوارج

هؤلاء كانوا كثرةً أيضاً ، وفيهم جماعة من الأشراف ، ولذا لّما خطب ابن زياد في أوّل خطبة له في الكوفة ، أمر بأن تُكتب له أسماؤهم ، ولعلّ من أشهرهم: «الأشعث بن قيس» و «شبث بن ربعي» و «عمرو بن حريث»[١٤].

الأشعث بن قيس: وقد روي في أخبار كثيرة ، أنّ هذا الملعون بايع ضبّاً ـ مع جماعة منهم: عمرو بن حريث وشبث بن ربعي ـ خارج الكوفة ، وسمّوه أمير المؤمنين[١٥].

شَبَث بن ربعي : بايع ـ مع جماعة ـ الضبَّ بدلا عن أمير المؤمنين عليه السلام وقالوا: إنّهما سواء(١٦).

قال شبث: أنا أوّل مَن حرّر الحرورية(١٧).

عمرو بن حريث : كان من الصحابة ، وهو أوّل قرشي اتّخذ الكوفة داراً ، وكان من أغنى أهل الكوفة ، وولي لبني أُميّة بالكوفة ، وكانوا يميلون إليه ويتقوّون به ، وكان هواه معهم ؛ فالرجل قرشي مخزومي. كانت له يد في قتل ميثم التمّار(١٨) .

❖اهل الكوفة في عصر الإمام الحسين عليه السلام

بعد أن رفض الإمام الحسين عليه السلام إعطاء البيعة ليزيد ، اغتنم أهل الكوفة الفرصة وبعثوا إلى الإمام رسائل كثيرة يطلبون منه تشكيل الحكومة في الكوفة. أرسل الإمام عليه السلام مسلم بن عقيل إلى الكوفة لدراسة أوضاعها. بعد أن تمكّن مسلم من الحصول على البيعة استطاع بمساندة أهل الكوفة محاصرة الحاكم في قصره ، إلّا أنّهم تخلّوا عن مسلم دفعة واحدة ، وانتهى به الأمر إلى الاستشهاد على يدي الحاكم. بالإضافة إلى ذلك انحاز أهل الكوفة إلى صفوف العدوّ في محاربة الإمام عليه السلام(١٩). بسبب أهميّة المسألة ، فقد ارتسمت صورة في الأذهان عن المجتمع الكوفيّ ، صورة غير متعارف عليها. لذلك كان ينبغي دراسة هذا البلد وتقييمه في ضوء علم الاجتماع لتتضح أسباب وعلل عدم الوفاء عند أهل الكوفة.

حصلت حادثة عاشوراء بعد عشرين سنة من شهادة الإمام عليّ عليه السلام أن أهل الكوفة ، في هذه المدّة ، تعرّضوا لأقصى أنواع الضغوطات ، فقتل الكثير منهم وهاجر آخرون. فلو لم تقع هذه الحوادث ، لكان جيل عصر الإمام الحسين عليه السلام جيلاً جديداً. لذلك فأهل الكوفة في عصر الإمام عليه السلام ليسوا هم أهل الكوفة في العصور السابقة ، ولذا ومن أجل التعرّف على هؤلاء في العام ستّين للهجرة لا يمكن التمسّك بكلّ الأخبار التي تتحدّث عن السنين السابقة.

لا يمكن الاعتماد على الإحصاءات التي تحدّثت عن عدد سكان الكوفة قبل ثورة الإمام الحسين عليه السلام لمعرفة عدد سكّانها في عصر الثورة ، والسبب في ذلك أنّه وبعد شهادة الإمام عليّ عليه السلام وتولّي زياد ابن أبيه (م ٥٣ ق) الكوفة حيث نصبه

معاوية والياً عليها في العام خمسين ، فقد عمد إلى ممارسة الضغوطات القاسية على الشيعة[٢٠]. وقد عمل زياد على ملاحقة الشيعة وقتلهم أينما وجدهم وتحت كلّ حجر ومدر. كان زياد يمارس أقصى أنواع التعذيب ضدّ الشيعة ، فيقطع الأيادي والأرجل ويعلّق على المشانق ، ويشمل الأعين بالحديد المحمّى بالنّار ، وينفيهم إلى أماكن مختلفة ، بحيث لم يبق في العراق أيّ شخص من الشيعة المشهورين[٢١].

بناءً على ما تقدّم ، ينبغي الرجوع إلى الإحصاءات التي حصلت في عصر الإمام الحسين عليه السلام لمعرفة عدد سكّان الكوفة. وأمّا بعض العبارات التي دوّنها أهل الكوفة في رسائلهم عند دعوتهم الإمام الحسين (عليه السلام) ، فكانت على النحو الآتي: "إنّا معك مائة ألف" [٢٢]، "أقدم علينا فنحن في مائة ألف"[٢٣] . وبما أنّ جميع أهل الكوفة لم يكونوا موالين للإمام الحسين عليه السلام لذلك يمكن الحدس بأنّ عدد سكّان الكوفة في عصر الإمام عليه السلام أعمّ من المحارب وغير المحارب ، الكبير والصغير، المرأة والرجل ، كانوا حوالي مائه وخمسين ألف نسمة. وقد جاء في بعض المرويّات أنّهم كتبوا للإمام عليه السلام فقالوا: "إنّ لك ها هنا مائة ألف سيف" [٢٤] ، وهذا من جملة المبالغات أو الأخطاء حيث تشير أعلى الإحصاءات والتقديرات بأنّ الذين بايعوا الإمام عليه السلام لم يتجاوز عددهم الأربعين ألفا .

❖طبيعة المجتمع الكوفي

١-من الناحية القومية:

ينبغي علينا أن نتعرف في البداية على التركيبة السكانية للمجتمع الكوفي في وقت النهضة الحسينية ، إذ كان يعيش في الكوفة أقوام من الفرس والروم والترك والأكراد ، وأكثرهم من بقايا الجيش الفارسي المهزوم من أسرى الحرب ، وكان هؤلاء يشكلون حوالي نصف سكان الكوفة أو أكثر ، وكان منهم شرطة ابن زياد وجهازه الأمني ، وقد بلغ من استفحال أمر هؤلاء الموالي أن نسبت الكوفة إليهم ، فقيل: الكوفة الحمراء ، باعتبار أن أكثر هؤلاء الموالي هم من الشعوب الآرية التي تميل ألوان بشرتهم إلى اللون الأحمر.

٢-من الناحية الدينية:

لم يقتصر التركيب السكاني للمجتمع الكوفي على خصوص من ذكرنا ، بل كان هناك عدد غير قليل من اليهود والنصارى ، وكانت بأيديهم مصانع السلاح ومصادر المال والذهب ، وكانوا يمولون السلطات في سعيها لقمع حركة مسلم بن عقيل(ع) ، ولإغراء الناس بالأموال وتثبيطهم عن نصرة الإمام الحسين(ع)[٢٥].

ان مثل هذا الوجود لليهود والنصارى في هذا المجتمع يجعلنا نخرج بنقطة مهمة أيضاً ، وهي نفي الصبغة الإسلامية التامة عن المجتمع الكوفي ، فضلاً عن الصبغة الشيعية المطلقة كما يتصوره الكثير ، حيث أن وجود عدد من اليهود والنصارى ، ولو كان بنحو من الأقلية يمنع من إعطاء صورة مطلقة للمجتمع الكوفي بحيث يقال إنه علوي النزعة بأكمله ، فلا وجود فيه لتيار إسلامي أو معتقد ديني آخر[٢٦].

٣-من الناحية السياسية:

ان من أهم النقاط التي ينبغي ملاحظتها ونحن نسعى لدراسة المجتمع الكوفي وتركيبته السكانية ، عدم إغفال الانتماءات السياسية لأبناء هذا المجتمع ، لأن ذلك ينفع كثيراً في تحديد الشخصيات التي خرجت لقتال الحسين(ع) ، وأنها كانت تنتمي سياسياً للخط العلوي الحسيني أو أنه كان لها انتماء سياسي آخر[٢٧].

هذا والصحيح أننا عندما ندرس المجتمع الكوفي من ناحية الانتماء السياسي نصل إلى أنه كان يحتوي على أحزاب عديدة ، فهناك الحزب الأموي ، كما كان هناك الحزب الحاكم ، وكان هناك حزب الزبيريين ، كما كان هناك حزب الخوارج ، وقد كانت هناك الانتماءات الشيعة التي تمثل خط الموالين لأهل البيت(ع)[٢٨].

لا يخفى على أحد من المتأملين في المصادر التاريخية أن مراكز القوة والتأثيرات السياسية والاجتماعية والأمنية ، كانت بيد الأمويين ، ومن ينتمي إليهم.

٤-من الناحية القبلية:

لقد كانت أكثر قبائل العراق موالية للأمويين ، وكانت الأموال تصرف بسخاء لشراء زعماء تلك القبائل.

من الواضح أن هذا وأمثاله قد سهل على ابن زياد الانفراد بالأقلية الشيعية وشلّ حركتها ومنعها من نصرة الإمام الحسين(ع)[٢٩].

ومن هذا الخليط غير المتجانس تكوّن الجيش الذي قاتل الإمام الحسين(ع) في كربلاء ، وهو ما يفسر لنا كثيراً من المواقف التي حدثت في ساحة المعركة ، لقد كان القوم يقولون للحسين(ع): إنما نحاربك بغضاً لك ولأبيك. ولا يخفى على أحد أن مثل هذا الكلام إنما هو كلام حاقد موتور ، وليس كلام محب غيور على الوقوف مع الجيش الأموي[٣٠].

٥- من الناحية الاقتصادية:

أما الناحية الاقتصادية في الكوفة فكانت تتسم بعدم التوازن فقد كانت فيها الطبقة الارستقراطية التي غرقت في الثراء العريض فقد منحتها الدولة الاموية أيام عثمان ومعاوية الهبات والامتيازات الخاصة فاثرت على حساب الضعفاء والمحرومين ، ومن بين هؤلاء:

١- الاشعث بن قيس ، وقد اشترى في أيام عثمان أراضي واسعة في العراق ، وكان في طليعة الاقطاعيين في ذلك العصر ، وهو الذي ارغم الامام على قبول التحكيم لان حكومته كانت تهدد مصالحه وامتيازاته الخاصة.

٢- عمرو بن حريث ، وكان اثرى رجل في الكوفة ، وقد لعب دورا خطيرا في افساد ثورة مسلم وشل حركتها.

٣- شبث بن ربعي ، وهو من الطبقة الارستقراطية البارزة في الكوفة ، وهو أحد المخذلين عن مسلم ، كما تولى قيادة بعض الفرق التي حاربت الحسين عليه السلام[٣١].

هؤلاء بعض المثرين في ذلك العصر ، وكانوا يدا لابن مرجانة وساعده القوي الذي اطاح بثورة مسلم ، فقد كانوا يملكون نفوذا واسعا في الكوفة وقد استطاعوا أن يعلنوا معارضتهم للمختار رغم ما كان يتمتع به من الكتل الشعبية الضخمة المؤلفة من الموالي والعبيد ، وهم الذين اطاحوا بحكومته .

أما الاكثرية الساحقة في المجتمع الكوفي فكانت مرتبطة بالدولة تتلقى موادها المعاشية منها باعتبارها المعسكر الرئيسي للدولة فهي التي تقوم بالاتفاق عليها ، وقد عانى بعضهم الحرمان والبؤس ، وقد صور الشاعر الاسدي سوء حياته الاقتصادية بقصيدة يمدح بها بعض نبلاء الكوفة لينال من معروفه وكرمه يقول فيها:

يا أبا طلحة الجواد اغثني ❖ بسجال من سيبك المقسوم

احي نفسي فدتك نفسي فاني ❖ مفلس قد علمت ذاك عديم
أو تطوع لنا بسلت دقيق ❖ أجره ان فعلت ذاك عظيم
قد علمتم فلا تعامس عني ❖ ما قضى الله في طعام اليتيم
ليس لي غير جرة واصيص ❖ وكتاب منمنم كالوشوم
وكساء أبيعه برغيف ❖ قد رقعنا خروقة باديم
واكاف اعارنيه نشيط ❖ هو لحاف لكل ضيف كريم[٣٢]

ان الحياة الاقتصادية تؤثر أثرا عميقا وفعالا في كيان المجتمع ، وتلعب دورا خطيرا في توجيه المجتمع نحو الخير او الشر ، وقد ثبت أن كثيرا من الجرائم التي يقترفها بعض المصابين في سلوكهم انما جاءت نتيجة لفقرهم وبؤسهم أو لجشعهم على تحصيل المادة ، وقد اندفع اكثر الجيش الذي خرج لحرب الامام الحسين (ع) حينما مناهم ابن مرجانة بزيادة مرتباتهم التي يتقاضونها من الدولة[٣٣].

الخاتمة

لقد كانت الروح القبلية هي العنصر البارز في حياة المجتمع الكوفي ، وان الوضع العام في مدينة الكوفة كان ذا ألوان مختلفة من الشيعة الحقيقيين وتوسطاً بالخوارج الى العثمانيين والأمويين. وليس صحيحاً ما غلب على الاسماع أن الكوفة كانت كلها من الشيعة فان الموالين الحقيقيين الذين يعرفون الإمام (عليه السلام) على حقيقته ووجوب طاعته كانوا نسبة قليلة منهم ، والنسبة الاكبر محبين يفضلونهم على الامويين .

ان مواقع القوة والنفوذ كانت بيد غير الشيعة الموالين للائمة (عليهم السلام) نتيجة لحكم معاوية الذي استمر عشرين سنة وهذا طبيعي في الحكومات المستبدة ، فكان أصحاب المال والقادة ورؤساء العشائر والعرفاء وغيرهم يوالي أكثرهم الحكومة الأموية فان مناصبهم وأطماعهم متعلقة بالحكومة.

لم يكن الوعي الديني عند الشيعة بالعنوان العام في ذلك الوقت كما نعرفه اليوم عند الشيعة الإمامية بالنسبة لمكانة ومعرفة حق الإمام (عليه السلام) المفروض الطاعة ، وذلك نتيجة ما عمله الخلفاء قبل الامام علي (عليه السلام) من تشويه لمبدأ الإمامة خاصة ومبادئ الاسلام عامة.

الملخص:
تُعد مدينة الكوفة من أهم المدن العربية والإسلاميّة ، لما لها من مكانة دينية وموقع جغرافي مهم ، بالإضافة إلى الوقائع المهمة التي توالت على أرضها. وقد لعبت هذه المدينة دوراً مهماً في صياغة كثير من الأحداث ، ناهيك عن أثرها في تبلْوُرِ كثير من المسارات العلمية والثقافية.
كانت الكوفة أممية قد امتزجت فيها عناصر مختلفة في لغاتها وعاداتها وتقاليدها فكان فيها العربيّ والفارسيّ والنبطيّ والسريانيّ إلى جانب العبيد وغيرهم.
وأمّا القبائل العربيّة التي سكنت الكوفة فكانت عبارة عن القبائل اليمنيّة وهي تشمل: قضاعة، غسان، بجيلة ، خثعم ، كندة ، حضرموت ، الأزد ، مذحج ، حمير، همدان ونخع. والقبائل العدنانيّة وتشمل: تميم وبني العصر. وكذلك كان فيها قبائل بني بكر وهي عبارة عن: بني أسد ، غطفان ، ومحارب ونمير.
وهناك قبائل عربيّة أخرى استوطنت الكوفة وهي: كنانة وجديلة وضبيعة ، وعبد قيس وتغلب وأياد وطي، وثقيف وعامر ومزينة.
وقد ساهمت العصبيّات القبليّة في عدم وجود حالة وفاق اجتماعيّ ، حتّى إذا حصل وفاق في مكان ما كان سريعاً ما يتمّ القضاء عليه ، حيث كان الأساس هو التآمر. إنّ التركيب غير المتوازن والغالب على هذه المدينة ، قد منح بعض المجموعات القدرة على تغيير السياسة الحاكمة في كلّ آن، وأن يجذب المجتمع نحو جهة معيّنة أخرى.
ومن خلال هذا البحث سنتحدّث بمزيد مِن التحقيق عن طبيعة المجتمع الكوفي ، فإنّه المرآة الذي تنعكس عليه الأحداث الهائلة التي لعبت دورها الخطير في تاريخ الإسلام السياسي ، وأنْ نبين العناصر التي سكنت الكوفة وننظر إلى طبيعة الصلات الاجتماعية فيما بينهما ، والحياة الاقتصادية التي كانت تعيش فيها اثناء وقوع معركة الطف واثر التكوين الاجتماعي في ردود المجتمع الكوفي ازاء تلك الاحداث .

الهوامش :

١- الطبري ، تاريخ الطبريّ ، ج ٣، ص ١٤٤ ـ ١٤٥.
٢ - البراقي ، تاريخ الكوفة ، ص٢٠٢ .
٣- المصدر نفسه .
٤- حياة الإمام الحسين ، ج ٢، ص ٤٣٢ ـ ٤٤٥.
٥ - شرح نهج البلاغة ، ج ١٣، ص ١٦٧.
٦ - ابن سعد ، طبقات ابن سعد ج٦ ، ص٤ ؛ ابن فقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ١٦٦ .
٧- الصدوق ، امالي ، ص٣٢٢.
٨ - شمس الدين ، ثورة الامام الحسين (ع) ، ص٧٤ - ٧٧.
٩- بن طاووس ، اللهوف ، ص٥١ ،٦٧ .
١٠- الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٣ ، ص٢٩٠ .
١١- الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص٢٣١ .
١٢- الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٣ ، ص٢٩٠ ؛ بن كثير ، البداية والنهاية ،ج٨ ، ص١٢٧ .
١٣- ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، ج٢٤ ، ص٢٦٦ .
١٤ - بن حجر العسقلاني ، الاصابة ، ج٣ ، ص٤١٤ .
١٥- الصدوق ، الخصال ، ص٦٤٤ .
١٦- الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج١٠ ، ص١٤ .
١٧- البخاري ، التاريخ الكبير ، ج٤ ، ص٢٦٦-٢٦٧ .
١٨-ابن الاثير ، أُسد الغابة ، ج٣ ، ص٧١٠ ؛ القرطبي ، الاستيعاب ، ج٣ ،ص١١٧٢ .
١٩- المصدر نفسه .
٢٠ - الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ص ٦٧.
٢١- الطبرسي ، الإحتجاج ، ج ٢ ، ص ١٧.
٢٢- الحلي ، مثير الأحزان ، ص ٢٥.
٢٣- ابن الجوزي ، تذكرة الخواصّ ، ص ٢٣٧.
٢٤- المفيد ، الإرشاد ، ج ٢، ص ٦٩ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٧٠.
٢٥- مقاتل الطالبيين ، ص٦٧ .
٢٦- الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص٢٢١ .
٢٧- شمس الدين ، ثورة الامام الحسين (ع) ، ص٧٤ .

[٢٨]- المصدر نفسه .
[٢٩]- ماسينيون ، خطط الكوفة ، ص ١٨.
[٣٠]- المصدر نفسه .
[٣١]- خليف ، حياة الشعر في الكوفة ، ص ١٦٨.
[٣٢]- الجاحظ ، كتاب الحيوان ، ج٥ ، ص٢٩٧ - ٢٩٩.
[٣٣] - مختصر تاريخ البلدان ، ص١٦٦ .

قائمة المصادر

- ابن الاثير ، عز الدين ابي الحسن علي بن محمد ت ٦٣٠ هـ ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، تعليق عادل احمد الرفاعي ، بيروت ، ١٩٩٦.
- ابن الجوزي ، سبط الحافظ ابي الفرج عبد الرحمن ت ٦٥٤هـ ، تذكرة خواص الامة في خصائص الائمة تحقيق محمد صادق بحر العلوم ، مكتبة نينوى ، طهران ، د.ت.
- ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد ابراهيم ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٧ .
- ابن سعد ، محمد بن منيع ، (ت٢٣٠ه) ، الطبقات الكبرى ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .
- ابن الفقيه الهمذاني ، أبي عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق ت ٣٤٠هـ ، مختصر البلدان ، تحقيق يوسف الهادي ، ط١، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٩٦ .
- ابن طاووس ، رضي الدين علي بن موسى بن جعفر ت٦٦٤هـ ،مقتل الحسين (اللهوف في قتلى الطفوف) ،(ط١ ، قم ، ١٩٩٦.
- ابن منظور ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الانصاري الإفريقى (ت: ٧١١هـ) ، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق ، ١٩٨٤ .
- ابن نما الحلي: محمد بن جعفر بن ابي البقاء(ت:٦٤٥هـ)، مثير الأحزان.
- أبو الفرج الأصفهاني (ت: ٣٥٦هـ) ، مقاتل الطالبيين ، مؤسسة دار الكتاب ، قم ، ط٢ ، ١٩٦٥ .

- البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي ، التاريخ الكبير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٩ .
- البراقي ، حسين بن السيد احمد النجفي ، تاريخ الكوفة ، دار الاضواء ، بيروت ، ١٩٨٧ .
- بن حجر ، ابي الفضل شهاب الدين بن محمد العسقلاني ت ٨٥٢هـ ، الاصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق عادل احمد عبد الموجود ، (ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥ه / ١٩٩٤م) .
- بن كثير ، إسماعيل بن عمر الدمشقي(ت٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٩٠ .
- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، الحيوان ، تحقيق: عبد السلام هارون ، د.م ، ١٩٦٥ .
- خليف ، يوسف ، حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة ، المكتبة العربية ، ١٩٩٥ .
- الخوئي ، ابو القاسم ، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة ، مؤسسة الامام الخوئي ، ١٩٩٢ .
- الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت: ٢٨٢هـ) ، الاخبار الطوال ، دار احياء الكتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
- الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي ابن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ) ، الخصال ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ، ١٩٩٠ .
- الطبرسي ، ابي منصور احمد بن علي بن أبي طالب ت٥٦٠ه ، ١٢٥.الاحتجاج ، تحقيق محمد باقر الخرسان ، منشورات دار النعمان ، النجف الاشرف ، ١٩٦٦.
- الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠ه) ، تاريخ الطبري ، بيروت ، ٢٠٠٥.
- القرشي ، باقر شريف ، حياة الامام الحسين بن علي عليه السلام دراسة وتحليل ، انتشارات مدرسة الايرواني ، قم ، ١٩٩٢ .

- القرطبي ، يوسف عبد الله محمد عبد البر أبو عمر (ت:٥٤٦٣) ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : محمد علي البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٢.
- لويس ماسينيون ، *خطط الكوفة* وشرح خرايطتها ، تحقيق: تقي بن محمد المصعبي ، دار الوراق للنشر ، د.ت .
- المجلسي ، محمد باقر (ت:١١١١هـ) ، بحار الانوار ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ، ١٩٨٣.
- المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت:٤١٣هـ) ، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ، دار المفيد ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٣.

الكوفة عاصمة المعصوم ظاهرة في الآفاق وفي التراث

م.م. محسن وهيب عب
العتبة الحسينية المقدسة / قسم الاعلام

المقدمة :

لم تدرس الامامة والعصمة مطلقا على اساس انهما فطرة وتكوين من سنن الكون وطروحاته ، ولم يبحث فيهما خارج المعاني الدينية والنصوص الدالة على الامامة والعصمة ، مع وجود شواخص وشواهد من اهل بيت النبوة صلوات الله عليهم ، تترجم معاني هذه السنن الكونية البديهية والطروحات الكونية اللازمة لها ، ولذا سنوضح هذين المفهومين انتروبولوجيا وعلميا باعتبارهما ظاهرتين كونيتين بديهيتين لهم نماذج انسانية تركت اثارا قائمة في الوجود والموجودات وفي الحياة والأحياء وفي الانسان العاقل ، وبسبب بداهتهما ووضوحهما في استطالتهما وهيمنتهما ونفاذيتهما ، خفيتا عن الناس ؛ كما يخفى على السمكة انها تعيش في الماء.

ولأن سنة الامامة والعصمة بديهيتان سنرى من خلال البحث اننا لا نحتاج الى ادلة على النصوص التي جاءت بهما كعقيدتين ضروريتين اساسيتين في الاسلام ، بل تكفي الاشارة الى اثارهما الباقية في الوجود والى ضوابط صحة الاعتقاد عند الانسان بشكل عام .

فإذا كان ذلك كذلك وهو كذلك فلا يصح ان يقيس احد الامام علي عليه السلام بغيره من القادة او السياسيين او الحكّام من سائر الناس ، بعبارة اوضح : اذا كان الامام علي عليه السلام مصداق لسنة كونية وهو تجسيد قائم لأطروحة العصمة الكونية ؛ فليس لنا الا الاقتداء به باعتباره علم هداية كونية ، ولابد ان نعرف معاني الامامة والعصمة كأطروحتين كونيتين وعلي بن ابي طالب مصداق لهما.

الامامة؛ دراسة إنتروبولوجية اجتماعية:

في الدراسات الأنتروبولوجية الحديثة يعتمد الباحثون الظواهر في دراساتهم لمعرفة الأسباب الباعثة لها او الدافعة او المنجزة لها ، اعتماداً على القاعدة المنطقية المعروفة في المعرفة ، والمستنبطة بالمنهج العلمّي ، (لكل ظاهرة سبب ، او لكل معلول علة)، فبعد التعرف على الظواهر وأسبابها ، يصبح ممكنا في اغلب الاحيان ؛ احضار الظاهرة

بإحضار علتها ، والعكس صحيح ، حيث يمكن استبعاد الظاهرة باستبعاد علتها ان امكن.

ان الدراسات الانتروبولوجية تخصصت للتحكم في الظواهر الاجتماعية ، ولذا فان مئات المعاهد انشئت لهذا الغرض في دول الغرب الليبرالي من اجل التمهيد ثقافيا للتصديق بالنظريات السياسية الليبرالية ، وجهز العالم كله والبشرية جميعا من خلال برامج العولمة لإبراز اي ظاهرة يريدونها ، او اخفاء اي ظاهرة لا يريدونها . بيد اني اعتقد ؛ ان الذي يريدونه لم ولن يحصل ما زال في جوهره معاكسة للسنن الكونية وعلل وظواهر الكون القائمة فيه. ولقد تحصّل من قبل : ان ليس بالإمكان افضل مما كان.

فلكي يصدق ويصح توجه الباحث لدراسة الظواهر من اجل أسبابها لابد:

- اولا؛ من اختيار الظاهرة بمعيار كوني ؛ وهو معرفة السنن الكونية البديهية النافذة .

-وثانيا؛ ان تكون الظاهرة طبيعية الحدوث وليس مختلقة كما هو الحال الحاصل الان في الانتروبولوجيا الثقافية في المعاهد الغربية المتخصصة.

-ثالثا ؛ ان صدق المنهج يبقى رهين فطنة الباحث في اختيار الظواهر لمعرفة اسبابها وبالتالي التحكم بتلك الظواهر ، وحسب اهميتها في المجتمع ، ولكن مع الأسف قد يكون الفطن خبيثا في مسعاه ؛ فأما ان يهمل الظاهرة التي تؤثر في صميم تطور المجتمع الى ظواهر سطحية ، ليكون مبادرة لاتجاه تافه في مثل تلك الظواهر كما يحصل اليوم في معاهد الانتروبولوجيا الثقافية التي توجه الناس والمجتمعات لخدمة السياسات الغربية والمشاريع الليبرالية ومعاني العولمة (الفخ) ، كما يسميها مثقفوهم ، او تأخذ الناس وتشغلهم عن الظواهر الاساسية في تاريخ الانسانية.

مثل ذلك اهمال ظاهرة ارسال الرسل عليهم السلام ، لكي لا يعلم الناس اسبابها حيث فيها نهاية احلامهم وتطلعاتهم لحكم الارض من خلال القبض على الاسباب المختلقة المصنوعة من قبلهم.

وقد لا يكون كل هذه الاسباب هي السبب في توجه الباحثين الانتروبولوجيين غير الصحيح او المنحرف عن المنهج العلمي ، لخفاء الظواهر الجوهرية الكونية بالبداهة.

فهناك قاعدة عقلية منطقية تقول : كلما كانت الظاهرة بديهية كلما خفيت على الناس ، وكلما كانت الظاهرة شديدة التغير على الحواس كلما كانت اشد تأثيرا في الحواس.
ومن تلك الظواهر المستطيلة النافذة المهيمنة الحاكمة في الوجود الموجودات وبشكل بديهي ؛ ظاهرة الامامة كسنة كونية لا يفلت منها مخلوق على الاطلاق.
فالإمامة : هي ميزة الكمال في كل كائن ، ولا يخلو اي كائن من ميزة كمال ما[1].
فمن البديهي ان الطاقة ونعرف منها النور له ميز كمال على الظلمة والعدم ، والمادة والمواد لها ميزة كمال على الطاقة بأنواعها، والحياة والأحياء لهما ميزة كمال على المادة والمواد ، والعقل والعقلاء لهما ميزة كمال على الاحياء والحياة ، والعقلاء يتمايزون فيما بينهم بالأكمل من ألعقول ، والأنبياء لهم ميزة كمال على البشر جميعا فهم ائمة البشر.
فكل مخلوق له امام من ذاته ومن صنفه او نوعه ؛ وهي سنة كونية بديهية ، تصح في المواد وتصح في الاحياء والإنسان ، ولكنها قد لا تصيب موقعها الحق في الانسان بسبب الحرية التي يمنحها له عقله في الاختيار وبسبب تمايز العقول بسعة الكمال وحجمه.
فملاحظة تلك الظاهرة امر يصعب الاحساس به لأنه بديهي ؛ بيد انه لا يعدمها اللبيب ولا تحتاج الى اعمال الفكر وفعل النظر. ليرى ان لكل نوع من الحيوانات امام والمثل واضح جدا في النمل والنحل ، حيث لكل من هذه الاصناف ملكة ويعسوب وواضح في الطيور والأسماك المهاجرة ، وحتى في وحوش البراري والغابات.
ففي الانسان مثلا : تظهر أوضح ؛ من خلال ملاحظة التجمعات الانسانية من صغيرها الى كبيرها ؛ فلا بد من رب للعائلة وعميد للأسرة وزعيم للقبيلة وقائد للجيش ، ومدير للمديرية وإمام للأمة...بل لكل تجمع صغير او كبير مسؤول سواء أكان قدر تلك المسؤولية او دونها ، وسواء اكان يحسنها ام يسوء فيها ، المهم ان الامام لابد موجود مع امكان التقصير في الاداء.
ففي كل التجمعات الانسانية لابد من زعيم للحزب او قائد للتنظيمات او مسؤول عن الحركات السياسية ، ورب للأيديولوجيات والملل والنحل...الخ.

وهذا التاريخ بعرضه وطوله يخبرنا بأسماء اؤلئك الائمة الذين تسمى اتباعهم بأسمائهم ، بل لا نجد في التاريخ بطوله وعرضه إلا سردا لسيّر الائمة من كل نوع:
البوذية لبوذا والمسيحية للمسيح والإبراهيمية لإبراهيم واليهودية لهودا والفعلية لفعل والمفعولية لمفعول... حتى الشيطانية لمن اتخذ الشيطان إماما وهم اليوم كثر.
ولكن الغريب ان مع تمام قوة هذه الظاهرة ظاهرة الامامة ووضوحها وسيطرتها واستطالتها وحاكميتها ونفاذها وبديهيتها بحيث لا يفلت منها احد إلا وهو ضمن نظام الامام في حزب يأتم برئيسه او في دين يأتم بنبيه او تابع لهواه وإمامه الشيطان .وذلك مصداق قوله تعالى : (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا)[٢].
مما يعني ضمنا ان الامامة حتم كوني وان الامام مصداق لسنة الله الكونية في الوجود.
ان القوم الوحيدين الذين يقولون بصميمية الامامة وأساسيتها في الكون والوجود ؛ هم المسلمون الاماميون ؛ لأنهم لا يعترفون الا بالمعنى الكوني العلمي للإمامة ، وبالإنسان الجدير بها وهو المعصوم ولذا يتوجه اليهم الغمز واللمز من كل ابناء ابليس الذي لم يسجد لأدام ؟؟!! والحر تكفيه الاشارة.
بمعنى اذا كان الامام حقيقة كونية وجودية بديهية لابد منها في كل زمان ومكان ؛ فان من الافضل ان يكون في افضل احواله وصفاته الخلقية والخلقية ، وإلا فإذا كان حاله كحال الناس او اسوء منهم فلماذا يكون قدوة ؟!
ولماذا يجب ان يتأسى الناس بمخلوق خاطئ مثلهم او بأسوء منهم !؟ وما هو المسوغ العقلي او المنطقي لقبول من لا ميزة كمال له في تكوينه ؟! وما هي الحكمة من ائتمام السيئ بالسيئ ، والخاطئ بالخطّآء ؟!
نتيجة:
لزومية الامام الحق الكونية لابد ان ترافقها لزومية كمال عقلي ليصح الائتمام به ؛ اي ان يكون الامام بميزة كمال تفضله على الناس ، فهو من افضل الناس على الاطلاق ليسوغ الاقتداء به والتأسي بسيرته فهو معصوم.

وهذا هو الحاصل في نمط الامامة الحق ؛ خلق الله تعالى في اليوم السادس او النمط السادس للكون وهو المعصوم الذي لا يأتي منه الظلم اصالة ودواما.

بعبارة اخرى ؛ بما ان الامامة ظاهرة كونية وسنة وجودية لا يفلت منها احد على الاطلاق ولا يمكن لإنسان الا وله امام ، (اي عقل يدله على الصواب والخيار الاحسن) ، فهي ظاهرة في كل نفس لا يمكن انكارها فالسنة البديهية الحاكمة في الافاق والتاريخ يحكي لنا فعل السنة البديهية في التراث ؛ اي في التاريخ.

اذن السؤال المهم جدا في بحثنا هذا ، بل وهو الاهم جدا في الوجود : هل تصح الامامة إلا مع معدنها الكامل المطهر المعصوم؟

في جهدنا المتواضع هذا ؛ كل اهتمامنا ينصب على الاجابة على هذا السؤال مع انه بديهي وواضح إلا ان توضيح الواضحات من اصعب الصعوبات.

لذا فان لله يوم القيامة الحجة البالغة بمثل هذه البديهيات التي عميت اعيننا عنها بسبب استلاب النفوس بالهوى ؛ اي هيمنة هوى الشيطان وخياراتنا التي تتبع ذلك الهوى.

فليس هناك عاقل يفضل المعتوه على العاقل والجاهل على العالم ؛ حين يريد ائتمام لحال افضل.

العصمة اطروحة كونية

من مصاديق صحة عقائد الامامية انها عقائد علمية عملية ، مصدرها وأصول عقائدها ؛ السنن الكونية البدهية (الفطرة) ، وأساسها عملي علمي موافق لنسق الافعال الكونية ، والذي تجري وفقا لخيارات مشيئة المكون سبحانه وتعالى وإرادته.

فالعصمة ؛ ليس مسلمة اعتقاديه نابعة من فراغ ، وليس هي فكرة طوبائية مخترعة لعقيدة تكفل التقديس لنوع من البشر ليكونوا قادة وسادة لبني البشر ، انما العصمة اطروحة كونية ونمط سادس من الخلق لازم الوجود ، كان من لطف الله تعالى ليكتمل به الانسان (الخليفة) كمالا وجمالا ومن دونه العبثية التي تنزه الله جل وعلا عنها..

فالمعصوم ؛ نبيا كان او رسولا او اماما ؛ هو انسان مختار من سلالة معينة من البشر ؛ طهّره الله من الرجس ، وارتفع عن عقله القصور ، بروح منه جل وعلا ، فلم ولن يأت منه الظلم.

لأن الظلم : (خرق مسلّمة الحق وسنة العدل في النسق الكوني)، فالعدل هو الاساس لقيمومة الكون والكائنات وسريانها الى الكمال.

والظلم ؛ علتة القصور في سائر الناس الذي اساسه تجاهل الانسان لله تعالى ومعرفته تعالى راس الحكمة.

ان الاختيار و الاصطفاء سنة كونية في كل المخلوقات : فالنمط اللاحق في الانماط الستة للخلق ؛ دوما هو جزء مختار من النمط السابق في الخلق ، وعليه نجد ان ؛

- نمط الطاقة اختيرت من العدم .
-ونمط المادة جزء مختار من الطاقة.
-ونمط الحياة جزء مختار من المادة .
-ونمط العقل جزء مختار من الحياة.
-ونمط العصمة جزء مختار من العقل.

وهكذا ؛ نجد ؛ ان التطور او السريان للأحسن سنة كونية بديهية ، ومعنى الكمال في كل نمط من انماط الخلق سنة كونية ؛ هي سنة الامامة ومعدنها الكمال الذي نسميه العصمة.

اذن فالعصمة ؛ بالأصل هي حتم اختيارات كونية ؛ اذ هي نتاج السنن الكونية ، وهي اطروحة الكون الرائع ومع هذا فهي اختيار لا تصنع الجبرية في فعل المعصوم ، وهذا ما يجدر التأكيد عليه في معاني العصمة.

ولذا وقبل ان نبحث في تفاصيل كون الامام علي عليه السلام مصداقا للعصمة والإمامة سننا كونية وآيات في الافاق وفي الانفس ، وان الكوفة عاصمته تحمل آثار تلك الايات في النفوس والتراث المعصوم الى الابد ؛ علينا اولا ان نثبت:

١-كيف ان العصمة اطروحة كونية وما هي الاثار الوضعية لوجودها؟

٢-كيف ان الامامة سنة كونية لا تتغير و لا تتحول ؟ وما هي الاثار الوضعية لقيامها؟

٣- كيف نعرف ان الامام عليا مصداق للإمامة الحق والعصمة ، من خلال الاثار التي زرعها في الكوفة عاصمة الامامة الحق والعصمة؟

وكل ذلك من خلال نهوض الكوفة بأول مهام العصمة قدوة هداية وأسوة حسنة في كل المجالات الانسانية. وسيكون بحثنا اجابة علمية على هذه الاسئلة .

في هذا الاتجاه يأتي بحثنا ومن الله تعالى التوفيق والسداد فهو القصد وهو نعم الغاية.

الفصل الاول :

كيف ان العصمة اطروحة كونية ؟ وكيف ان الامامة سنة بديهية؟

١- معنى الايام الستة في الكون والكائنات.

جاء في كل الكتب السماوية ؛ ان الله تعالى خلق الخلق في ستة أيام.

والواقع ان اليوم ؛ هو المدة الزمنية التي تكمل فيها الارض دورتها حول نفسها ازاء الشمس..اي ان اليوم هو : تغير الزمان مقابل ازاحة كونية محددة ثابتة أي ان اليوم ؛ (ظرف زمكاني) .. اذن فاليوم نمط متكرر لظرف زماني مكاني.

ولذا لابد ان نعرف حقائق مهمة لمعنى اليوم قبل تناول المعنى القرآني السامي لهذا اللفظ وهذه الحقائق هي:

اولا- اليوم وحدة قياس ارضية وليس كونية للزمن وفق المفهوم الواقعي الذي يتفاهم به الناس ، بل حتى على الارض ذاتها تتغير المقادير ، فقد يكون اليوم يساوي سنة كاملة ستة اشهر نهار ، والستة الاخرى ليل ، كما هي الحال في مناطق القطبين ، فاليوم طبقا للواقع : هو مظروف للزمان والمكان معا ، حيث لا يمكن تصور الزمن بمعزل عن المكان مطلقا.

ثانيا- اطلاق لفظ محدد على وقت محدد قبل خلق محدد هو الأرض سوف لن يكون اكثر من اشارة الى؛ مظروف زمكاني ، أي ان اليوم ؛ هو تعبير عن متلازمة زمانية مكانية غير منفصلة ، والمظروف الزماني المكاني للخلق جاء في القران الكريم ؛ لكي يعني وقوع اقسام الخلق في ستة مظاريف زمانية مكانية(الأيام الستة). فكل يوم من ايام الخلق يعبر عن نمط من انماط الخلق ؛ مرحلة او طور.

ثالثا- ارتباط خلق الايام الستة بالعرش العظيم نجده بينا من خلال تكرر قوله تعالى في سبع ايات من كتابه العزيز:

١)- (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)[٣].

كل ذلك ؛ يعطينا قرينة تؤكد معنى اليوم في القرآن ، بأنه ظرف زماني مكاني مربوب ، فمن مبدأ الوضوح لا يشك احد في ان هناك فقط ستة انماط مخلوقة متمايزة تمام التمايز نعرفها على الواقع :

١- الطاقة ، ٢- محض الكتلة ، ٣- المادة ، ٤- الحياة ، ٥- العقل ، ٦- النبوة.

محض الكتلة وهو النمط الثاني الخفي(Stealth mode)؛ الذي يسمونه خطا بالمادة المفقودة (Missing material) ، وهو بالواقع ليس مفقودا بل لا يمكن تمييزه ويقع بين الطاقة والمادة ، والذي يصعب معرفته ، فانه يشكل غالبية الوجود الكائن وهو الذي يسمونه الطاقة المظلمة[٤] التي تشكل ٧٥ ٪ من كتلة الكون ، ميّز العلماء منه نمط الثقب الاسود وهو لازال يلفه الغموض بسبب جاذبيته الرهيبة لأنها كبيرة جدا. ونستطيع ان نتبين من الآيات المحكمات ما يلي:

١-اذا كان ليس لليوم الا معنى ظرف زمكاني قبل خلق الأرض ، فان خلق السموات والأرض ؛ يعنى انهما قدرتا وصممتا ووضعتا في ستة مظروفات زمكانية ، اي في ستة انماط ، مرتبة قبل الاستواء على العرش الذي يعني الامر الالهي بوجود ظاهر لتلك الانماط لان العرش يترجم سريان ارادة الله ومشيئته في الكائنات.

٢-وان هذا الخلق تلازم مع استواء الله تعالى على العرش على ترتيب ب(ثم) كما يبدو من الايات الانفة الذكر.

٣-اظهرت احدى تلك الايات السبع التي تحكي قصة خلق الكون ؛ ان العرش كان على الماء. (وكان عرشه على الماء) ؛ والعرش كما نعرف هو امضاء ارادة الله في الكائنات. بمعنى انه ظهر مع ابسط انواع الوجود.

اذن ؛ فاليوم مفهوم زمكاني اشمل من معنى قياسي محدد بزمان ومكان معينين ، وذلك ما نلمسه من معنى اليوم في القران ، ومن افضل التفاسير واقربها للحق هو ان نفسر القران بالقران. فاليوم قبل ان يعني الزمن اللازم لدورة واحدة للأرض حول الشمس

(اي اربع وعشرون ساعة) ، فانه نمط لتغير الحيز في الزمان. ، وهذا هو معناه اين ما ورد في القران الكريم.

وعليه فالايام الستة التي ابدعت بها السموات والأرض وصممت وقدرت ؛ هي المظروفات الستة التي تبدو على انماط ستة ، فالنمط مفهوم زمكاني للكائنات تبرز به للوجود بعد الامر العظيم بكونها ، لان الزمان والمكان اساس كينونة الكائنات ، ولن يكون هناك تعبيرا علميا ادق من هذا التعبير في معاني الخلق والكون.

معنى اليوم عند الناس ؛ هو المقياس الزماني لدوران الارض مكانيا حول الشمس ، وإنما برز هذا المعنى لليوم وعرّف وقدّر بعد وجود الأرض ، في حين ان خلق السموات والأرض والعرش سابق على كل وجود .. فكيف يتم قياس الكائن بما لم يكون؟!.

ولو فرضنا جدلا ان اليوم المقصود بالخلق هو هذه الـ(٢٤)ساعة ، فمن العته والخطل ان نتصور ان الله تعالى احتاج الى (١٤٤) ساعة لخلق السموات والارض. وهو تعالى يقول للشيء كن فيكون ، وما امره الا كلمح بالبصر: (وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥)

ان اليوم المقصود في خلق السموات والأرض ؛ هو الكيان الزمكاني للكائنات ، فهو المظروف لقوامها ، قائم بنمط مميز من انماط الخلق ، بمعنى ان الله تعالى قد خلق السموات والأرض في ستة انماط او ستة مظاريف زمكانية .

٢- الاعتبار بالعدد ستة في الخلق:

ان مجرد الاعتبار بالعدد(٦) مع مفهوم المظروف الزمكاني (اليوم) في الاشارة الى خلق السماوات والأرض يعتبر غاية في الابداع ، ودقة عالية جدا في العلم ، فان ولادة الزمكان هي ولادة الوجود ذاته ، وتعدد حالات الزمكان وأشكاله في ستة انماط كما هو واقع الحال لا يصدر الا من العالم الحكيم المبدع سبحانه وتعالى.

فالنمط ؛ هو بداية للزمان في حيز(مكان) ، ولأننا لا نستطيع ان نفصل الزمان عن المكان فيزياويا لتلازمها ذاتيا فلا يصح على الاطلاق اعتبار الايام الستة للخلق هي وحدة قياس الزمن لدورة واحدة للأرض حول الشمس كما نجده نحن اربع وعشرين ساعة ، لا يصدق ابدا.

فالستة عدد كامل في ذاته ولذا اختاره الله تعالى ، وعند النمط السادس يكون تمام وكمال خلقه .

واستواء الله تعالى على العرش ، يعني بدء سريان ارادة الله تعالى في مخلوقاته. ولذي يؤكد هذا المعنى قوله تعالى : (وكان عرشه على الماء) ، اي ان بدء سريان حكم السنن بدا مع النمط الاول للخلق وهو ابسط وجود للمادة ، والمعروف علميا ان ابسط مادة كائنة على الاطلاق هي الماء ، ومن ثم سرى بالتكامل لنمط النبوة وهو النمط السادس في الخلق .

فعرش الرحمن ليس مسلة او اعواد او عريش ، انما هو سنن الله الحسنة النافذة في الكائنات ، والعرش الذي جاء في القران هو ثماني [٦]سنن كونية قضاها الله تعالى وأنفذها في كائناته ، تلك السنن النافذة في الوجود هي بيان كمال الله تعالى في كائناته ، والتي تجري وفق النسق الكوني تعبيرا عن افعال الكون بالكمال والى الكمال .

٣- النسق الكوني لأفعال الكون:

في حدود ستة انماط للخلق وحكم ثماني سنن هما ارادة الله تعالى في خلقه ، فالأفعال الكونية كلها لا تحرج عن خيارات هذا النسق الكوني المحدد.

فالنسق الكوني للأفعال الواقعة فعلا يجري بستة انماط وتنفذ فيها ثمان سنن بديهية ، اي ان حركة الكائنات والكون كله يبدأ بإرادة الله لعلة واحدة هي الرحمة وينشد غاية واحدة هي الكمال.

ولان معنى الحسن يتجلى في كل حركة صاعدة للكمال ، ويكون لنا الحسن دافعا للجاذبية والمسرة ، لذا فمراقبة النسق الكوني تتكلل بادراك الجمال والحسن وبالشعور بالانجذاب والمسرة ، ومعرفة ان كل شيء يسعى للحسن الا الانسان وبسب حرية الاختيار في عقله فقد تصدر منه افعال لا تنشد الكمال.

ومن منطلق ان الكمال هدف لذاته في هذا الكون ؛ تسعى جميع الكائنات الى الكمال بديهية لا يسع لمنكر ان ينكر ذلك . وعلى ضوء هذا نجد ان كل كائن موجود يحاط ببديهيات ، فان كل كائن انما يمثل قيمومة نظام وحركة صاعدة للكمال ، ولذا فنحن نجد في كل كائن:

•لابد ان يستجيب الكائن لنظام خلقه ، ليبقى وليستمر بالوجود ، فبطاعة الموجود لنظام وجوده ؛ تم ظهور الموجود.

•لابد من قوة رحيمة تبني ذلك النظام وتقومّه ويستمر بها ، وهي الرحمة. فالرحمة علة قيمومة النظم في الكائنات. وفيزيائيا ؛ فلا عمل ينجز بلا قوة.

•لابد ان تكون في النظام مواقع ثبات صادقة هي الحق كأسس يرتكز عليها ويستمر بها وجود الموجود ، وهو الحق.

•لابد ان يكون هناك اجل لنهاية ذلك الموجود ، للتواصل مع الحسن سريانا للأحسن وفق حركة الكون الكلية ، وهو الموت. فلا موجود يفلت من الموت.

•لابد ان يكون هناك معنى للكمال في ذلك الوجود استحق به الوجود ويستمرار ، فبدون معنى للكمال في الخلقة لا معنى لوجود النمط الكائن ، وهو الامام.

•لابد ان يظهر ذلك الموجود جزئيته من النسق الكوني الواحد الساري بحركته نحو المحسن المطلق ، بالتوحيد والوحدانية. فهو جزء من وحدة السنن ووحدة الانماط ووحدة الثوابت الكونية ووحدة الشروط الكونية.

•لابد له من ذاته ما يبدو به حسنا ويستمر يتجدد في تجلي حسنه ، وهو القدرة على تجاوز تعارض الوجودات بالبلاء.

•لابد ان يظهر الموجود سريانا دائما نحو الاحسن بحركة نمطية مستمرة دائبة. وهو السريان.

٤- ربنا سبحانه ليس بحاجة للعرش:

وفي عالم الخلق لا وجود للعرش ، فالله تعالى لا يحتاج الى عرش ، بل لا يحتاج الى اي شيء على الإطلاق تعالى ربنا عن الحاجة علوا كبيرا ، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ)(٧).

والاشارة الى العرش في الكتاب العزيز ؛ انما هو بيان لنا : ان نفاذ حكم السنن الحسنة لله تعالى كان وبدأ مع اول وابسط وجود كائن وهو الماء ، نافذة على ابسط وجود كائن

لحاجة الكائنات اليه. فالعرش مطلوب لنسق الكائنات وحسنها وجمالها وتكاملها ، وليس لله تعالى فيه حاجة تعالى الله علوا كبيرا.

ان توضيح السنن الكونية ، يعتبر من اصعب الصعوبات لأنه كما يسمى ؛ توضيح للبديهيات ، لكن لابد من المحاولة لأنه موضع لم يتطرق اليه احد من قبل... ومن باب التبسيط ؛ نجد تلك السنن واضحة وبديهية من خلال تقسيم الموجودات الى فاعلة ومفعوله او حاكمة ومحكومة.

اولا- قوائم عرش الله تعالى هي الموجودات المستطيلة المهيمنة النافذة في الوجود:

هناك موجودات مهيمنة على وجودنا مستطيلة فيه نافذة به ، وإحساسنا بها يتوقف على مقدار استطالتها ، والعلم بها يحصل وفق انماط تعلمية تعتمد التغير والتكرار والتعارض ، وبسبب هيمنة هذه الموجودات المستطيلة على كل الوجودات بما فيها الانماط التعلمية ؛ صارت بديهية في وضوحها وصار يصعب الحديث في الاحساس بوجودها لانها الوجود ذاته والحديث فيها هو ؛ حديث في الوضوح ذاته ، ولذا قالوا : من اصعب الصعوبات توضيح الواضحات.

ثم ان الحديث العلمي والإدراكي والمعرفي ؛ هو صيغ تستنبط من بين الثوابت والمتغيرات ، ولولا تلك الثوابت فلا شئ يدرك على الاطلاق.

فعلم الاسماء الثابتة نحصل عليه من بين المعاني المتغيرة ، والعلل الثابتة نحصل عليها من تغير الظواهر ، والحقائق نحصل عليها من النسب الثابتة بين متغيرات المعاني والعلل ، وثوابت الايمان نحصلها من متغيرات الغيب ، والقوانين نحصلها من ثوابت العلاقات بين متغيرات الحقائق ، وثوابت النواميس نحصلها من متغيرات القوانين ، وثوابت السنن نحصلها من متغيرات النواميس ..هكذا كما ملخص في الجدول التالي:

السنة الكونية	السنة التكوينية	حركة النفس باتجاه التحصيل العلمي بين المتغيرات والثوابت		
السنة الكونية	النمط التعلمي	المتغيرات	الثوابت	العلم المحصل

سنة الطاعة	التسليم	الاسماء	المعاني	علم المعاني
سنة الرحمة	التعليل	الظواهر	العلل	العلم بالأسباب
سنة الحق والعدل	التصديق	المعاني والعلل	النسب الثابتة في الواقع	الحقائق
سنة البلاء	التجريب	الحقائق	ثوابت الانماط والسنن	القوانين
سنة الامامة	التفاضل	القوانين	ثوابت الكون	النواميس
سنة الوحدانية	التعميم	النواميس	وحدة الكون	السنن الكونية
سنة الموت	الايمان	الاجال	الموت	علم الغيب
سنة السريان	التكامل	السنن الكونية	النسق الكوني	العصمة

و لذا فان هناك قاعدة عقلية تبرز هي: (ان الاحساس بالشيء او تجليه للحواس يتناسب عكسيا مع مقدار استطالته وثباته، فاذا كان الشيء كامل الاستطالة على الوجود، مثل خالق الوجود جل وعلا ، استحال الاحساس به وتجليه ، وتكون جزئية الاحساس بالموجودات متناسبة عكسيا مع مقدار استطالتها).

ولقد وجدنا من الموجودات المستطيلة ثمانية موجودات:

١- الرحمة او القوى الموجبة او القوى الطبيعية ، حيث كل ما في الوجود من كائنات او ظواهر هي بالواقع انجازات لتلك القوى ، ولذالك فهي مستطيلة على الموجودات كلها والإحساس بها ذاتها صعب ، إلا اننا نتحسس انجازاتها وتأثيراتها ، وكلما كبرت القوة في استطالتها استحالت على الادراك والإحساس . والذي يزيد في صعوبة ادراكها ان سنخها هو الرحمة ، لذا فالقوى غير الكونية القهرية والقاسية منها فان الاحساس بها قويا جدا.

٢- الطاعة، ظاهر لجوهر الوجود ذاته ، وجود الموجودات في حقيقته هو ظاهر لباطن قوة انجزته لذا فالوجود هو تعبير عن استجابة الموجود لنظام وجوده ، فهو الوضوح نفسه.

ولذا فالطاعة ؛ مستطيلة يصعب ادراكها ، او الاحساس بها ، في حين ان كل موجود انما هو في حال طاعة لأنه في حال استجابة . فوجود الموجودات هو بالحقيقة تعبير عن طاعتها لنظام وجودها. فإذا اخل الموجود بنظام وجوده استحال او انعدم ، فلا وجود مطلقا لموجود بدون طاعته.

فالوجود جوهر والطاعة ظاهره ، ويصعب التفريق الحسي بينهما ، نعم عند تعدد الوجودات في الكائن ، مثل الانسان ككيان موحد لوجود المادة ولوجود الحياة ولوجود العقل ، فإذا كان لا سبيل لعدم الطاعة في مادته وحياته وكان عقله لا يستجيب لنظامه فانه لا ينعدم في الوجود والحياة بل يستحيل بدون العقل الى حيوان وإذا فقد حياته تحول الى مادة.

٣- العدل والحق ؛ هما من الموجودات المستطيلة النافذة المهيمنة ؛ فالعدل هو قيمومة الوجود والموجودات وفعاليتهما وحياتهما بالحق. والحق هو نظام الوجود والموجودات الحي الفاعل القائم بثوابت حركة الكون والكائنات المتوجهة نحو الكمال المطلق .

والعدل هو قيام الحق في الكون والكائنات وقيامهما عليه.

اذن : فالحق معرفة والعدل تحقق تلك المعرفة في واقع الوجود والموجودات.

ولذا فان وجودهما بديهيا لأننا نتنفسهما ، مستطيلان فينا ومهيمنان علينا وهما معاني وجودنا وحياتنا وعقلنا فالإحساس بهما صعب، من الذات الا ان تتمكن من الخروج من الذات لتكون كمراقب امبير- كما يسمونه في الفيزياء-.

٤- الإمامة : وجود يستطيل على وجودنا لا يفلت منه وجود مفرد إلا وله من نفسه امام ، ولا يفلت صنف ا نوع وجود إلا ولصنفه او نوعه امام ، ولا يفلت جوهر إلا ولجوهره امام. فالإمامة ؛ هي معنى الحسن في كل موجود ، ولولا ميزة الحسن هذه فلا معنى لذلك الوجود.

ففي النظام الاجتماعي الانساني وبشكل بديهي ؛ لا نجد عائلة إلا ولها رب ، ولا اسرة إلا ولها عميد ، ولا قبيلة إلا ولها شيخ ، ولا شعب إلا وله زعيم ، ولا جيش إلا وله قائد ولا مؤسسة إلا ولها مدير ولا ملة إلا ولها إمام.... هذا نظام كوني مهيمن بديهي لكل البشر ، لم يختلف به الناس لا في زمان و لا في مكان .. ترى لماذا؟

وعلى مستوى جواهر الوجود : فلا معنى للإنسانية بلا عقل ، فالعقل امام الانسان ، ولا معنى لخلق الناس بلا عقول.

٥- الموت؛ حد موجود في نهاية اجال الموجودات لا يفلت منه موجود ، وهو موجود ومستطيل ومهيمن على الكائنات ، ومع انه حقيقة تتكرر كثيرا جدا وتتأكد في كل الموجودات إلا ان الاحساس به صعب ، وأكثر مصائب الغالبية العظمى من العباد من عدم ادراكهم لهذه الحقيقة ومعانيها.

٦- البلاء ، موجود فعلي بديهي مستطيل ومهيمن لا يفارق الموجودات على الاطلاق وكل موجود ، هو مبتلي ومبتلى به في كل ان لان البلاء هو تحصيل حاصل الوجود وتعبير عن تعارض حركة انماط الوجود والموجودات ، ولأنه مستطيل وحاكم وبديهي لا يستشعره اغلب الناس في معناه الحقيقي ولا يفيدون من معرفة حاكميته عليهم.

٧- الوحدانية؛ وهي مربوبية الموجودات لموجد واحد جل وعلا وانبثاقها منه وسعيها اليه. وبسبب هيمنة الواحد الاحد الكلية ولاستطالة هذا الوضع وبداهته لا يستشعره اغلب الناس ولا يفيدون منه

٨- حاكمية الزمكان، او السريان، حال وجود التغير في الحيز المستمر ، فالزمن مطية اجبارية نركبها لتاخذنا الى حيث اللقاء الحتمي مع الخالق جل وعلا ولا سلطان لنا في الخروج منه ، فالحركة جوهر الوجود وبديهيته ولذا فان الناس لا يستشعرون هذا الحال الجوهري الوجودي ولا يفيدون منه.

نتيجة بعد هذه المقدمة المختصرة:

فالإمامة ؛ هي وجود مستطيل ومهيمن في وجود الكائنات جميعا ، فهي بديهية لا يستشعرها اغلب الناس. وكذا لا يفيد منها اغلب الناس ، ولان هذه البديهيات هي قوائم عرش الله الثمانية لذا يؤكد الله تعالى في كتابه العزيز ان لله الحجة البالغة يوم

القيامة من حيث انها بديهية وليس لدى العاصين وقد اصبح بصرهم حديد عذر ، وهم مدعون باسم امامهم التبيع للشيطان يقدمهم الى جهنم .

وهم في صدر الاسلام ابناء فتيات قريش الذين نازعوا الامامة البديهية صاحبها الحق ونجحوا في انتزاعها بالرغم من بداهة السنة ومعانيها عند القوم ، والى الان بقي شرك الشيطان يضللون الناس وينازعونهم القيادة الى النار وبس الورد المورود.

٥- التعريف العلمي للعصمة:

العصمة ؛ هي النمط السادس من الخلق حيث موضع الكمال فهي غاية الكون.

فمن اصل الخلقة التي يحكيها الحق عن الخلق والكون الكائنات ؛ يقول الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ} ﴿٨﴾.

نقول ؛ يقينا ان الايام الستة ليست هي الـ(١٤٤) ساعة التي احتاجها الله تعالى لخلق الخلق ، وهذا اليقين مبني على حقائق لا تقبل الجدل هي:

ان الله تعالى غني مطلق لا يحتاج الى اي شيء بما في ذلك الزمن لخلق الأشياء ، فكيف يحتاج الى مدة ستة ايام من الزمان للخلق ؟! هذا اولا.

ثم ان الزمن من ناحية فيزيائية طبعية لا يمكن ان يكون قبل الخلق فالخلق هو حركة الحيز في الزمكان ، بمعنى ان هناك تلازم ذاتي بين المكان والزمان ، ولا يمكن ان يوجد احدهما بدون الاخر على الاطلاق بل لا يمكن تصور احدهما بدون الاخر. وقد ولدا سوية فلم يكن الزمان يسبق المكان حتى يكن له قياسا في الخلق.

اذن فالأيام الستة المقصود بها المظروفات الزمكانية الستة للمخلوقات التي تقع في ستة انماط معروفة للكائنات.

ولقد جاء في كل الكتب السماوية ؛ ان الله تعالى خلق الخلق في ستة أيام، واليوم عندنا قبل خلق الأرض هو؛ ظرف زمكاني، أي ان اليوم ؛ هو تعبير عن متلازمة زمانية مكانية لا ينفصلان ، والمظروف هو وقوع اقسام الخلق في ستة انماط من هذا المظروف الزمكاني(اليوم).

٦ - النمط السادس وهو العصمة :

هو خيار الله تعالى واصطفائه لسلالات من البشر هم الصفوة ليرفدهم بوحيه. والوحي؛ روح من امر الله تعالى يرتفع بها القصور عن عقولهم ليكونوا تمام امر الله تعالى في خلقه فهم نماذج لكمال خلق الله تعالى وليكونوا قدوة حسنة لبني البشر وهم بذلك حجة لمن اراد ان يتذكر او اراد شكورا.

قال الله تعالى : (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ[٩]

وهذا النمط واقع كوني يتجسد في حقيقة ارسال الرسل التاريخية والتي لا يسع لمنكر ان ينكره، والتي لم تخلو الارض منهم في زمانها ومكانها فهم تترا، عرفتهم البشرية من خلال اكثر من (١٢٤) الف نبي ورسول صلوات الله عليهم ، والى الامام المعصوم الغائب المهدي المنتظر وهو امام هذا الزمان عجل الله فرجه الشريف وجعلنا من انصاره واعوانه الذي تنظره البشرية بكافة اديانها وطوائفها.

وواقع اخر عرفته ايضا البشرية عنهم عليهم السلام وهو؛ ان كل شيء جميل وحسن وقيمة وفضيلة وخلق كريم في حياة الناس وعلى مر العصور انما اصلها من تراث اولئك الكاملون المختارون صلوات الله عليهم . ولا زالت الناس تتلوا من تراثهم قصص يستحلونها لأنها علياء سماء شامخة في دنيا الرذيلة وسوء الخلق والقيم الهابطة.

اذن؛ فليس كما يتصور المعتوهون ؛ ان العصمة عقيدة من نسج خيال الشيعة ويتمادون اكثر ليصفوا الانبياء عليهم السلام بأنهم غير معصومين بل ان بعض الصفقاء ينفي العصمة حتى عن خاتم النبيين وسيدهم صلى الله عليه واله .

الفصل الثاني:

كيف نعرف ان الامام عليا مصداق للإمامة الحق والعصمة.

١- العصمة ؛ هي ما يتحقق للنفس عند كمال فطرتها ، والكمال صفة الله المطلقة ، ومن ثم فان الكمال لمخلوقه هي منحته جل وعلا وحسب لمن يصطفي ويختار من عباده.

والمعصوم ؛ هو غاية كمال الخلق الانساني . وباعتبار الانسان يتميز اصلا بكمال الخلقة على الكائنات بميزة العقل ، فالمعصوم وهو انسان يعني كمال العقل في النفس المعصومة . ومعنى كمال العقل هو ارتفاع القصورات كلها ليصير الانسان يأنف من القبح بكل اشكاله لأنه من فعل العجز والقصور والعتمة اللاتي تتناقض جميعها مع معاني الكمال ، فعند الكمال يتحقق الجمال ولا وجود للقبح في مواضع الكمال. ويمكن ان نجد ذلك في الامام علي عليه السلام حيت اتيح له الحكم والنفاذ واضحا بيّنا في اتجاهين:

الاتجاه الاول

١- الفاروقية الميدانية(القول والفعل) عند الامام علي عليه السلام:

لاشك ان تصرفات الانسان تنم دوما عن مكنونه الثقافي وجوهره العقلي واعتقاده وليس من فراغ او صدفة ، ان يتميز العباقرة عن الحمقى والعظماء عن سائر الناس ، ولذا فان تميز الامام علي عليه السلام بالكمال بما لم يتميز به احد من الناس جعله في مقام الكمال التام ؛ فهو كنفس رسول الله صلى الله عليه واله بنص الكتاب العزيز ، حيث قال تعالى: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)[١٠] .

وهو ايضا كنفس رسول الله صلى الله عليه اله بنص السنة الشريفة وفي مواضع كثيرة جدا يسميه الرسول صلى الله عليه واله كنفسه كحديث خاصف النعل المتواتر ، وسيرد توثيق ذلك في موضعه من البحث انشاء الله تعالى.

المعنى اللغوي للفظ فاروق: جاء في معاجم اللغة معنى الفاروق:

أ- في مجمع البحرين: (في حديث علي (ع) أنا الفاروق الأعظم. الفاروق ؛ اسم سمي به علي عليه السلام. و ربما انتحله غيره. و لعل المراد به الذي يفرق بين الحق و الباطل ، و الحلال و الحرام)[١١]. وجاء في نفس المصدر تحت باب ما اوله الحاء: (حجز) في حديث رسول الله (ص) خذوا بحجزة هذا الأنزع يعني عليا (ع) فإنه الصديق الأكبر و الفاروق يفرق بين الحق و الباطل[١٢].

ب_ وفي الامالي الشجرية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(لعلي): " أنت الصديق الأكبر ، وأنت الفاروق تفرق بين الحق والباطل ، وأنت يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظالمين)[١٣] .

٢- الامام علي عليه السلام ؛ فاروق في شخصه:

عن أبي ذر و سلمان (رضي الله عنهما)، قالا أخذ رسول الله صلى الله عليه و آله بيد علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : (هذا أول من آمن بي ، و هو أول من يصافحني يوم القيامة ، و هو الصديق الأكبر ، و فاروق[١٤] هذه الأمة ، و يعسوب المؤمنين).

وقول الذي لا ينطق عن الهوى ليس للوصف والمدح لما يدل على ان عليا فاروق الامة ، في وقائع ميدانية بحيث لا يمكن بدونه التمييز والعلم.

وأحاديث اخرى نقلها الخاص والعام تثبت هذه الفاروقية الميدانية للإمام عليه السلام: فهو عليه السلام : فاروق تعرف به الامة المؤمن من المنافق. وهذا مثبت في قول الرسول صلى الله عليه واله :(لا يحبك الا مؤمن لا يبغضك الا منافق)[١٥].

وجاء في تفسير الآلوسي: في تفسير هذه الاية: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا[١٦]

(ابن مردويه . والديلمي عن البراء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله تعالى وجهه : قل اللهم اجعل لي عندك عهداً واجعل لي في صدور المؤمنين وداً فأنزل الله سبحانه هذه الآية ، وكان محمد بن الحنفية رضي الله تعالى عنه يقول : لا تجد مؤمناً إلا وهو يحب علياً كرم الله تعالى وجهه وأهل بيته .

وروى الإمامية خبر نزولها في علي كرم الله تعالى وجهه عن ابن عباس. والباقر. وأيدوا ذلك بما صح عندهم أنه كرم الله تعالى وجهه قال : لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني ولو صببت الدنيا بجملتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني ما أحبني وذلك أنه قضى فانقضي على لسان النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق » والمراد المحبة الشرعية التي لا غلو فيه ، وزعم بعض النصارى حبه كرم الله تعالى وجهه) [١٧]. وجاء في كتاب فضائل الصحابة

لأحمد بن حنبل: عن أم سلمة تقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي : (لا يبغضك مؤمن ، ولا يحبك منافق)[١٨].

ولابد من الملاحظة: فالحديث هنا محوّر عن الاصل الذي يقتضي الحصر: لا يبغضك الا منافق ولا يحبك الا مؤمن، لكون عليا عليه السلام فاروقا بين المنافقين والمؤمنين في الامة.

٣- علي عليه السلام فاروق في الدين:

لن نسرد هنا مئات الاحاديث النبوية الصحية الدالة على فاروقيته في هذا المجال ولا نحتاج الى كثير من العنت والمطالعة والتحقيق لنعرف ان عليا عليه السلام سمي بالفاروق لأنه كان ترجمانا للقران بالقول والفعل ، فكان فارقا بين : الظلم والعدل ، والنور والظلمة ، والصدق من الكذب ، والصح من الخطأ ، والضلال من الهدى ، والحق من الباطل... وبهذا كان عليه السلام بهذه الفاروقية سببا في بقاء الملة الصادقة الصالحة التابعة الحق لسيد المرسلين صلى الله عليه واله الى الان. ولكننا نتساءل : لولا وجود علي عليه السلام ؛ هل نجد غير الامويين والعباسيين والعثمانيين بالأمس يمثلون الاسلام ، وليس له اليوم الا داعش وأخواتها يمثلونه؟؟؟؟!!

الجواب واضح لكل ذي لب الا من اعمى قلبه الحقد على اهل بيت الطهر من مجرمي التاريخ والحاليين ؛ ابناء فتيات قريش من ذوات الرايات الحمر سمية والزرقاء والنابغة وهند وميسون وحمامة ومرجانه ... وإتباعهم

فمن باب الصدق الميداني اتت فاروقية الامام علي عليه السلام ولم ينتحلها انتحالا ، حاشاه - ليخفي وراءها عدم اهليته لمنصب رفيع سرقه من اهله الصادقين ؟ انها سنة تكوينية اهلته وجعلته فاروقا .

ويجيب الامام عليه السلام عن هذه الاسئلة في قوله للحارث وللملبوس عليهم مثله الذين يتصورون ان الحق يعرف بالناس اذا انتحلوا القاب الصفات الحسنة:

يقول الامام علي عليه السلام : (يا حارث! إنّه ملبوس عليك ، وإنّ الحقّ والباطل لا يعرفان بالناس، ولكن اعرف الحقّ تعرفْ أهله ، واعرف الباطل تعرفْ من أتاه)[١٩].

والحق هو سنة كونية نافذة ، وكتاب منزل ينطق بالحق ، ونبي مرسل يوحى اليه ، وحي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فالكتاب يقول : (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)[٢٠] .

والرسول صلى الله عليه واله يقول لعلي عليه السلام انت الهاد) [٢١]، والامام علي عليه السلام يقول في تفسيرها : (رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) المنذر، وأنا الهادي)[٢٢].

والحق علم يقين نتعلمه من ذي علم في معنى العصمة والإمامة، اذ هما لعلي عليه السلام صفة ذاتية من اصل سنة ربانية ونمط خلقه الله تعالى بإرادته ، وسواه وقضاه وطهره تطهيرا (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا [٢٣]، واصطفاه في سلالة منها علي عليه السلام: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[٢٤].

اذن ؛ هذه جواهر فاروقيته عليه السلام التي حفظت للإسلام الحق بقاءه وللثلة الصالحة الحصانة والحفظ.

وسنبين بالتفصيل هذه المعاني التكوينية لعلي عليه السلام في اطروحات السماء وآيات الافاق والانفس في لاحق البحث انشاء الله.

٤علي عليه السلام فاروق في المجتمع:

يقول الرعيل الاول من الصحابة من البدريين والخيبريين ؛ اننا كنا نعرف المؤمن من المنافق بفاورقية الامام علي عليه السلام : فمن يبغض الامام علي عليه السلام فهو منافق ، ومن يحبه فهو مؤمن. ولازال هذا المعيار صحيحا الى اليوم كما نرى . . لماذا؟: لان فاروقيته عليه السلام تجري مجرى السنة الالهية الكونية التي لا تتغير ولا تتبدل .. قال الله تعالى : (سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا [٢٥].

وقال: قال رسول الله صلى الله عليه ﴿وآله﴾ وسلم: من أحب عليا فقد أحبني ومن أبغض عليا فقد أبغضني، ومن آذى عليا فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله [٢٦].

وقال [٢٧]: روى عمار الدهني، عن الزبير ، عن جابر، قال: ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغض علي بن أبي طالب [٢٨].

اذن فهو عليه السلام فاروق جعله الله تعالى من اصل سننه الكونية ليميز بين المؤمنين والمنافقين في المجتمع.

٥- الامام علي عليه السلام فاروق في السياسة:

وضع امير المؤمنين معنى للسياسة في متلازمها الذاتي الالهي الكونيي ؛ وهو العدل. فليست سياسة ما لم يكن ملاكها وتعريفها ولازمها العدل ، في حين عرف الناس السياسة بإعمالهم وأفعالهم فيها على مر العصور انها ؛ كيد ومغالبة وظهور على حكم الناس والتسلط على رقابهم . فالسياسة في تاريخ البشر شر لابد منه.

وقد جعل الله تعالى ذلك كحجة بينة وبرهان واضح في وجود معاوية الطليق ، ووجود الامام علي عليه السلام في نفس الوقت يتنافسان السياسة للفوز اما بالسلطة كما عند معاوية او لإقامة العدل كما عند الامام علي.

وهنا يجدر ملاحظة الفارق : فالسلطة والإمرة عنده عليه السلام لا تساوي شسع نعله العتيق البالي ، إلا ان يقيم حقا او يدحض باطلا[٢٩].

بينما السياسة عند معاوية هي ليٍّ الرقاب والتحكم بالناس :

خطب معاوية في الناس ساعة بعد الصلح مع الحسن عليه السلام : (يا أهل الكوفه أترونني قاتلتكم على الصّلوة والزّكوة و الحجّ و قد علمت أنّكم تصلّون و تزكون و تحجّون ؟ و لكنّني قاتلتكم لأتأمّر عليكم و أليَّ رقابكم و قد آتانى اللّه ذلك و أنتم كارهون ألا إنّ كلّ دم أصيب فى هذه الفتنة مطلول ، و كلّ شرط شرطته فتحت قدمىّ ...)[٣٠].

ثم اكد معاوية هذا القول بالفعل ، حيث جعل سب علي عليه السلام سيد العترة المطهرة سنة لا تتم صلوتهم الا بها ، وجسد المغالبة بما قتل وسلب ونهب وهجّر وبما جوّع وبما استأثر من اموال المسلمين ايام حكمه وأيام حكم ابنه يزيد ؛ حيث قتل سيد شباب اهل الجنة وسبى بنات رسول الله صلى الله عليه واله، واباح مدينة رسول وهدم الكعبة بالمنجنيق ، ولم يترك حرمة للإسلام الا وانتهكها !!!!!

فاروقية الامام بانت حجيتها في الواقع السياسي من خلال اعمال علي عليه السلام في توليه لزمام الامور مقابل اعمال معاوية عند تسلطه على رقاب المسلمين، ومن خلال ما يلي:

٦- الامام علي عليه السلام فاروق في الحكم؛

لم يعرف التاريخ رئيس دولة بمواصفات الامام علي عليه السلام ؛ يقول عباس محمود العقاد ؛ كان الامام علي(عليه السلام) في الكوفة ؛ يعلم اصحابه ويثقفهم فمردوا عليه وجادلوه ، بينما حرص معاوية في الشام على ان يبقيهم عميانا ليتحكم فيهم.

كان يرى في المنصب او الحاكمية طوق مسؤلية وتكليف يربطه بلذائذ الدنيا فيحذره ويحذّر منه فيكون بذلك فاروق للذين يمتازون بالمنصب لانهم فارغون لايجدون قيمة لانفسهم الا من خلال المنصب..لاحظ فاروقيته عليه السلام في تصريحاته التالية:

-يصف الدنيا ولذائذها: (كسفر على منهل حلوا إذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا، ولا لذاذتها في عيني إلا كحميم أشربه غساقا، وعلقم أتجرعه زعاقا، وسم أفعى أسقاه دهاقا، وقلادة من نار أوهقها خناقا[٣١].

-ثم تصور وهو رئيس دولة يصف مدرعته: (ولقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها، وقال لي: اقذف بها قذف الآتن، لا يرتضيها ليرقعها، فقلت له: اغرب عني. فعند الصباح يحمد القوم السرى، وتنجلي عنا علالات (غلالات) الكرى [٣٢].

وفي تثقيفه لمعاني الدنيا التي هي راس كل خطيئة يقول (عليه السلام):(والله لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم [٣٣].

- عنه (عليه السلام): دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز [٣٤].

- عنه (عليه السلام): إن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعلي ولنعيم يفنى [٣٥].

- عنه (عليه السلام): لدنياكم أهون عندي من ورقة ﴿في﴾ في جرادة تقضمها، وأقذر عندي من عراقة خنزير يقذف بها أجذمها، وأمر على فؤادي من حنظلة يلوكها ذو سقم فيبشمها... ما لعلي ونعيم يفنى، ولذة تنحتها المعاصي ؟ ! سألقى وشيعتي ربنا بعيون ساهرة وبطون خماس " ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين " [٣٦].

ترى اي سياسي ممن عرفنا او درسنا في طول التاريخ وعرضه او ممن راينا اليوم ينتمي لهذه المدرسة الفاروقية في السياسة؟!

انها مدرسة الامام علي عليه السلام الفارقة بين الحق والضلال وليس لأحد غيره . انها احدى النجدين في السبيل الى الله جل وعلا، وما بعده الا الضلال: (فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٣٢) كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (يونس- ٣٣)).

٧- الامام علي عليه السلام فاروق في الاخرة:

روي في فاروقية الامام علي عليه السلام وبإسناد صحيح إلى جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال :(لقد سمعتَ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول : « إن في علي خصالاً لو كانت واحدة منها في جميع الناس لاكتفوا بها فضلاً التي في الاحاديث المتواترة التالية ((١- قوله (صلّى الله عليه وآله) : من كنت مولاه فعلي مولاه . ٢- وقوله (صلّى اللهّ عليه وآله) : علي مني كهارون من موسى .

٣- وقوله (صلّى الله عليه وآله) : علي مني وأنا منه .

٤- وقوله (صلّى الله عليه وآله) : علي مني كنفسي ، طاعته طاعتي ، ومعصيته معصيتي.

٥- وقوله (صلّى الله عليه وآله) : حرب علي حرب الله ، وسلم علي سلم الله.

٦- وقوله (صلّى الله عليه وآله) : ولي علي ولي الله ، وعدو علي عدو الله .

٧- وقوله (صلّى الله عليه وآله) : علي حجة الله ، وخليفته على عباده .

٨- وقوله (صلّى الله عليه وآله) : حب علي إيمان ، وبغضه كفر .

٩- وقوله (صلّى الله عليه وآله) : حزب علي حزب الله ، وحزب أعدائه حزب الشيطان.

١٠- وقوله (صلّى اللهّ عليه واله) : علي مع الحق ، والحق معه ، لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض .

١١- وقوله (صلّى اللهّ عليه وآله) : علي قسيم الجنة والنار .

١٢- وقوله (صلّى اللهّ عليه وآله) : من فارق علياً فقد فارقني ، ومن فارقني فقد فارق اللهّ عزَّ وجلّ .

١٣- وقوله (صلّى الله عليه وآله) : شيعة علي هم الفائزون يوم القيامة)) [٣٧]. وهذه الاحاديث هي ايضا من رويات اهل السنة ومن كتبهم الصحاح.

اما الامامية فيروون اكثر من هذا في فاروقية الامام علي عليه السلام لأنهم لم يتقيدوا بموانع تدوين السنة التي فرضت منذ الصدر الاول للإسلام ، ولم يلتزموا بجوارح الحديث وتعديله التي جرحت في الطاهرين ولم تجرح النواصب و قتلة الحسين والذين جعلوا سب علي سنة على منابر الاسلام ، ولم تتأثر بقيوده التي فرضها معاوية والأمويين وحتى العباسيين فضلا عن كونها تتميز بانها من السلسلة الذهبية التي ليس لها نظير.

(يقول علي(عليه السلام) للنار يوم القيامة : هذا وليي فاتركيه ، وهذا عدوي فخذيه. ثم أخذ أمير المؤمنين عليه السلام بيد الحارث ، فقال : يا حارث أخذت بيدك كما أخذ رسول الله صلى الله وآله بيدي فقال لي - وقد شكوت إليه حسد قريش والمنافقين لي -: إنه إذا كان يوم القيامة أخذت بحب الله وبحجزته - يعني عصمة من ذي العرش تعالى - وأخذت أنت يا علي بحجزتي ، وأخذ ذريتك بحجزتك ، وأخذ شيعتكم بحجزتكم . فماذا يصنع الله بنبيه ، وما يصنع نبيه بوصيه ؟ !

خذها إليك يا حارث قصيرة من طويلة: أنت مع من أحببت، ولك ما اكتسبت. - يقولها ثلاثا -. فقام الحارث يجر رداءه وهو يقول: ما أبالي بعدها متى لقيت الموت أو لقيني)[٣٨].

٨- الامام علي عليه السلام فاروق في القضاء: لولا علي لهلك عمر[٣٩]:

يقول عمر بن الخطاب: علي أقضانا. وقد اشتهر قول عمر: لولا علي لهلك عمر[٤٠].

((روى عاصم بن سمرة أن غلاما ادعى امومة امرأة ، فأنكرته امه ، فأمر عمر بحده ، فصاح الى علي عليه السلام ، فطلب عليه السلام أن يزوجها منه ، فأقرت به ، فقال: لولا علي لهلك عمر.

وعن الأصبغ بن نباتة : اتي عمر بخمسة زنوا ، فأمر برجمهم ، فخطأهم علي عليه السلام ، فقتل واحدا ، ورجم ثانيا ، وحد ثالثا ، وحد الرابع منصفا ، وعزر خامسا ، فقال المردود : وكيف ذلك ؟ فقال : الأول ذمي زنا بمسلمة ، والثاني محصن بكر ، والثالث غير محصن بكر ، والرابع عبد ، والخامس مجنون ، فقال زفر : لا عشت في امة لست فيها يا أبا الحسن.

واتي برجل قال لامرأته يا زانية ، فقالت : أنت أزنى مني ، فأمر بجلدهما ، فقال علي عليه السلام : بل تجلد هي دونه حدين : احداهما لفريتها ، والأخر لإقرارها .

وادعى صبي مال أبيه ، فزجره عمر وطرده ، فصاح الى علي عليه السلام ، فاستخرج من قبر أبيه ضلعة فأشمه اياه، فانبعث الدم من أنفه، فقال لعمر: سلم إليه المال، ثم أشمه الحاضرين فلم ينبعث دم، فأعاده إليه فانبعث، فقال: انه أبوه والله ما كذبت ولا كذبت))[٤١].

ومنها: ما ذكره الحميدي في كتاب الجمع بين الصحيحين في فصل منفرد في أواخر الكتاب المذكور ، قال : ان عمر أمر برجم امرأة ولدت لستة أشهر، فذكره علي عليه السلام قول الله تعالى (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) [٤٢] مع قوله تعالى (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) [٤٣] فرجع عمر عن الأمر برجمها [٤٤].

وذكر أحمد بن حنبل في مسنده عن سعيد بن المسيب ، قال: كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن يعني عليا [٤٥].

فقد اتي بامرأة حبلى شهدوا عليها بالفاحشة فأمر برجمها ، فقال له علي عليه السلام: إن كان لك السبيل عليها فما سبيلك على ما في بطنها، فقال: لولا علي لهلك عمر.

واتي بمجنونة وقد زنت فأمر برجمها، فقال له علي عليه السلام: أما علمت أن القلم قد رفع عنها حتى تصح، فقال: لولا علي لهلك عمر[٤٦].

٩-- الامام علي عليه السلام فاروق في الشجاعة: كان من الشجاعة على أمر لم يسبقه الاولون ولم يدركه الآخرون في النجدة والبأس ومباركة الاخماس.

علي عليه السلام شجاع لم ير مثله ، لم يول دبرا قط ، وكان درعه صدر بلا ظهر ، علي عليه السلام لم يبرز إليه أحد قط إلا قتله ، ولم يكع عن أحد قط دعاه إلى مبارزته

، ولم يضرب أحدا قط في الطول إلا قده، ولم يضربه في العرض إلا قطعه بنصفين، وذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وآله حمله على فرس، فقال: بأبي أنت وامي مالي وللخيل أنا لا أتبع أحدا ولا أفر من أحد وإذا ارتديت سيفي لم أضعه إلا للذي أرتدي له..

١٠- الامام علي عليه السلام فاروق في العلم: قد بلغ علي عليه السلام في العلم بالعقيدة والشريعة مقاماً كان يربو بعلمه على جميع الصحابة وكانوا يرجعون إليه في القضايا والمشكلات دون غيره وانّ أوّل من صرح له بالاَعلمية نبي الاِسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله لفاطمة «عليها السلام »: أما ترضين انّي زوّجتك أوّل المسلمين إسلاماً ، وأعلمهم علماً. (٤٧)

وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لها: زوجتك خير أُمّتي، أعلمهم علماً، وأفضلهم حلماً، وأوّلهم سلماً. (٤٨)

وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لها: إنّه لاَوّل أصحابي إسلاماً، وأقدم أُمّتي سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً. (٤٩)

وقد اعترف ثلة من الصحابة والصحابيات بفضيلته وهذه عائشة تقول: عليّ أعلم الناس بالسنة. (٥٠)

١١- الامام علي عليه السلام فاروق في الايمان : لولا علي لم يعرف حزبي ولا أولياء رسلي (٥١).

(فقال له النبي عند ذلك لولا أنت يا علي لم يعرف المؤمنون بعدي)(٥٢).

وقال صلى الله عليه واله وسلم لعلي : لولاك ما عرف المنافقون من المؤمنين)(٥٣).

فلو لا علي لم يعرف المؤمنون : فعن رسول الله صلى الله عليه واله: (يا أباذرّ ، لولا عليّ مابان الحقّ من الباطل ولا مؤمن من الكافر ، ولا عبد الله)(٥٤) .

استجابة الامام علي عليه السلام لاستشارات عمر في المعضلات ، كانت لازمة لاثبات حجيته عليه السلام كوصي حقيقي لرسول الانسانية الخاتم، فتلك الحجية هي؛ علة في الوجود باعتباره الامام المكلف من قبل الله تعالى على الناس سواء كان في السلطة او خارجها:

جاء في تاريخ الإسلام عن عمر: أعوذ باللَّه من معضلة ليس لها أبوحسن![٥٥].
وفي المستدرك على الصحيحين عن عمر: أعوذ باللَّه أن أعيش في قوم لستَ فيهم يا أباحسن [٥٦].
وفي فضائل الصحابة : عن سعيد بن المسيّب: كان عمر يتعوّذ باللَّه من معضلة ليس لها أبوحسن [٥٧].
وفي الكافي عن عمر: لولا عليّ لهَلَك عمر![٥٨]
١٢- الامام علي عليه السلام فاروق في استشاريته:
كان الإمام عليّ(عليه السلام) يقّدم آراءه الاستشاريّة في الميادين العلميّة أو في المشاكل السياسيّة لحفظ بيضة الدين وبما يعود بالفائدة على المجتمع الإسلامي واجياله القادمة ، في حين انه عليه السلام يمتنع في الامور الشخصية عن ابداء رأيه ؛ يقول ابن عبّاس : خرجت مع عمر إلى الشام في إحدى خرجاته ، فانفرد يوماً يسير على بعيره فاتّبعته ، فقال لي : يابن عبّاس ، أشكو إليك ابن عمّك! سألته أن يخرج معي فلم يفعل [٥٩].
في المستدرك على الصحيحين عن سعيد بن المسيّب : جمع عمر الناس فسألهم : من أيّ يوم يكتب التأريخ ؟ فقال علي ّبن أبي طالب: من يوم هاجر رسول اللَّه(صلى اللّه عليه وآله وسلم) وترك أرض الشرك. ففعله عمر[٦٠].
وفي تاريخ اليعقوبي : أرّخ عمر الكتب، وأراد أن يكتب التأريخ منذ مولد رسول اللَّه ، ثمّ قال : من المبعث. فأشار عليه عليّ بن أبي طالب أن يكتبه من الهجرة ، فكتبه من الهجرة[٦١].
١٣- الفاروقية تعني العصمة و الامامة الحق:
هذه الفاروقية لم تكن لغيره عليه السلام ابدا لأنها كان تحصيل حاصل لتجسيد سنة الامامة الكونية ، ومعنى بيّن لكمال التكوين الذي يبرز العصمة وكلاهما دليل على اختيار الله تعالى واصطفائه لعلي عليه السلام.
وهو عليه السلام يظهر علما يجهله الذين نصبوا انفسهم ائمة على الناس دون اهليه كلما سنحت الفرصة لكي لا يجهل التشريع.

قال عمر بن الخطاب يوما ان الحجر الاسود لا يضر ولا ينفع . فقال له الامام عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه واله : يؤتى يوم القيامة بالحجر الأسود ، وله لسان ذَلْق ، يشهد لمن يستلمه بالتوحيد ، فهو يا (أميرالمؤمنين)! يضرّ وينفع.
فقال عمر : أعوذ باللَّه أن أعيش في قومٍ لست فيهم يا أبا الحسن [٦٢].
وفي المناقب للخوارزمي عن يحيى بن عقيل: كان عمر بن الخطّاب يقول لعليّ بن أبي طالب(عليه السلام) فيما كان يسأله عنه فيفرّج عنه : لا أبقاني اللَّه بعدك يا عليّ [٦٣].
وفي شرح نهج البلاغة : إنّ عليّاً(عليه السلام) جلس إلى عمر في المسجد ، وعنده ناس ، فلمّا قام عرّض واحدٌ بذِكره ، ونسبه إلى التِّيْه والعُجب. فقال عمر: حقّ لمثله أن يتيه! واللَّه لولا سيفه لما قام عمود الإسلام ، وهو بعدُ أقضى الاُمّة ، وذو سابقتها ، وذو شرفها[٦٤].
وفي الصراط المستقيم عن شهر بن حوشب: إنّ عمر لّما بدأ بالحسنين (عليهما السلام) في العطاء ، قال له ابنه : قدّمتهما عليَّ ، ولي صحبة وهجرة دونهما؟
فقال: اُسكت لا اُمّ لك، أبوهما- واللَّه - خير من أبيك ، واُمّهما خير من اُمّك [٦٥].
وفي بشارة المصطفى عن عمر بن الخطّاب : اعلموا أنّه لا يتمّ لأحد شرف إلّا بولاية عليّ بن أبي طالب وحبّه [٦٦].
وفي تاريخ بغداد عن عمر بن الخطّاب- لّما رأى رجلاً يسبّ عليّاً(عليه السلام) -: إنّي أظنّك منافقاً ؛ سمعت رسول اللَّه(صلى اللّه عليه وآله وسلم) يقول: إنّما عليٌّ منّي بمنزلة هارون من موسى ، إلّا أنّه لا نبيّ بعدي [٦٧].
وفي فضائل الصحابة عن عروة بن الزبير : إنّ رجلاً وقع في عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) بمحضرٍ من عمر، فقال له عمر: تعرف صاحب هذا القبر؟ هو محمّد ابن عبداللَّه بن عبد المطّلب(صلى اللّه عليه وآله وسلم) ، وعليٌّ ابن أبي طالب بن عبد المطّلب ، فلا تذكر عليّاً إلّا بخير ؛ فإنّك إن أبغضته آذيت هذا في قبره [٦٨].
وفي المستدرك على الصحيحين عن أبي هريرة: قال عمر بن الخطّاب: لقد اُعطي عليّ بن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحبّ إليّ من أن اُعطى حُمْر النَّعَم.

قيل: وما هنّ يا أمير المؤمنين؟
قال: تَزوّجه فاطمة بنت رسول اللَّه(صلى اللّه عليه وآله وسلم) ، وسُكناه المسجد مع رسول اللَّه(صلى اللّه عليه وآله وسلم) يحلّ له فيه ما يحلّ له، والراية يوم خيبر(٦٩).
وعن رسول الله صلى الله عليه واله: (يا أبا ذر لولا علي ما بان الحق من الباطل ، ولا مؤمن من الكافر، ولا عبد الله..الحديث)(٧٠)
وقال الشّافعي : لولا عليّ عليه السّلام لما علم شي ء من أحكام أهل البغى و هو كما قال (فامضوا لما تؤمرون به و قفوا عند ما تنهون عنه و لا تعجلوا في أمر)(٧١).
الاتجاه الثاني: في معاني فاروقية الامام علي عليه السلام الميدانية
فاروقية الامام علي عليه السلام في حاجة الناس اليه وعدم حاجته الى الناس:
١- حاجة الساسة الى مشورته:
مضت معنا مقولة المتخلفين بعد رسول الله صلى الله عليه واله : (لولا علي لهلك عمر او عثمان)، وغيرها كثير جدا من المواقف التي لا يشك احد في ضرورة الحاجة الى الامام ليس فقط في انقاذ الموقف او انقاذ صاحب الموقف بل لبيان سنة كادت ان تطمس او علم نافع كاد ان يجهل او شريعة مقدسة كادت ان تدرس او حق كاد ان يهضم او منع باطل كاد ان يسود....
وفي رسالته الى عامله على مصر الاشتر النخعي مجال بحث نافع جدا و واسع للساسة ان شاءوا ان يكونوا من حزب الله تعالى للنجاة من النار.
٢- حاجة المحاربين الى صولته وخططه العسكرية: في كثير من رسائله الى عماله وولاته على الامصار تجد ميزة الحكمة وتدبير الحكيم ينساب مع وصاياه عليه السلام اليهم، وله ميزات غايتها الرحمة ونشر العدل ونبذ الظلم ونفي الشرك بكل اشكاله والصبر في الخطوب وهبة الجماجم لله تعالى، وعدم البدء بقتال، وعدم الاجهاز على الجريح ومعاملة الاسرى بالاحسان، وعدم تتبع الفار وعدم الاعتداء على النساء والرفق بالاطفال...ميزات كشف اعدؤه عن مقدار كمالها الانساني بما ارتكبوه من شنائع وفضائع يندى لها الجبين البشري.

٣- حاجة العلماء الى علمه وتوجيهاته عليه السلام : لا تخلو خطبة من خطبه من علم جم نافع ، يحتاج اليه البشر في كل اصناف العلوم ، فقد وجه الاكفاء من اصحابه الى علوم الطبيعة والطب وقد الفت الكتب الخاصة بطب الامام عليه السلام وفي اللغة اشار الى ابي الاسود الدؤلي ان الكلام اسم وفعل وحرف ثم انح هذا النحو ..

٤- حاجة الحكماء الى حكمته ومواعظه:

يقول بن عباس وهو حبر الامة عندما جاء رجل وقطع خطبة الامام الشقشقية المشهورة في امهات العلوم والحكم : قلت له: يا أمير المؤمنين لو اطّردت مقالتك من حيث أفضيت ، فقال : هيهات يابن عبّاس تلك شقشقة هدرت ثمّ قرّت .

قال ابن عبّاس : فو اللّه ما أسفت على كلام قطّ كأسفي على هذا الكلام ألاّ يكون أمير المؤمنين عليه السّلام بلغ منه حيث أراد(٧٢) .

يعني ان حبر الامة كان يترقب كلام الامير عليه السلام ليستقي منه الحكمة ولذا اسف اسفا ليس له مثيل عند انقطاع الامام عليه السلام عن خطبته.

٥- حاجة الامة الى امامته وعدله:

من كتاب ابن طلحة روي أن سودة بنت عمارة الهمدانية دخلت على معاوية بعد موت علي، فجعل يؤنبها على تحريضها عليه أيام صفين، وآل أمره إلى أن قال: ما حاجتك ؟ قالت: إن الله مسائلك عن أمرنا وما، افترض عليك من حقنا ولا يزال يتقدم علينا من قبلك من يسمو بمكانك ويبطش بقوة، سلطانك، فيحصدنا حصيد السنبل ويدوسنا دوس الحرمل، يسومنا الخسف ويذيقنا الحتف، هذا بسر بن أرطاة قدم علينا فقتل رجالنا، وأخذ أموالنا، ولولا الطاعة لكان فينا عز و منعة، فإن عزلته عنا شكرناك وإلا كفرناك، فقال معاوية: إياي تهد دين بقومك يا سودة ؟ لقد هممت أن أحملك على قتب أشوس فأردك إليه فينفذ فيك حكمه فأطرقت سودة ساعة ثم قالت: صلى الاله على روح تضمنها ❖ قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغى به بدلا ، فصار بالحق والايمان مقرونا

فقال معاوية: من هذا يا سودة ؟ قالت: هو والله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والله لقد جئته في رجل كان قد ولاه صدقاتنا فجار علينا، فصادفته قائما يصلي، فلما رآني

انفتل من صلاته ثم أقبل علي برحمة ورفق ورأفة وتعطف، وقال: ألك حاجة ؟ قلت: نعم، فأخبرته الخبر، فبكى ثم قال: اللهم أنت الشاهد علي و عليهم، وأني لم آمرهم بظلم خلقك ، ثم أخرج قطعة جلد فكتب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين، فإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك، والسلام ". ثم دفع الرقعة إلي، فو الله ما ختمها بطين ولا خزنها، فجئت بالرقعة إلى صاحبه فانصرف عنا معزولا(٧٣).

٦- حاجة الشريعة الى رفده واستجابته:

العقيدة في ذاتها ، سماوية كانت او وضعية لا تنعقد في النفوس الا اذا توافرت النفس منها على استجابات لحاجاتها وإجابات على تساؤلاتها ، ولا يستطيع المشرع سواء كان مقدسا ، او كان بشرا من سائر الناس ان يقدم استجابات او اجابات للمعتقدين من خلال النصوص التشريعية فقط ، فكثير ما تفسر النصوص بغير ما شاء المشرع وكثير ما تؤطر النصوص وفقا لمصلحة المؤطر ، لأسباب كثيرة جدا .

ان الحالة الوحيدة فقط التي تضمن تطابق فعل الانسان في الاجابات او الاستجابات مع ارادة المشرع في النصوص هي ان يكون هناك نموذج للاقتداء والتأسي منصب من قبل الشارع المقدس فقط لا يحتمل منه تعارضه مع ارادة المشرع ، وهكذا هو الامام علي عليه السلام.

ولذا فعندما فقد الامام عليه السلام فقد الاسلام الكثير ، ثم من سوء طالعهم ان صار ان حثالات البشر يدعون تمثيله !!

ذلك ما سجله تاريخ الكوفة عاصمة للمعصوم ، ولان هذا السجل هو سجل السنن والطروحات الكونية لم يمح بالنسيان ولم يرم بالمطاعن كما محيت سجلات الذين سبقوه والذين جاءوا بعده ، لم يطعن به كما طعن بغيره ، بل وجد فيه النخبة العالمية الكمال والجمال والإنسانية والعبقرية الفذة ، وأكثر من تنبه لذلك هم النصرى {ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ}(٧٤). فالكبر هو الذي يعمي البصيرة.

الفصل الثالث:

حكومة الامام علي عليه السلام في الكوفة اسست لواقع ثقافي سياسي قائم لا يزول:

١-الاطروحة الكونية لتطابق العدل مع السياسة:

على طول تاريخ العالم ، وعلى امتداد المعارف الاكاديمية وفي مساحة كل جامعات العالم ، ومع وجود المفكرين المبدعين والعباقرة ، لم يطرح موضوع للبحث عن الحال يصير فيه العدل ملاكا للسياسة : متى؟ وكيف؟ واين؟ وانى يمكن ان نجد تطابقا للسياسة مع العدل ؟

هذه الاطروحة المهملة في التاريخ البشري ، هي التي التي يجب ان تنال اهتمام كل الاكاديميات في العالم ، لاندري لماذا اهملت بالرغم من هذا العنت الذي تعانيه البشرية من السياسة والسياسيين في كل التاريخ؟

فالدين الذي - كما هو مفترض - اصل العدل والاخلاق تم عزله مبكرا من ان يكون ساحة لأطروحة البحث عن العدل في السياسة .. لماذ؟

لان الاسلام انحرف وأطر في اول يوم لوفاة النبي الاكرم صلى الله عليه واله وسلم ، لما جرى في السقيفة وتحول فيه السياسي من اصطفاء واختيار رباني الى فلتة عبثية[٧٥]، بعدها صار يستطيع اي احد ان يكون الحاكم والامام بدل المصطفى المختار من قبل الله تعالى. فالاصطفاء والاختيار الذي ابتني به الدين انتهى في السقيفة ، ولينتهي دور الدين السياسي العادل ليؤطر في مجموعة احاديث موضوعة تتعارض بشكل صارخ مع كتاب الله .. منه على سبيل المثال : الحديث الموضوع : (تسمع وتطيع للامير وان ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع)[٧٦]. والله تعالى يقول: ({وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ} ﴿٧٧﴾

واما المسيحية فقبل عزلها؛ صارت العوبة بيد الكنيسة لتبيع صكوك الغفران ولينتهي دورها بالضربة القاضية .

اما اليهودية فقد كان ينظر اليها بريبة بسبب عنصرية نظرة اليهود للناس وتعاليهم.

وبقي في الميدان المعرفي لبلوغ العدل في السياسة فقط النظريات العلمانية الوضعية التي لا تغني ولا تسمن من جوع في ردع الحاكم او السياسي من حيازة موفورات الترف او في منع الاستلاب الذي تعاني منه الناس.

لذا برزت وبدون منازع الميكافيللية ملكة على كل السياسات الوضعية بدون منازع ، لأنها ذرائعية نهلت من الليبرالية والنظريات الغربية منذ ابيقور الى نيتشة الى هيجل في تفوق الرس الابيض ودعمتها اليوم نظريات فرنسيس فوكوياما في نهاية التاريخ والإنسان الأخير ونظريات صموئيل هنتنغتون في صدام الحصارات.

٢-متى يتطابق العدل مع السياسة ؟

ان الحال الوحيدة التي يتم بها تطابق العدل مع السياسة ، بل ويكون ملاك السياسة العدل فيها ؛ هي حال تولي المعصوم امور ادارة الدولة ، او يكون المتولي لنظام الملة في حال غياب المعصوم بشرط ضمان طاعة المعصوم.

تلك هي الحال الوحيد التي تتطابق فيها السياسة مع العدل وتكون فيها الدولة هي دولة الانسان وتتحقق فيها انسانية الدولة.

فان لم يكن هناك معصوما او لمن لا يؤمن بالعصمة كنمط كوني حتمي ، فليس عليه ان يجد حلا على الاطلاق لتطابق العدل مع السياسة ، وعليه ان يفكر بضرورة المعصوم على راس الدول لضمان العدل في السياسة.

فالعصمة ليست ترفا عقائديا او مسلمة اعتقادية طرحها الامامية مغالين بائمتهم، بالعصمة حقيقة كونية وحتم لبلوغ الخلق مرحلة الكمال. فاذا كان الانسان مرحلة كمال واضحة يتميز به الكائن العاقل عن الحيوانت بارتفاع القصور الذاتي والحيوي، فان في النبوة ارتفاع كل القصورات الذاتية والحيوية والعقلية، فالواقع ان كل ماعتد الانسانية من مضامين للكمال والجمال اصلها من الانبياء ولا احد يستطيع ان ينكر هذا، فقد كان الانبياء يستطيعن ان يصيبوا الحسن والكمال والحق دون محاولة او تجريب كما عند البشر.

ومن هذا المنطلق ولمن يريد ان يتأكد من هذا الطرح جاء بحثنا هذا لنعرض انموذجا تاريخيا لسياسة رجل معصوم مطهر من الرجس بإرادة الله تعالى({إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا } [٧٨]، هو الامام علي عليه السلام ، فقد ارتضاه الله وصيا لخاتم رسله معصوما يمنح ثقافة انسانية للدولة التي يقودها ، فهو مصداق دولة الانسان وهو يواجه الفتن والبلاء في ممارسته لبناء تلك الدولة.

٣-خصائص دولة المعصوم وميزات عصمة الدولة:

دولة العصمة ؛ هي التي توفر العدل لكل البشر بلا استثناء على اختلافهم ، وتعتبر الدولة بميزات معصومة اذا وفرت للراعي والرعية المنهج والوسائل لمحاربة الظلم من كل مصادره ومنع استغلال الانسان لأخيه الانسان. بمعنى ان دولة العصمة هي دولة تحارب الظلم والاستلاب ببغض الترف والمترفين من خلال طاعة المعصوم المختار من قبل الله تعالى لإقامة العدل والتمسك بمنهجه طبقا لقوله تعالى : ({لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ}[٧٩]).

٤-ماهية العدل وكيفية قيام الناس به :

العدل؛ هو بديهة قيمومة وقيام الكون ونظام التكوين للكائنات ، فنحن وكل الكائنات انما قائمون بالعدل ، فالعدل؛ النظام الفاعل في كوننا وكينونتنا ؛ نعيشه ونتنفسه فلا نستشعره لبداهته ، مثلما لا نستشعر وجود الضغط الجوي على اجسامنا بالأطنان ، وكما لا نستشعر وجود الجاذبية الكونية على اجسامنا وتكلفنا مئات النيوتنات في كل لحظة ، وما دام لا يخترق نظام الكون البديهي هذا فان العدل سار ، فإذا اخترق وحيثما يتم الاختراق يحصل الظلم ويجأر المظلوم ، وهكذا يجأر حتى الظالم اذا اخترق امانه البديهي بالعدل.

ويأت التعريف العلمي المعجز للعدل من القران الكريم من لدن العليم الخبير الحكيم الصانع ؛ فان تعريف العدل في القران اعتمد الضد البديهي للتعريف به ؛ وهكذا يعرف القران بالضد جميع البديهيات الكونية (أي السنن الكونية التي تحكم الوجود وتنفذ فيه وتهيمن عليه) ، فالسنن الكونية لا تعرّف الا بضدها حيث يتم الاختراق .

فالعدل؛ هو عدم الظلم (أي عدم اختراق بدهية الكون العدل القائم بها والساري بموجبها) . وقد عرف الله تعالى العدل بعدم الظلم. بقوله تعالى : (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)[٨٠].

وعليه فان الظلم ؛ معنى جامع لكل القبائح ولكل الخروقات للبديهيات الكونية ، لان تلك الخروقات تتجسد في الفعاليات المعاكسة للنسق الكوني القائم بالحق والساري بالعدل .

وقد بيّن الله تعالى في محكم التنزيل؛ ان الحق ؛ علم ومعرفة لثوابت الصدق في واقع الكون والتكوين، وان العدل هو الفعل القائم وفقا لمعرفة الحق ، او اعادة الحق الى نصابه اذا زل عنه.

فقال تعالى: {وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} ﴿٨١﴾، وقال تعالى: {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} ﴿٨٢﴾

فالحق – كما يقرر القران - معرفة وعلم لثوابت الصدق في واقع الكائنات ، واما العدل فهو العمل بتلك المعرفة أي اعادة الحق الى نصابه في الوجود ، ، عليه يتحقق: ان من لا يعرف الحق لا يمكن ان يكون عادلا. وقد اشار الى ذلك الامام علي عليه السلام فقال: (اعرف الحق تعرف اهله)(٨٣).

وهنا ومرة اخرى يتقرر ايضا ؛ ان دولة العدل هي الدولة التي يقوم على راسها المعصوم العارف بالحق العامل به ، وهذا ما قرره القران من قبل(لا ينال عهدي الظالمين)(٨٤).

ان قراءة فيزيائية لكتاب الكون المفتوح مترافقة مع فهم لآيات القران الكريم يتقرر ايضا : ان الكون كله قائم بالحق { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ} ﴿٨٥﴾.

وقال تعالى ايضا: {خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ} ﴿٨٦﴾.

وبسبب عدم توفر تفاصيل معرفة نواميس الكون وعدم استشعار سننه لبداهتها للجميع لأنها معرفة ضرورية ليقيموا العدل على اساسها ، لذا يكون الانسان كامل الخلق (المعصومون) هم من اختارهم الله تعالى لمهمة العدل ، فالمعصوم ضرورة كونية لبناء دولة العدل الذي تحفظ للإنسان كرامته.

وهذه الحقيقة الكونية والتاريخية المتمثلة في (١٢٤٠٠٠) نبي ورسول ارسلوا تترا لبني البشر ، كانت ترفض من قبل المترفين على مر التاريخ، لان وجودهم مبني على دولة

الظلم واستغلال الانسان لانسياب مصالح المستغلين المستكبرين المترفين،. فمن هم المترفون؟

٥- ضرورة الحكومة في المجتمع:

هناك تلازم بين قيام المجتمع الانساني والدولة والسياسة ، فحيثما يقوم المجتمع الانساني فلازمه دولة تحكمه وتنظم اموره وتحفظ للناس حقوقهم وترتب عليهم واجباتهم والى ساسة يتولون امور ذلك الحكم وذلك التنظيم.

وباتجاه هذه المتلازمة الطبعية تتحدد مفاهيم ومعاني الدولة والسياسة واصطلاحاتهما، ولدينا اساسا اتجاهان واقعان : عقلي وفعلي لبناء الدولة هما:

اولا- هو ان نؤمن بخالق لم يخلق الانسان عبثا ولم يتركه سدى فأرسل له الرسل والأنبياء عليهم السلام عصمهم من الظلم فجعلهم قدوة حسنة لإخوانهم من بني البشر وأمرهم بالاقتداء بهم؛ فال الله تعالى:

(أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (❖) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ (٨٧).

وكلف الله طاعة الائمة العدول وقرنها بطاعته، وجعلهم حجة على الناس، فكان اؤلئك المعصومون ائمة يمثلون العدل الالهي في سيرتهم ، وترجمة لخيار الله تعالى بالقدوة الحسنة ، وولاة امر الناس ينفذون التشريع المقدس النازل من عند الله تعالى وفيه مشيئته لنافذ امره. فلم يرد عن هذا الواقع المتكرر على طول تاريخ الانسانية ومن خلال اكثر من اربع وعشرين الف نبي ورسول، كلهم شعارهم محاربة الظلم وبغض الظالمين ويطلبون من الناس طاعتهم والاقتداء بهم وسائل الى الله تعالى ولم يرد للفظ (السلطة) مفهوم في دولة العدل الالهي بل هي الولاية بالتكليف الرباني المباشر بالنص او الاصطفاء او الشرعي المستنبط من النصوص بالعقل مع منع قاطع للظالمين من تولي عهد الله على الناس.. قال الله تعالى:

(وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)(٨٨).

هذا واقع منطقي يفرضه العقل من خلال اطروحة ربانية كونية ضمن نسق كوني رائع، اكتشفناه من ظاهرة ارسال الرسل عليهم السلام في التاريخ البشري تترا منذ آدم عليه السلام الى الامام المهدي الغائب عجل الله تعالى فرجه. مع ملاحظة وحدة الشعار ووحدة الهدف والغاية عندهم جميعا ، فولاية الناس وحكومتهم الربانية مع غياب السلطة موجودة دائما وابدا ، فلا يخلو زمان ولا مكان من حجة الله على الارض، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إني وأحد عشر من ولدي وأنت يا علي زر الارض أعني أوتادها وجبالها بنا أوتد الله الارض أن تسيخ بأهلها ، فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدي ساخت الارض بأهلها ولم ينظروا [٨٩].

وهنا فللدولة مفهوم هو ؛ اقامة حكم الله في الناس والسياسة هي تولي امورهم بالعدل من خلال منصب الامامة... فلا يرد معنى السلطة او التسلط لهذا الاصل وعليه تترتب مفاهيم السياسة وكل المصطلحات التابعة لها.

ففي العدل الالهي؛ السياسة ملاكها العدل ، ومعنى الدولة في هذا الاصل هي : العدل في القضاء ، والعدل في التشريع والعدل في التنفيذ.

فهنا مفاهيم الدولة والحكومة الولاية والامامة والقيادة المرجعية خالية من معاني السلطة والتسلط تتولى شؤن الناس في هذه الاطروحة الربانية ، وقد يظن ان هذا يؤدي الى فقدان القدرة في امضاء العدل في الناس، ولكن لاشيء حاكم على ارادة الناس في اختيار ما يشاؤون والا يبطل الثواب والعقاب، ومع هذا فان نفس العدل دوما يبرز في الانبياء العدول السادة والائمة المعصومين القادة ، فان كان ولابد فان الامام علي عليه السلام يقول: (أسد حطوم خير من سلطان ظلوم، وسلطان ظلوم خير من فتن تدوم)[٩٠].

فالسلطان الظالم في الدولة ؛ اتعس من اسد متوحش قاتل حاطم فيها يهدد كل من أمامه ولكن دوام الفتن بفقدان الدولة للحاكم اتعس من ذلك. هذا يرشد بالتأكيد الى اهمية وجود الحاكم على راس الدولة وبين الناس على اي حال.ولذا فهو عليه السلام يقول:

(الملك كالنهر العظيم تستمد منه الجداول فإن كان عذبا عذبت و إن كان ملحا ملحت)[٩١]

ليس على الانسان باس ان يعلم على الاقل ان الله تعالى هو الكامل المحسن المفضل الرحمن الرحيم، لم يخلق الخلق عبثا ولم يترك اجمل خلقه سدى وان هذا الكون لا يكون جميلا الا باختيار ما اختاره الله تعالى لخلقه من كل حسن وجميل، فاذا اختاروا ما يشاؤون فلهم ما يختارون وعليهم وزر ما يعملون.

فالأساس القيمي والوجداني في دولة العدل الالهي وقيامها ينطلق من وجدان الفرد والمجتمع واختيارهما بلا رقيب ولا سلطة، فإنما الفرد في الدولة ومع الدولة ولأجل الدولة يسعى وينشط ويتحرك ويفعل بقصد القربى الى الله تعالى ويرجو ثوابه فالحاجة للسلطة ليس اساس انما ان كانت لها حاجة فلابد ان تصب في الغاية وهي اقامة العدل.

اما اذا اختار الناس دولتهم بمعايرهم وبقانون ينظم شؤونهم بتلك الدولة ، فلابد لهم من السلطة القوية التي يحتاجونها لتطبيق القانون بتلك المعايير المختارة والمحافظة عليها وعدم اختراقها. فالسلطة؛ هي الاصل الثاني في قيام الدولة ؛ اي خيار الناس لدولتهم.

ان طلب السيادة والسعي للحرية ارادات تكوينية لأساس سنة كونية هي الامامة تتحول في الحيوان الى غريزة تلتمس به القائد كما في الطيور المهاجرة والاسماك المهاجرة والسباع الكسرة وتتلمس به الملكة كما في النمل والنحل وتتلمس به مجاميع الانسان ابا لأسرتها وشيخا لقبيلتها وقائدا لجيشها...

٦- حكومة الامام علي عليه السلام حجة الله على الناس:

خلاصة ما بلغناه في بحثنا هذا ان عليا عليه السلام مصداق معاني الامامة والعصمة كأطروحتين كونيتين ، فإذن هو مترجم لغاية الكمال البشري في واقع الوجود، ومن موقعه على راس حكومة ما فلابد ان تكون تلك الحكومة متميزة بميزات الكمال ومتفردة بانموذجية الفضل في عالم البشر وتاريخهم.

وكما ان الامام علي عليه السلام فاروق في العلم والايمان والشخصية ومميزات الانسانية الراقية ؛ كذلك سيكون لحكومته الفاروقية في الافضل من بين حكومات العالم، وكما

ان الامام علي عليه السلام امام ومعصوم وحجة على الناس كذلك تكون حكومته حجة على السياسيين وارباب الحكومات في العالم.

ضرورة الحكومة عند الامام:

بالرغم مما عرف عن الامام في تشدده على ضرورة العدل للحاكم، ولابد من تلازم العدل مع السلطة لكي تتسع رسالة الانسان لمهام وجوده والذي اساسه البديهي هو العدل. فهو يرى ان اسدا وحشيا يحطم كل ما امامه خير من الحاكم الظالم ، الا انه يرى ان لابد من الحاكم دون الفوضى والفتن ، لان مع الحاكم مهما كان، توجد السلطة التي تضبط المجتمع ولو بقدر ما وبحد ما، فان الانفلات اذا سرى في المجتمع يكون كالحريق في الهشيم لا حدَّ يمكن ان يقف عنده. قال الامام (عليه السلام) في هذا الاتجاه:(أسد حطوم خير من سلطان ظلوم، وسلطان ظلوم خير من فتن تدوم [٩٢].

وكان سكوته عن حقه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه واله من هذا الباب: قال الإمام عليّ(عليه السلام) - من كلام له لمّا عزموا على بيعة عثمان -: (لقد علمتم أنّي أحقّ الناس بها من غيري، ووالله لأسلِمَنّ ما سلمت اُمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلّا عليَّ خاصّة؛ التماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زُخرُفه وزِبرِجه)[٩٣].

والحق هو ؛ ان هذا اتجاه رسالي نبوي ، فقد وكده الامام الحسن عليه السلام ايضا في كتاب ارسله لمعاوية بعد خذله اصحابه:

(إن هذا الامر لي والخلافة لي ولأهل بيتي ، وإنها لمحرمة عليك وعلى أهل بيتك ، سمعته من رسول صلى الله عليه وآله ، لو وجدت صابرين عارفين بحقي غير منكرين ، ما سلمت لك ولا أعطيتك ما تريد . " وانصرف إلى الكوفة)[٩٤] .

- اهداف الحكومة عند الامام.

لقد خلق الله تعالى ادم وبنيه وفوضهم في الارض لأهداف سامية، انتهكها الشيطان وحزبه، ولو راجعنا تاريخ الانسانية واكبر ظاهرة فيه وهي ظاهرة ارسال الرسل عليهم السلام لوجدنا ان مهامهم تنحصر في غاية واحدة هي منابذة الظالمين وبغض الظلم وفق نموذج القدوة المرسل او المنصب من قبل الله تعالى.

وهذه المهمة تبدو في التوحيد الذي يتحدد في نفي الشرك عن الله تعالى، والشرك هو الظلم العظيم، وتبرز ايضا في العدل وهو نفي الظلم ومنابذة الظالمين، ولكي لا تضيع هذه المهمة بين المعاني والتطبيق ؛ كان لله تعالى فيها ناموسا كونيا؛ في عدم خلو الارض من حجة لله تعالى ؛ عنوانا للتوحيد ، يحمل العدل وينابذ الظلمين ويبغض الظلم ايا كان مصدره[٩٥]. فمن اهداف حكومة الامام علي عليه السلام الاساسية التي تتفرع منها كل الاهداف الاخرى هي : نفي الظلم والشرك ومنابذة الظالمين المشركين.

- اسس الحكم عند الامام:

بينها الامام علي عليه السلام واضحة جلية في رسالته لواليه على مصر ؛ ملك الاشتر النخعي رضوان الله تعالى عليه .

اولا- التزام الوالي ما الزمه الله تعالى من العدل: فـ(لكلٍّ على الوالي حقّ بقدر ما يصلحه، وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه اللَّه من ذلك إلّا بالاهتمام والاستعانة باللَّه، وتوطين نفسه على لزوم الحقّ، والصبر عليه فيما خفّ عليه أو ثقل.ومن اجل هذا الاساس خصه بصفات من يصلح لمعاونته في هذا الامر.

ثانيا- ميزات الموظف في دولة العدل: يوصي الامام عليه السلام ولاته بانتقاء المسؤول: (فولٍّ من جنودك أنصحهم في نفسك للَّه ولرسوله ولإمامك ، وأنقاهم جيباً ، وأفضلهم حلماً ، ممّن يبطئ عن الغضب ، ويستريح إلى العذر ، ويرأف بالضعفاء ، وينبو على الأقوياء ، وممّن لا يثيره العنف ، ولا يقعد به الضعف. ثمّ الصَق بذوي المروءات والأحساب ، وأهل البيوتات الصالحة ، والسوابق الحسنة؛ ثمّ أهل النجدة والشجاعة، والسخاء والسماحة؛ فإنّهم جِماع من الكرم، وشُعَب من العُرْف)[٩٦].

ثالثا- ثمّ تفقّد من اُمورهم ما يتفقّده الوالدان من ولدهما...

رابعا- ثمّ انظر في اُمور عمّالك فاستعملهم اختباراً ، ولا تولّهم محاباة وأثَرَة ، فإنّهما جِماع من شُعَب الجور والخيانة ، وتَوَخَّ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة ، والقدم في الإسلام المتقدّمة ؛ فإنّهم أكرم أخلاقاً ، وأصحّ أعراضاً ، وأقلّ في المطامع إشراقاً ، وأبلغ في عواقب الاُمور نظراً...)[٩٧]

وطلب منه ان لا يعتمد فراسته وحسن ظنه في اختار الموظفين.

خامسا- ثمّ لا يكن اختيارك إيّاهم على فِراستك، واستنامتك ، وحسن الظنّ منك؛ فإنّ الرجال يتعرّضون لفِراسات الولاة بتصنّعهم وحسن خدمتهم، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء، ولكن اختبرهم بما ولّوا للصالحين قبلك، فاعمِد لأحسنهم كان في العامّة أثراً، وأعرَفِهم بالأمانة وجهاً؛ فإنّ ذلك دليل على نصيحتك للّه ولمن ولّيت أمره(٩٨).

٧- عوامل العصمة في الحكم عند الامام علي عليه السلام:

كان الامام طيلة توليه لأمر الدولة في الكوفة بعد ما بايعه الناس خليفة عليهم بعد مقتل عثمان يمعن في توكيد خمسة معايير فارقة لم نجدها اليوم في الحكومات الراهنة والسابقة: اولا-- ان الولاية والحكومة والسلطة ؛ ليس الا ميزان قسط ؛ يشخص الحق ويلتزم به ، ويشخص الباطل وينبذه. شاخصا قي قوله عليه السلام: (الذّليل عندي عزيز حتّى آخذ الحقّ له ، و القويّ عندي ضعيف حتّى آخذ الحقّ منه ، و ايم اللّه لأنصفنّ المظلوم من ظالمه و لأقودنّ الظالم بخزامته حتّى أورده منهل الحقّ و إن كان كارها، وكان تطبيق ذلك فيما قرره بعد استلامه الخلافة بعد عثمان قال عليه السلام: (ألا و إنّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان و ما أخذه من بيت مال المسلمين فهو مردود عليهم في بيت مالهم ، و لو وجدته قد تزوّج به النساء و فرّق في البلدان . فإنّه إنّ لم يسعه الحقّ فالباطل اضيق عنه (٩٩).

ثانيا- والحكومة مجرد خدمة للناس وسعي في قضاء حوائجهم، والموظفون هم خدم للناس ليس لهم امتياز عليهم . فالمنصب في الحكومة الاسلامية تكليف لا تشريف ، فلا امتياز لأي موظف يعينه الامام لتمشية اعمال الولاية او الحكومة.

ثالثا- الامام المعصوم علي عليه السلام يحدد الساسة الممنوعين من الخدمة في الحكومة المعصومة:

لابد من ميزات شخصية يختص بها الموظف قبل التوظيف اجملها الامام عليه السلام في المنع المطلق لمجموعة من الصفات الرذيلة ؛ جاء ذلك في قوله التالي عليه السلام:

(لا يَنبغي ان يكونَ الواليَ عَلَى الفروجِ و الدّماءِ و المَغانِمِ و الا حكامِ و إ مامةِ المسلمينَ:

أ- البَخيلُ، فتَكونَ في اموالهم نَهْمَتُه .

ب- ولاَ الجاهلُ فيَضلَّهُم بجهله.
ج- و لا الجافي فيَقطعَهُم بجَفائه .
د- و لا الحائفُ للدُوَل فَيَتَّخذَ قوماً دونَ قومٍ.
هـ- و لا المرُتَشي في الحكم فَيذهبَ بالحُقوقِ، و يَقِفَ بها دونَ المقاطعِ.
و- و لا المُعطِّلُ للسنّةِ فيُهلِكُ الأُمّةَ)[١٠٠].

رابعا- مهمة الحكومة في الدولة المعصومة ؛ توطيد الامن وإشاعة الامان بين الناس على انفسهم (دمائهم وأعراضهم) وممتلكاتهم ، وتفير فرص العيش الكريم للجميع بدون استثناء.

خامسا- الحاكم في قوله وفعله ، ترجمة للدين الحنيف وتحويله الى سيرة ومعاملة فما الدين الا المعاملة.

وقد وضع الامام علي عليه السلام لكل من هذه المعايير الخمسة آليات وتشريعات لجعلها ، قابلة للتطبيق سهلة المتابعة والتقويم.

٨- الحكومة المعصومة تؤسس جهازا للرقابة على الولاة:

لم نر في تاريخ العالم وفي أي حكومة غير حكومة الامام علي عليه السلام ان الرقابة والتجسس دوما على الشعوب الا في حكومة الامام علي عليه السلام فان الامر معكوس لأنه عليه السلام جعل عيونا له على الولاة ، فقد فرض عليه السلام رقابة على العاملين من عمال دولته ، ومارس ذلك عبر جهاز رقابي خاص ، ومن خلال موظّفين سريّين (عيون)، لئلّا يتوانى الولاة عن أداء خدماتهم للناس ، أو يتعدّوا على حقوق الناس بالاتّكاء إلى ما لديهم من سلطة.

إنّ عهود ورسائل الإمام عليه السلام واللوائح التي أصدرها بهذا الشأن ، والتي بعثها للولاة المتخلّفين ؛ مثل الأشعث بن قيس ، وزياد بن أبيه ، وقدامة بن عجلان ، ومصقلة بن هبيرة ، والمنذر بن الجارود ، كلّها تحكي تأسيس الإمام لجهاز رقابي مقتدر كان ينهض بمهمّة مراقبة العاملين معه خلال عهده السياسي.

لقد بلغ عيون الامام الشرفاء من المخبرين السرّيّين والعاملين في جهاز الرقابة الخاصّ في حكومة الإمام ، حدّاً من العدالة والوثاقة ، بحيث تحوّلت تقاريرهم وما يُدلون به من

معلومات إلى قاعدة تستند إليها سياسة التحفيز الإداري للعاملين ، حيث يشجَّع المحسنون ، ويعزَل الخونة والفاسدون بعد إثبات جرمهم مباشرة ، وينزل بهم من العقوبة ما يكون عبرة للآخرين ، وعِظة لمن اتّعظ.

وفي عهد الحكومة الفارقة شرَّع مبدأ منع أخذ الموظفين في الدولة الهدايا من الناس ، بالإضافة إلى حرمة تعاطي الرشوة ، إمعاناً في مبارزة الفساد الإداري. وكان الإمام أمير المؤمنين يعدّ أخذ الهديّة «غلولاً» ، وأخذ الرشوة «شركاً» . ضمن منهجٍ يجمع بين الحزم واللين. فمن وجهة نظر الإمام تعدّ القسوة المطلقة آفة تهدِّد النسق الإداري ، وفي الوقت ذاته يلحق اللين اللامحدود أضراراً بإدارة المجتمع. ومن ثَمَّ فإنّ الإدارة الناجحة هي التي تجمع - بحسب تعبير الإمام - بين القسوة والرأفة ، وتقرن الشدّة إلى اللين. ففي المواضع التي تحتاج إلى الشدّة ينبغي التعامل بحزم ، وفي المواقع التي يكون فيها اللين هو الأجدى ، ينبغي التزام سياسة الرفق والمداراة.

كل هذا كان من أجل استئصال العوامل التي تُساعد التعدّي على حقوق الناس ، وبغية تعميم حالة مواجهة الظالمين والمعتدين ، بادرت حكومة الامام الى تقوية ثقافة حماية المظلومين.

لقد كان الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) ينتهز كلّ الفرص من أجل توسعة ثقافة مكافحة الظلم ويستفيد منها لحماية المظلومين ، كما كان يحثّ الناس على مساعدته لإصلاح مجتمعهم ، وهو يهتف : «أيّها الناس أعينوني على أنفسكم ، وايم اللّه لأنصفنّ المظلوم من ظالمه ، ولأقودنّ الظالم بحزامته»[١٠١].

وقوله عليه السلام :(والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهدا أو أجر في الأغلال مصفدا أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالما... والله لو اعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته)(٢)

ولأول مرة يبادر الامام الى تحري العدل في الناس بان يستمع لكل ظلماتهم وقصصهم عندما اسس بيت القصص ؛ فقد جاء في شرح نهج البلاغة : (كان لأمير المؤمنين(عليه السلام) بيت سمّاه : بيت القِصَص ، يُلقي الناس فيه رِقاعهم [١٠٢].

ثمرة البحث:

كثير جدا من الناس العاديين حكموا فكانت نتائج حكمهم كما يحكيها التاريخ البشري كله ملخصا في النقاط التالية:

اولا- تنتهي ثقافة الحاكم وأهميته وقيمه وتقديره بموته او ربما بقتله والانقلاب عليه ، والمثل العامي المستنبط من هذه الحقيقة هو : (اذا ماتت بغلة السلطان شيعها اربعون وإذا مات السلطان لم يشيعه احد)

ثانيا- كل التاريخ السياسي للحكام هو عبارة عن عنت وظلم واستعمار واستغلال لسلطة الحكم ، وربما إبادة جماعية للشعوب وظلامات وهذا هو التاريخ العالمي السياسي كله عبارة عن وثائق لهذه الحقيقة.

في حين قدمت الكوفة بسبب كونها عاصمة لمصداق السنن الكونية التي لا تتغير ولا تتبدل ولازالت تقدم للعالم مالم تقدمه عاصمة اخرى في العالم من خلال كونها عاصمة المعصوم ما يلي :

اولا- المشروع السياسي الطوعي المبرئ للذمة لكل الناس ؛ متمثلا بنظام مرجعي قائم على الاجتهاد والتقليد يحتوى كل الامة وفق نظام تنظيمي هرمي نافذ دقيق قل نظيره في العالم . ويشكل المرجع راس نظام الملة ، والنظام المرجعي عبارة عن دولة قائمة بذاتها لم تمت ابدا على مر التاريخ تقض مضاجع الحكام الظالمين وتخيف حتى الدول الكبرى.

ثانيا – قدمت الكوفة ثقافة دينية صادقة لكل العالم ، متمثلة بالحوزة العلمية ، فكانت الكوفة كعبة العالم العلمية ومنها تخرج الفطاحل من مثقفي الامامية من كل الاجناس والأصقاع ، ومن الكوفة خرجت بقية الحوزات في البلدان الاخرى اساتذة ومناهج وأساليب.

ثالثا – تاسست في الكوفة النواة الفكرية العلوية الاولى لكل الثورات ضد الظالمين ، وكانت الكوفة على مر العصور معقل الرفض والمقاومة يحسب لها السلاطين والطغاة الف حساب. وقد دفعت الثمن غاليا من دماء ابنائها الصلحاء.

رابعا- بفضل الفكر العلوي المعصوم تأسس في الكوفة واقعا رساليا امتد ولا يزال الى كل الاصقاع ولا زال يتواصل ، متمثلا بتأسيس ادب الطف الذي يعتبر اكبر ادب في

العالم ، ومكتبته اكبر مكتبة في العالم. ثم ان الكوفة في التاريخ تمثل مدرسة قائمة بذاتها في النحو العربي.

خامسا- كان الفكر العلوي بمعانيه العاصمة مجال بحث وتفكر وكتابة افلح فيها النخبة العالمية من غير المسلمين ، اكثر من المسلمين انفسهم . فهم في ساحة كونية لا معنى للطائفية فيها وهو ما لم يكن لأي شخصية اسلامية اخرى غير الامام علي عليه السلام . مثلا؛ انظر ما كتب جورج جرداغ ، وجرجي زيدان ، وسليمان كتاني وانطوان بارا ، وبولص سلامة ، وجبران خليل جبران...

سادسا- من الكوفة انطلق اكبر الخطباء في العالم يحملون رسالة العصمة ؛ رسالة علي والحسين عليهما السلام ، وقد اكتشفنا ذلك حين هاجرنا الى خارج العراق ابان الحكم الدكتاتوري المقيت ، فوجدنا الخطيب في سوريا ولبنان وايران وفي كندا واوربا وحتى في تيريتوريز قرب القطب خطيبا كوفيا في المنهج والثقافة ، وان لم يكن كوفيا في الانتماء الجسدي ، او كان عراقيا بثقافة الكوفة وأشعار عبود غفله والفتلاوي وغيرهما رحمهم الله وكذلك علمنا ان هذا ايضا في اصقاع الارض اخرى.

هذه الحقائق وغيرها مما تركناه سعيا للإيجاز ؛ كلها كانت لواقع كوني فرضه وجود حاكم كوني معصوم على ارض الكوفة. يجسد السنة الكونية فهو عليه السلام معنا للفطرة الساعية على الارض.مما يؤيده قوله عليه السلام:

(أما إنّه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم ، مُندَحِق (١٠٣) البطن، يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه، ولن تقتلوه! ألا وإنّه سيأمركم بسبّي والبراءة منّي؛ فأمّا السبّ فسبّوني؛ فإنّه لي زكاة، ولكم نجاةٌ؛ وأمّا البراءة فلا تتبرّؤوا منّي؛ فإنّي وُلدت على الفطرة، وسبقت إلى الإيمان والهجرة)(١٠٤).

وولادته عليه السلام على الفطرة أي انه بذاته عليه السلام الكمال والعصمة فهو الدين ، ولان الدين هو الفطرة فليس من سبيل الى البراءة منه.

فالكوفة حرم معصوم ، وشرف انساني طلع وارتفع بكمال علوي لا يدانى ، ومسجد اذن الله ان يرفع ويذكر فيها اسمه ، وعلم ساري ومعرفة دائمة وثورة قائمة ،فهي اصل

مستقبل عاصمة للثائر الرباني الموعود الذي يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا.

ملخص البحث:

بسم الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وصلى الله على خير خلقه محمد واله ومن ولاهم ، واللعن الدائم على الظالمين لهم اعداء الله .

لم يتسن لأي معصوم - خارج النبوة - في التاريخ ان يقيم حكم الله في الارض إلا في الكوفة ، فالكوفة حرم سيد الاوصياء كما هي المدينة حرم سيد الانبياء ، وكما هي مكة حرم الله.

فعن عاصم بن عبد الواحد المديني قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

(مكة حرم الله ، والمدينة حرم محمد صلى الله عليه وآله والكوفة حرم علي بن ابي طالب عليه السلام ، إن عليا حرم من الكوفة ما حرم إبراهيم من مكة وما حرم محمد صلى الله عليه وآله من المدينة [١٠٥].

انها حرم لأنها كانت المصداق الشاخص لحد الان لحكم المعصوم ، باعتبار العصمة اطروحة كونية ، وإنها حرم سنة الله القائمة لان الامامة كانت سنة كونية مصداقها وواقعا القائم الامام امير المؤمنين علي عليه السلام.

في حين يرى الاخرون ان الامامة والعصمة من معتقدات الامامية ، وربما يرى الزاعمون للعلم ؛ انهما من عقائد الغلو عن الشيعة ، وهذا الزعم قصور عقلي يبوء به الزاعمون ، لأنه وهمُ مقابل بديهية ، والعقل الذي لا يرى البديهية ولا يعتمد البديهية عقل مشلول وناقص ، ان البديهية اصل المعرفة والباب الى كل علم ، وإلا فان بديهية الامامة واضحة في واقع الكون : فهي معنى الكمال في كل نمط من انماط الخلق ولا يمكن لأي كائن ان يوجد بدون معنى كماله[١٠٦].

فإذا كان الكون ؛ هو عبارة عن انماط كونية نراها في : مواد (كائنات مادية)، وأحياء (كائنات حية) ، وأناس (كائنات عاقلة) ، وانبياء (كائنات معصومة). ؛ فأننا نجد في كل نمط من هذه الانماط الكونية معنى للكمال يمثل بديهيا الامامة في ذلك النمط[١٠٧].

على سبيل المثال : ؛ معنى الكمال في خلق الانسان العقل فالعقل امام خلق الناس . ولذا لا يمكن ان يوجد انسان بلا عقل على الاطلاق ، ولا توجد حكمة من خلق البشر مجانين.

ومعنى الكمال في خلق الاحياء الحياة الـ (DNA). ولذا لا يمكن ان يوجد كائن حي على الاطلاق بدون معنى الكمال هذا. فهذا المعنى للحياة يسميه علماء البيولوجيا (الملك الاخرس)—Mute King [١٠٨]؛ لأنه يعطي كل توجيهات الحياة ومميزاتها وخواصها وتوقيتاتها في كل كائن بصمت.

والعصمة ايضا معنى الكمال الكوني لأنها غاية الوجود وكل الانماط الخلقية تسعى اليها ، ولذا لا يمكن للنبي او الامام ان يكون بمقام الحجية إلا بالعصمة.

فالإمامة ؛ سنة كونية ، والعصمة اطروحة كونية . ولهذا كانتا عقائد رصينة وثابتة عند الامامية وليست مسلمات لا قاعدة إلا في العقول القاصرة ؛ مثل مسلمات الاخرين بعدالة الصحابة مثلا ؛ فهي مسلمة يطعن بها الكتاب الحكيم ولا يؤيدها المنطق ويرفضها الواقع فلا نصيب لها من العقل.

تأتي الكوفة علما لمعاني هذه السنة الكونية ، وواقعا لمعاني العصمة ؛ فالإمامة والعصمة فطرة – كما سنفصل في البحث - والامام علي عليه السلام هو كمال الفطرة وغايتها ؛ بحيث يقول صلوات الله عليه: (أما إنّه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البُلعوم، مُندحق البطن [١٠٩]، يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه، ولن تقتلوه! ألا وإنّه سيأمركم بسبّي والبراءة منّي، فأمّا السبّ فسبّوني، فإنّه لي زكاة، ولكم نجاة، وأمّا البراءة فلا تتبرّأوا منّي ؛ فإنّي ولدت على الفطرة ، وسبقت إلى الإيمان والهجرة[١١٠]. فهو كمال الفطرة وغايتها والذي يتبرأ من الفطرة يتبرأ من الدين لان الدين هو الفطرة طبقا لقول الله تعالى.

والكوفة باعتبارها ميدان خيارات الفطرة سننا واطروحات فأنها تميزت بثقافة انسانية خاصة بالكمال والجمال وان كل ما في العالم شرقه وغربه من قيم راقية هي علوية بالأصل كوفية المنشأ.

والكوفة باعتبارها اول عاصمة في التاريخ اتخذها الامام الحق المعصوم ، صار لهذا المأخذ الكوني التطبيقي اثار موجودة متمثلة بالثقافة الكوفية الفريدة في العالم وولد فيها مشروع سياسي مبرء للذمة الى الان يتمثل بالنظام المرجعي القائم على نظام الملة [١١١] ، وهي ثقافة تمتد في كل اصقاع العالم من خلال اتباع الامام علي عليه السلام واوليائه ومعاني شاخصة لحد الان متمثل ة بالحوزة العلمية والمرجعية الدينية بنظامها الذي يمثل امتداد لح؛ومة الامام علي عليه السلام فالمرجعية ؛ حكومة ابدية لاتباع الامام علي عليه السلام على مر التاريخ قد تضعف ولكنها لا تموت، وحتى في حال ضعفها فأنها تقض مضاجع الظالمين وتخيف حتى الدول الكبرى.

في هذا الاتجاه وعلى هذا المنهج يأتي بحثنا هذا ومن الله التوفيق فهو ولي السداد وهو القصد ونعم الغاية سبحانه.

الهوامش:

---

١) محسن وهيب عبد (مجلة المصباح القرآنية المحكمة - تصدر عن العتبة الحسينية المقدسة) – العدد - ٢٥ : موضوع : معاني العرش والأيام الستة في القران الكريم .

٢) الاسراء – ٧١.

٣) الاعراف- ٥٤.

٤) عن هذا النمط قال العالمان كل من (كيفن بويس و مارتن ستيل) من وكالة ناسا الامريكية للفضاء: (الطاقة المظلمة هي عبارة عن قوة غامضة تقوم بالتسبب بتسارع التوسع الكوني – اكتُشف هذا الأمر بالاعتماد على مراقبة لمعان أكثر السوبرنوفات الاكثر بعدا عنا -. هذه المراقبات أوضحت تواجد قوة تتجه إلى الخارج و تسبب التوسع الكوني (و سميت بأسماء مختلفة كالثابت الكوني، "الجوهر"، أو "الطاقة المظلمة").

أوضحت البيانات المتعلقة بدوران المجرات أن الأجزاء الخارجية تدور بشكل أسرع من الأجزاء الداخلية. هذا الأمر لا يمكن أن يكون مفهوما إلا من خلال تواجد توزع كروي لمادة ما في كل مجرة، و لا يمكننا رؤية هذه المادة. لذلك استنتجنا تواجد كمية محددة من المادة المظلمة في كل مجرة. يمكن أن تكون هذه المادة جسيمات غريبة من نوعا ما، أو ربما عبارة عن توزع للكثير من النجوم الصغيرة جدا بحيث لم نتمكن من رؤيتها.

بصرف النظر عما سبق، نَعتقد جدا بتواجد المادة المظلمة هناك و هذا الأمر يعتمد على المناقشات النظرية. يمكننا قياس هذا الأمر من خلال النظر إلى الخلفية الكونية الميكروية و السوبرنوفات البعيدة. هذه القياسات الحديثة تؤكد على وجود كل من المادة المظلمة و الطاقة المظلمة).

٥) القمر – ٥٠.

٦) قال الله تعالى: {وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ } ﴿الحاقة: ١٧﴾

٧) فاطر ١٥-١٦.

٨) هود: ٧

٩) الشورى- ٥٢-٥٣.

١٠) آل عمران – ٦١.

١١) مجمع البحرين - الطريحي (٥/ ١٤٦):

١٢) مجمع البحرين - الطريحي (٤/ ٧)

١٣) الأمالي الشجرية (١/ ٣٣).

١٤) تتيح السلطة والقهر للقاهر المتسلط ان يسمي نفسه بما يشاء، وأنتم تعلمون أنه قد شاع لمعاوية بن أبي سفيان واستفاض أنه (خال المؤمنين) و (كاتب وحي رب العالمين) كما شاع واستفاض لابي بكر أنه (صديق) ولعمر أنه(فاروق) ولم يجب بذلك عندكم أن يكون خال المؤمنين على التحقيق ، ولامستحقا لكتابة الوحي والتنزيل . فما أنكرتم أن يكون الشائع لابي بكر وعمر مما ذكرتموه ألا يجب لهما به حق في الدين ؟ !

١٥) الأمالي للطوسي (١/ ٢٣٦).

١٦) مريم -٩٦.

١٧) تفسير الألوسي (ج:١٢/ص: ٨٠)، و فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: (٣/ ٣٧). ١٧) كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٣٨٩)، ومسند أحمد (٥٣/ ٤٦١)، وأخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائده على المسند (٢٩٢/٦ ، رقم ٢٦٥٥٠) وأخرجه أيضا : أبويعلى (٣٣١/١٢ ، رقم ٦٩٠٤). وأخرجه الطبرانى (١٧/١٢ ، رقم ١٢٣٣٩) ، وقال الهيثمى (٧٢/١٠) : رجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبرانى يحيى بن عثمان بن صالح السهمى وهو صدوق وفيه خلاف لا يضر . وأخرجه أيضًا ابن عدى (٣٧٠/٥ ، ترجمة ١٥٣٣، عصام بن طليق) . وأخرجه ابن أبى شيبة (٣٧٢/٦ ، رقم ٣٢١١٤) . وأخرجه أيضًا : ابن أبى عاصم (٥٩٨/٢ ، رقم ١٣١٩) ، والطبرانى (٣٧٤/٢٣ ، رقم ٨٥) . موسوعة أطراف الحديث (ص: ٢٢٩٥٠٨) ، موسوعة أطراف الحديث (ص: ٢٢٩٥٠٩) ، موسوعة أطراف الحديث (ص: ٢٢٩٥١٠) ، موسوعة أطراف الحديث (ص: ٢٢٩٥١١).

[١٨]) احمد ابن حنبل في مسنده ج٦/ص٢٩٢ ح٢٦٥٥٠. و وجاء في كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آية النفاق بغض الأنظار وقال لعلي لا يبغضك إلا منافق). وجاء في مسند أحمد : (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِعَلِيٍّ لَا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ وَلَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ).

وجاء في جمع الجوامع أو الجامع الكبير للسيوطي (ص: ١٩٠٣٩): لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق قاله لعلى)، وجاء في كتاب جامع الأحاديث (١٧/ ٢): (لا يبغض علىً مؤمن ولا يحبه منافق)، وجاء الحديث ايضا في كتاب التبويب الموضوعي للأحاديث (ص: ٢٠٨٢٣): سمعت أم سلمة تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي ❖ لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق)، وفي فضائل الصحابة (٢/ ٦١٩): قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لعلي : لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق، وتكرر ايضا في فضائل الصحابة (٢/ ٦٨٥): عن رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول لعلي : لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق، واخيرا جاء في كنز العمال (١١/ ٩٣٥)، حديث رقم: ٣٣٠٢٦ - لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق - قاله لعلي (عن أم سلمة).

[١٩]) تاريخ اليعقوبي: ٢١٠/٢، الأمالي للطوسي: ١٣٤؛ أنساب الأشراف: ٦٤/٣، البيان والتبيين: ٢١١/٣ كلّها نحوه ، مجمع البيان: ١ / ٢١١، روضة الواعظين: ٣٩

[٢٠]) الرعد -٧.

[٢١]) (تفسير العياشى (٢/ ٢١٣)

[٢٢]) المستدرك على الصحيحين: ٤٦٤٦/١٤٠/٣، تاريخ دمشق: ٣٥٩/٤٢ وفيه «الهاد□ وكلاهما عن عباد بن عبدالله الأسدي وراجع مسند ابن حنبل: ١٠٤١/٢٦٧/١، المعجم الأوسط: ١٣٦١/٩٤/٢ وج ٤٩٢٣/١٥٣/٥، تاريخ بغداد: ٣٧٢/١٢، تاريخ دمشق: ٨٩٥١/٣٥٨/٤٢.

[٢٣]) الاحزاب -٣٣.

[٢٤]) آل عمران- ٣٤

[٢٥]) الفتح – ٢٣.

[٢٦]) وجاء بهذا المضمون في الجامع الصغير للسيوطي ٢ /٥٥٤، حديث ٨٣١٩، وذكر له في الغدير ٣ / ٣٥ مصادر اخر.

[٢٧]) في المصدر الذي مر معنا: في الاستيعاب ٣ / ٤٦ المطبوع على هامش الاصابة.

[٢٨]) وصرح به في مجمع الزوائد ٩ / ١٣٢، ومستدرك الحاكم ٣ / ١٢٩، ولا حظ ما بعده من الروايات، وفصلها ومصادرها في الغدير ٣ / ١٨٣. وكل التفاصيل بحار الأنوار / جزء ٢٩ / صفحة﴿٦٤٤﴾.

[٢٩] قال ابن عباس رضى الله عنه : دخلت على امير المؤمنين عليه السلام بذى قار وهو يخصف نعله فقال لى: ما قيمة هذه النعل ؟ - فقلت: لا قيمه لها، قال: والله لهى أحب الى من امرتكم الا ان اقيم حقا أو ادفع باطلا(نهج البلاغة: الخطبة ٣٣.).

[٣٠] معظم كتب التاريخ ، والنص ماخوذ من شرح نهج البلاغه للجعفري: ج ٤ ص ١٦ .

[٣١] جاء ذلك النص في نهج البلاغة عنه عليه السلام في الخطبة ١٦٠، وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٩ / ٢٢٩.

[٣٢] أمالي الصدوق: ٤٩٦ / ٧.

[٣٣] نهج البلاغة: الحكمة ٢٣٦.

[٣٤] نهج البلاغة: الخطبة ٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١ / ٢٠٢.

[٣٥] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١١ / ٢٤٦

[٣٦] البحار: ٤٠ / ٣٤٨ / ٢٩.

[٣٧] أمالي الصدوق : ٨١ ، كفاية الطالب : ٢٥٢ ، فوائد السمطين ١ : ١٩.

[٣٨] أمالي الصدوق :١٦٥| ٢ .

[٣٩] نقله المجلسى من الكتاب في البحار المجلد الرابع ص ١٤٤. و الاختصاص (٤٠/ ٢)، وفي لاستيعاب ٣: ٣٩ المطبوع على هامش الاصابة، والكافي: ٦/٤٢٤/٧، وتهذيب الأحكام: ٨٤٩/٣٠٦/٦ وج ١٨٦/٥٠/١٠، ومن لا يحضره الفقيه: ٥٠٢٥/٣٦/٤، وتفسير العيّاشي: ١٥٥/٧٥/١، والفضائل لابن شاذان: ٩٥، وخصائص الأئمّة(عليهم السلام): ٨٥، والإيضاح: ١٩١ و ١٩٢، وشرح الأخبار: ٦٥٥/٣١٩/٢، والمسترشد: ٢٥٣/٥٨٣، والمناقب لابن شهرآشوب: ٣١/٢؛ ذخائر العقبى: ١٤٩..

[٤٠] صحيح مسلم: ١٢٠|٧، باب فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

[٤١] الصراط المستقيم ٣: ١٦ - ١٧.

[٤٢] الأحقاف: ١٥.

[٤٣] البقرة: ٢٣٣.

[٤٤] الطرائف ص ٤٧٢ عنه، وسنن البيهقي ٧: ٤٤٢.

[٤٥] كفاية الطالب ص ٩٥، وذخائر العقبى ص ٨٢، والصواعق المحرقة ص ٧٦، وتذكرة الخواص ص ١٥٤، والطرائف ص ٤٧٣.

[٤٦] أورده أبو داود في سننه بعدة طرق ٢ / ٢٢٧، وابن ماجة في سننه ٢ / ٢٢٧، والحاكم في المستدرك ٢ / ٥٩، و ٤ / ٣٨٩ وصححه، والبيهقي في سننه ٨ / ٢٦٤ بعدة طرق، والطبري في الرياض النضرة ٢ / ١٩٦، والقسطلاني في إرشاد الساري ١٠ / ٩، وابن الجوزي في تذكرته: ٥٧، وابن حجر في فتح

الباري ١٢ / ١٠١، والعيني في عمدة القاري ١١ / ١٥١، والمناوي في فيض القدير المجلد الرابع، والمتقي في كنز العمال المجلد الثالث. وتجد قول عمر: لو لا علي لهلك عمر، في الاستيعاب ٣ / ٣٩، وتفسير النيسابوري في سورة = = الاحقاف، شرح الجامع الصغير للشيخ محمد الحنفي:٤١٧ هامش السراج المنير، وتذكرة السبط: ٨٧، وفيض القدير ٣ / ٩٧، مسند أحمد بن حنبل ١: ١٤٠. الكافي: ٦/٤٢٤/٧، تهذيب الأحكام: ٨٤٩/٣٠٦/٦ وج ١٨٦/٥٠/١٠، من لا يحضره الفقيه: ٥٠٢٥/٣٦/٤، خصائص الأئمّة(عليهم السلام): ٨٥، الإيضاح: ١٩١ و ١٩٢، تفسير العيّاشي: ١٥٥/٧٥/١، الفضائل لابن شاذان: ٩٥، شرح الأخبار: ٦٥٥/٣١٩/٢، المسترشد: ٢٥٣/٥٨٣، المناقب لابن شهرآشوب: ٣١/٢؛ الاستيعاب: ١٨٧٥/٢٠٦/٣ وفيه «فكان عمر يقول...»، ذخائر العقبى: ١٤٩. المناقب لابن شهرآشوب: ٣٦٥/٢؛ تفسير القرطبي: ١٩٣/١٦ نحوه وفيه «عثمان» بدل «عمر» وراجع تذكرة الخواصّ: ١٤٨. مسند زيد: ٣٣٥؛ المناقب للخوارزمي: ٦٥/٨٠، فرائد السمطين: ٢٧٦/٣٥٠/١، ذخائر العقبى: ١٤٦ نحوه، سنن سعيد بن منصور: ٢٠٨٣/٦٩/٢ عن أبي الضحى نحوه. وأورده أيضا في البحار ٤٠ / ٢٣٢ حديث ١٢، وجاء في المناقب مختصرا: ٢ / ١٨٧، وحكاه بعينه في تفسير البرهان ٤ / ١٧٤ حديث ١١. فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٤ / ٤٧٠، فتح الملك العليّ: ٧١، شرح نهج البلاغة ـ لابن أبي الحديد المعتزلي ـ ١٢ / ٢٠٥.

٤٧) كنز العمال: ٦٠٥|١١ برقم ٣٢٩٢٤ ـ ٣٢٩٢٥.

٤٨) أخرجه الخطيب في المتفق والسيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه :٣٩٨|٦.

٤٩) الاستيعاب: ٤٠|٣ هامش الاصابة، طبعة عام ١٣٥٨هـ. وقد اشتهر بين المحدّثين أنّ عمر قالها في سبعين مورداً ؛ راجع: بعض تلك الموارد مع مصادرها من كتب أهل السُنّة في إحقاق الحقّ ٣ / ١٠٢ و ٨ / ١٨٢ و ١٩٢، وهذا الكتاب لا يستشهد إلاّ بكتب أهل السُنّة خاصّة.

٥٠) حلية الأَولياء: ٦٥|١.

٥١) المناقب للخوارزمي ص ٣٠٣ ط قم، وكشف الغمة ١: ٣٤٦، واليقين ص ٢٣ ب ٢٢.

٥٢) عيون أخبار الرضا: ١٨٧/٤٨/٢ عن داود بن سليمان الفرّا وأحمد بن عبداللّه الهروي عن الإمام الرضا عن آبائه(عليهم السلام)، الأمالي للمفيد: ٤/٢١٣ عن سليمان بن خالد عن الإمام الصادق عن آبائه(عليهم السلام) عنه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ، شرح الأخبار: ٧٤٠/٣٨٢/٢ عن جابر، المناقب لابن شهرآشوب: ٢٠٦/٣، صحيفة الإمام الرضا(عليه السلام): ١٥٧/٢٤٦؛ المناقب لابن المغازلي: ١٠١/٧٠، كنز العمّال: ٣٦٤٧٧/١٥٢/١٣ والثلاثة الأخيرة عن أحمدبن عامر الطائي عن الإمام الرضا عن آبائه(عليهم السلام) عنه(صلى اللّه عليه وآله وسلم) . و الأمالي للصدوق: ١٥٠/١٥٧، بشارة المصطفى: ١٥٥، كنز الفوائد: ١٧٩/٢، المناقب للكوفي: ١٦٧/٢٥١/١ وص

٤٠٢/٤٩٤، إعلام الورى: ٣٦٧/١؛ المناقب لابن المغازلي: ٢٨٥/٢٣٨ كلّها عن جابر. دلائل الامامة (ص: ١٦٤)

٥٣) الأمالي للصدوق: ١٥٠/١٥٦، بشارة المصطفى: ١٥٥، المسترشد: ٢٩٨/٦٣٣، شرح الأخبار: ٧٤٠٣٨١/٢، إعلام الورى: ٣٦٦/١، المناقب للكوفي: ٤٠٢/٤٩٤/١ نحوه وص ٣٦٠/٤٥٩ وفيه إلى «لا نبيّ بعدي»؛ المناقب لابن المغازلي: ٢٨٥/٢٣٧، كفاية الطالب: ٢٦٤، المناقب للخوارزمي: ١٤٣/١٢٩ كلاهما عن زيد بن عليّ عن آبائه(عليهم السلام) عنه(صلى اللّه عليه وآله وسلم) وص ١٨٨/١٥٨ والأربعة الأخيرة نحوه.

٥٤) وهذه رواية شريفة عظيمة مفصّلة فيها المعرفة حقّ المعرفة(مستدرك سفينة البحار:ج ٤٣٩/٩)

٥٥) تاريخ الإسلام للذهبي: ٦٣٨/٣، تاريخ دمشق: ٤٠٦/٤٢، البداية والنهاية: ٣٦٠/٧.

٥٦) المستدرك على الصحيحين: ١٦٨٢/٦٢٨/١، شعب الإيمان: ٤٠٤٠/٤٥١/٣، تاريخ دمشق: ٤٠٥/٤٢، الرياض النضرة: ١٦٦/٣؛ شرح الأخبار: ٦٥٢/٣١٧/٢.

٥٧) فضائل الصحابة لابن حنبل: ١١٠٠/٦٤٧/٢، الطبقات الكبرى: ٣٣٩/٢، تاريخ دمشق: ٤٠٦/٤٢، الإصابة: ٥٧٠٤/٤٦٧/٤، أُسد الغابة: ٣٧٨٩/٩٦/٤، الاستيعاب: ١٨٧٥/٢٠٦/٣، الصواعق المحرقة: ١٢٧، تاريخ الخلفاء: ٢٠٣.

٥٨) الكافي: ٦/٤٢٤/٧، تهذيب الأحكام: ٨٤٩/٣٠٦/٦ وج ١٨٦/٥٠/١٠، من لا يحضره الفقيه: ٥٠٢٥/٣٦/٤، خصائص الأئمّة(عليهم السلام): ٨٥، الإيضاح: ١٩١ و ١٩٢، تفسير العيّاشي: ١٥٥/٧٥/١، الفضائل لابن شاذان: ٩٥، شرح الأخبار: ٦٥٥/٣١٩/٢، المسترشد: ٢٥٣/٥٨٣، المناقب لابن شهرآشوب: ٣١/٢؛ الاستيعاب: ١٨٧٥/٢٠٦/٣ وفيه «فكان عمر يقول...»، ذخائر العقبى: ١٤٩.

٥٩) شرح نهج البلاغة: ٧٨/١٢.

٦٠) المستدرك على الصحيحين: ٤٢٨٧/١٥/٣، التاريخ الكبير: ٩/١، تاريخ الطبري: ٣٩/٤، تاريخ المدينة: ٧٥٨/٢؛ الإقبال: ٢٢/٣، المناقب لابن شهرآشوب: ١٤٤/٢ كلّها نحوه وراجع التنبيه والإشراف: ٢٥٢.

٦١) تاريخ اليعقوبي: ١٤٥/٢؛ البداية والنهاية: ٧٤/٧ نحوه.

٦٢) المستدرك على الصحيحين: ١٦٨٢/٦٢٨/١، شعب الإيمان: ٤٠٤٠/٤٥١/٣، الدرّ المنثور: ٦٠٥/٣، أخبار مكّة للأزرقي: ٣٢٣/١، تاريخ دمشق: ٤٠٦/٤٢، شرح نهج البلاغة: ١٠٠/١٢ وفيه «لا أبقاني اللّه بأرضٍ لست بها يا أباالحسن» والثلاثة الأخيرة نحوه، كنز العمّال: ١٢٥٢١/١٧٧/٥؛ الأمالي للطوسي: ١٠٤١/٤٧٦ مفصّلاً وفيه «فقال عمر: لا عشت في اُمّةٍ لست فيها...» وراجع الرياض النضرة: ١٦٦/٣، ذخائر العقبى: ١٥٠؛ شرح الأخبار: ٦٥٢/٣١٧/٢.

[٦٣] المناقب للخوارزمي: ١٠٤/١٠١، فرائد السمطين: ٢٧٤/٣٤٩/١، فيض القدير: ٣٥٧/٤ نقلاً عن الدارقطني عن أبي سعيد نحوه، الرياض النضرة: ١٦٦/٣، ذخائر العقبى: ١٥٠؛ شرح الأخبار: ٦٥٠/٣١٦/٢ عن سلمان بن حرب، المناقب لابن شهرآشوب: ٣١/٢ عن أبانة بن بطّة.

[٦٤] شرح نهج البلاغة: ٨٢/١٢ نقلاً عن أبي بكر الأنباري في أماليه..

[٦٥] الصراط المستقيم: ٧٠/٢، المناقب لابن شهرآشوب: ٧١/٣، المسترشد: ٩٥/٢٨٤ كلاهما نحوه.

[٦٦] بشارة المصطفى: ٢٤٩.

[٦٧] تاريخ بغداد: ٤٠٢٣/٤٥٣/٧، تاريخ دمشق: ٤٢ /١٦٦/٨٥٨٠-٨٥٧٨، الرياض النضرة: ١١٨/٣.

[٦٨] فضائل الصحابة لابن حنبل: ١٠٨٩/٦٤١/٢، تاريخ دمشق: ٥١٩/٤٢، الرياض النضرة: ١٢٣/٣؛ الأمالي للطوسي: ٩٦٥/٤٣١ عن الزبير وفيهما «تنقصه» بدل «أبغضته»، الأمالي للصدوق: ٦٣٣/٤٧٢ وفيه «تنقّصته» بدل «أبغضته».

[٦٩] المستدرك على الصحيحين: ٤٦٣٢/١٣٥/٣، المصنّف لابن أبي شيبة: ٣٦/٥٠٠/٧ عن ابن عمر، فضائل الصحابة لابن حنبل: ١١٢٣/٦٥٩/٢ عن أبي صالح وكلاهما نحوه، تاريخ دمشق: ١٢٠/٤٢، الصواعق المحرقة: ١٢٧ وفيهما «لايحلّ لي» بدل «يحلّ له»، المناقب للخوارزمي: ٣٥٤/٣٣٢، البدايةوالنهاية: ٣٤٢/٧، الرياض النضرة: ١٥٨/٣ نحوه، كنز العمّال: ٣٦٣٧٦/١١٦/١٣ عن الإمام عليّ(عليه السلام).

[٧٠] بحار الأنوار - العلامة المجلسي (٤٠/ ٥٥)

[٧١] شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٤٨٤ .

[٧٢] شرح نهج البلاغة (الحائري) (١٢٦/ ١)

[٧٣] بحار الانوار :ج: ٤١: ص: ١٢٠.

[٧٤] المائدة: ٨٢

[٧٥] كما يروي البخاري ومسلم ان عمر بن الخطاب سمى اختيار ابا بكر للخلافة في السقيفة (فلتة وقى الله الاسلام شرها) وصرح ان سيقتل من يبعود لمثلها

[٧٦] السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ١٥٧)، و رواه صحيح مسلم (٣/ ١٤٧٥) ، و الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم (١/ ١٦٤).

[٧٧] هود: ١١٣

[٧٨] الأحزاب: ٣٣﴾

[٧٩] ﴿الحديد: ٢٥﴾

[٨٠] البقرة -١٢٤

[٨١] الأعراف: ١٥٩

[٨٢] الأعراف: ١٨١

[٨٣] الأمالي للمفيد (ص: ٣) ، و البيان والتبيين: ٢١١/٣؛ نثر الدرّ: ٢٧٣/١، تاريخ اليعقوبي: ٢١٠/٢ نحوه، وراجع نهج البلاغة: الحكمة ٢٦٢ وروضة الواعظين: ٣٩.

[٨٤] البقرة - ١٢٤

[٨٥] الأنعام: ٧٣

[٨٦] العنكبوت: ٤٤

[٨٧] الانعام – ٩٠.

[٨٨] البقرة – ١٢٤.

[٨٩] عنه البحار:٣٦: ٢٥٩ : ح ٧٩ ، والعوالم :ج٣ : ٢٣٢ : ح :٢٢٠ ، وفي إثبات الهداة ٤٦٠ / ١ : ح ٨٥ ، وعن الكافي ٥٣٤ / ١ : ح ١٧ ورواه في الاستنصار ٨ : عن محمد بن يحيى . وفي تقريب المعارف ١٧٥ : عن أبي الجارود مثله . وأبوسعيد العصفري في أصله، عنه البحار ٢٤ / ٢٣ : ح ٣٠ وعن علل الشرائع ١٩٨ : ح١٦عن محمد بن الحسن ، عن سعد بن عبد الله باختلاف وغيبة النعماني ١٣٨ : ح ٨ عن محمد بن يعقوب . وأخرجه في البحار المذكور ص ٢١ ح ٢٠ عن العلل ١٩٦ : ح الغيبة من صفحة ٢٢١ سطر ٢٥ الى صفحة ٢٣٠ سطر ٢٥ بإسناده عن محمد بن الفضل باختلاف ، وكمال الدين ٢٠١ : باسناده عن سعد مثله وفي ص ٢٨ ح ٤٠ عن العلل ١٩٨ : ح ١٨ بإسناده عن محمد بن الفضيل باختلاف ، وبصائر الدرجات ٤٨٨ : ح ٢ عن محمد بن عيسى ، عن محمد بن الفضيل كما في العلل وفي إثبات الهداة ٧٨ / ١ : ح ١٨ عن كتابنا هذا وعن الكافي ١٧٩ / ١ : ح ١٠ عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى مثله والعلل والبصائر والكمال . ورواه في الامامة والتبصرة ٣٠ : ح ١٨٣ . ١٢ وقول أميرالمؤمنين عليه السلام : اللهم إنك لا تخلي الارض من حجة إما ظاهرا مشهورا أو خائفا مغمورا .

[٩٠] بحار الانوار للمجلسي : ج: ٧٢ : ص: ٣٥٩.

[٩١] شرح نهج البلاغة - ابن ابي الحديد (١٧ / ٢١٢)

[٩٢] ميزان الحكمة - محمدي الريشهري (١/ ٩٠)، تحت رقم-١١١

[٩٣] نهج البلاغة: الخطبة ٧٤

[٩٤] البحار ٤٣ / ٤٤ : ح ٤ ، والعوالم ١٤١ / ١٦ : ح ١ ، واثبات الهداة ١٣٥ / ٥ : ح ٢٧ وص ١٥٠ ح . ١٣ ورواه مفصلا الخصيبي في الهداية الكبرى: ١٨٩ :باسناده إلى الحارث الهمداني ، و اثبات الهداة ١٥٦ / ٥ : ح . ٢٣ وأورده مختصرا في الصراط المستقيم ١٧٨ / ٢ : ح . ٨، الخرائج والجرائح (٢/ ٨٩).

[٩٥] عرف القران العدل بعدم الظلم وعرف التوحيد بنفي الشرك، والسبب هو ان العدل هو بدهية الوجود واساس الكون، وليس يعرف البديهي لاستطالته والمستطيل لايدرك بسهولة، قال تعالى:(وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (البقرة- ١٢٤)، بمعنى ان عهد الله تعالى لاينال الا العدول فقط

[٩٦] نهج السعادة في شرح نهج البلاغة - الشيخ المحمودي (٦/ ٥٦)

[٩٧] نفس المصدر

[٩٨] نفس المصدر

[٩٩] بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة:ج٦: ص: ٢٠٦.

[١٠٠] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٨ / ٢٦٣. نهج البلاغة: الخطبة ١٣١ وراجع ايضا دعائم الإسلام: ١٨٨٦/٥٣١/٢. و بحارالأنوار: ٣٦/١٦٧/٢٥.

[١٠١]، (٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٩ / ٣١ و ١١ / ٢٤٥..

[١٠٢] شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : ج١٧: ٨٧ : ص: . والرقاع ؛ هي العرائض التي تحمل الى المسؤول شكاوي الناس وطلباتهم وحاجاتهم.

[١٠٣] مُنْدَحِق البطن: أي واسعها، كأنّ جوانبها قد بعد بعضها من بعض، فاتّسعت (النهاية: ١٠٥/٢).

[١٠٤] نهج البلاغة: الخطبة ٥٧، إعلام الورى: ٣٤٠/١، شرح المائة كلمة: ٢٣٧ وفي صدره «ما حكم بوقوعه في حقّ عبيداللّه بن زياد أما إنّه...»، بحارالأنوار: ٢٧/٣٢٥/٣٩؛ ينابيع المودّة: ٣/٢٠٥/١.عنه موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب و السنة و التاريخ (٦/ ٢٣١)

[١٠٥] امالي الطوسى ج ١ ص ٢٨٤. و بحار الأنوار - العلامة المجلسي (٩٧/ ٣٩٩) ، مجالس الشيخ الطوسى ج ٢ ص ٢٨٤ طبع النجف. و مستدرك سفينة البحار (١٩٦/ ١).

[١٠٦] محسن وهيب عبد (مجلة المصباح القرآنية المحكمة - تصدر عن العتبة الحسينية المقدسة) – العدد - ٢٥ : موضوع : معاني العرش والأيام الستة في القران الكريم .

[١٠٧] نفس المصدر

[١٠٨] محسن وهيب عبد (مجلة النبا)- العدد- ٥٨ : موضوع اليورانيوم المنضب . والشفرة الوراثية للإنسان ، تأليف دانييل كيفلس وليروي هود، ترجمة أحمد مستجير ، سلسلة عالم المعرفة، كانون ثاني ١٩٩٧م ، الكويت.

[١٠٩] مُنْدَحِق البطن: أي واسِعُها، كأنّ جوانبها قد بَعُد بعضها من بعض فاتَّسَعَت (النهاية: ١٠٥/٢).

[١١٠] نهج البلاغة: الخطبة ٥٧، إعلام الورى: ٣٤٠/١، المناقب لابن شهرآشوب: ٢٧٢/٢. و موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب و السنة و التاريخ (١٣/ ٥٠)

(١١١) نظام الملة؛ هو مشروع سياسي قائم على طاعة المعصوم عرفته سيدتنا فاطمة الزهراء سلام الله عليها في خطبتها الجامعة في مسجد ابيها الرسول الاعظم بعد وفاته صلى الله عليه واله ؛ حيث قالت :(...وجعل ائمامتنا نظاما للملة).

المصادر:

١- القران الكريم.

٢- الشريف الرضي ؛ نهج البلاغة ، لأمير المؤمنين بشرح محمد عبده ، (٤ أجزاء). وشروح نهج البلاغة.

٣- المجلسي ؛ محمد باقر، (بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الاطهار)، مؤسسة الوفاء- بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية/ ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٤- المزي؛ جمال الدين ابى يوسف (تهذيب الكمال في أسماء الرجال)،(٦٥٤ - ٧٤٢هـ)

٥- ابن ابي الحديد المعتزلي ؛ شرح نهج البلاغة ؛ دار الكتاب العربي دار الامير للطباعة والنشر ط١،)٢٠٠٧م).

٦- البحراني؛ عبد الله الاصبهاني(عوالم العلوم والمعارف والاحوال من الايات والاخبار والاقوال(الامام الحسين عليه السلام عبد الله البحراني مؤسسة الامام المهدي - ب ت.

٧- الحر العاملي؛ الشيخ محمد بن الحسن(: اثبات الهداة بالنصوص والمعجزات)، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات الطبعة: الاولى المحققة ٢٠٠٤.

٨- الكليني؛ محمد بن يعقوب(الكافي)،منشورات الفكر(ب.ت)

٩- ابي الصلاح تقي بن نجم الحلبي(تقريب المعارف)، تحقيق: فارس تبريزيان الحسون(ب.ت)

١٠- الصدوق؛ محمد بن الحسن، (علل الشرائع) - دار المرتضى - بيروت الطبعة: الاولى ٢٠٠٦م.

١١- المفيد ؛ محمد بن محمد بن النعمان البغدادي (المسائل العشر في الغيبة) ، تحقيق: فارس الحسون تقديم: مركز الدراسات التخصصية في الامام المهدي عليه السلام الناشر: انتشارات دليل ما الطبعة: الاولى ١٤٢٦هـ.
١٢- النعماني؛ ابي عبد الله محمد بن ابراهيم بن جعفر(الغيبة) تحقيق: فارس حسون كريم الناشر: دار الجوادين الطبعة: الاولى ٢٠١١
١٣- الصدوق؛ ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (كمال الدين وتمام النعمة) صححه وقدم له وعلق عليه: حسين الاعلمي، الناشر: منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات الطبعة: الاولى المحققة ١٩٩١.
١٤- الصفار؛ ابو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ (بصائر الدرجات الكبرى في فضائل ال محمد عليهم السلام)، تحقيق: السيد محمد السيد حسين المعلم، الناشر: انتشارات المكتبة الحيدرية - دار جواد الائمة عليه السلام الطبعة: الاولى ١٤٢٦هـ
١٥- الريشهري ؛ محمد ، (ميزان الحكمة)، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الاولى ١٤٢٢هـ
١٦- الخصيبي؛ ابو عبد الله الحسين بن حمدان، (الهداية الكبرى) الناشر: مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة ١٩٩١.
١٧- العاملي النباطي؛ زين الدين ابو محمد علي بن يونس البياضي، (الصراط المستقيم الى مستحقي التقديم)، الناشر: المكتبة المرتضوية لاحياء الاثار الجعفرية الطبعة: الاولى
١٨-الراوندي؛ قطب الدين بن سعد بن هبة الله ، (الخرائج والجرائح)، تحقيق ونشر: مؤسسة الامام المهدي عليه السلام الطبعة: الاولى ١٤٠٩هـ
١٩- النقوى ؛ محمد تقي،(مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة): الناشر: انتشارات قائن الطبعة: الاولى
٢٠- المحمودي؛ محمد باقر، (نهج السعادة في شرح نهج البلاغة)
٢١- التستري؛ محمد تقي،(بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة) - تحقيق: مؤسسة نهج البلاغة الناشر: دار امير كبير للنشر الطبعة: الاولى ١٩٩٧

٢٢ - البحراني، السيد هاشم؛(مدينة معاجز الائمة الاثنى عشر ودلائل الحجج على البشر، مؤسسه المعارف الاسلامية، طبع حجري إيران ١٢٩٠ هـ.
٢٣- الصدوق؛ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، (ثواب الأعمال وعقاب الأعمال)، تحقيق علي اكبر الغفاري، مكتبة الصدوق- طهران.
٢٤-ابن ابي شيبة؛ أبي بكر عبد الله بن محمد العبسي، (المصنف في الاحاديث والاخبار)، ط. دار الفكر، بيروت لبنان.
٢٥- ابن شهر اشوب؛ ابو جعفر محمد بن علي السروي المازندراني؛ (مناقب ال ابي طالب) ، دار الاضواء ، الطبعة الثانية ، بيروت ـ ١٩٩١م- ١٤١٢هـ .
٢٦- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (التوحيد) تحقيق هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي-قم- ط١ (١٣٩٨ هـ).
٢٧- المالكي؛ المكي المشهور بابن الصباغ بن محمد بن احمد (الفصول المهمة في معرفة احوال الائمة)، ط٢، طبع دار الاضواء بيروت- ١٩٨٨م.
٢٨- الصدوق؛ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (أمالي الصدوق)، مؤسسة الأعلمي- بيروت، ط٥، (١٤٠٠ هـ)
٢٩- ابن الأثير؛ أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم الجزري (أسد الغابة في معرفة الصحابة) تحقيق على محمد معوض وعادل احمد، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٥ هـ).
٣٠- الصادق؛ جعفر بن محمد (شرح مصباح الشريعة، المنسوب إلى الإمام الصادق) تحقيق حسن المصطفوي، دار القلم- طهران، ط١ (١٣٦٣ هـ).
٣١ - ابن الأثير الجزري؛ أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، (الكامل في التاريخ) ، طبع مصر ١٣٠٣ هـ.
٣٢- التميمي، عبد الواحد لامدي (غرر الحكم ودرر الكلم) تحقيق، مير سيد جلال الدين محدث الأرجوي- جامعة طهران، ط٣ (١٣٦٠ هـ).
٣٣- الكنجي؛ الشافعي، (كفاية الطلب)، ط ٣. دار احياء تراث اهل البيت عليه السلام).

٣٤- الشهيد الثاني؛ زين الدين بن علي بن احمد الجيعي العاملي (مسكن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد)، تحقيق نشرن مؤسسة آل البيت (عليه السلام)- قم، ط٣، (١٤١٢ هـ).
٣٥- الهيثمي؛ علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي نور الدين، (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) (ط. دار الفكر - بيروت).
٣٦- الشجري؛ الجرجاني ، (يحيى (المرشد بالله) بن الحسين (الموفق) بن إسماعيل بن زيد الحسني (ترتيب الأمالي الخميسية، تحقيق : محمد حسن إسماعيل، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان-١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٣٧- الطوسي؛ أبو جعفر محمد بن الحسن (أمالي الطوسي) تحقيق مؤسسو البعثة، دار الثقافة -قم، ط١ (١٤١٤ هـ).
٣٧- الهيثمي؛ أحمد بن حجر المكي (الصواعق المحرقة في الرد على اهل البدع والزندقة) مكتبة الحقيقة ، استنبول- ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
٣٨- الشهيد الأول، أبو عبد الله محمد بن مكي العاملي الجزيني (الدرة الباهرة من الأصداف الطاهرة) تحقيق داود الصابري مشهد ط١، (١٣٦٥ هـ).
٣٩- الشامي، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (الترغيب والترهيب من الحديث الشريف) تحقيق مصطفى محمد عمارة، دار إحياء التراث- بيروت، ط٣، (١٣٨٨هـ).
٤٠- الشافعي، كمال الدين محمد بن طلحة، (مطالب السؤول في مناقب آل الرسول) النسخة المخطوطة في مكتبة آية الله المرعشي- قم المقدسة.
٤١- الطوسي؛ ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي (اختيار معرفة الرجال) المعروف بـ رجال الكشي تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة الطبعة: الاولى ١٤٢٧
٤٢- ابن كثير الدمشقي؛ اسماعيل بن عمر القرشي،(البداية والنهاية)، ط. دار عالم الكتب، بيروت- ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٤٣- الطبرسي؛ أبو علي الفضل (مشكاة الأنوار في غرر الأخيار)، دار الكتب الإسلامية- طهران ط١ (١٣٨٥ هـ).

٤٤- الشريف الرضي، أبو الحسن محمد أبو الحسين بن موسى الموسوي (نهج البلاغة) تحقيق كاظم المحمدي ومحمد الدمشقي- انتشارات الإمام علي (عليه السلام)- قم، الطبعة الثانية (١٣٦٩ هـ).
٤٥- الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي (المجازات النبوية) تحقيق طه محمد الزيني- مكتبة بصيرتي- قم.
٤٦- السيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (الدر المنثور في التفسير المأثور)، دار الفكر- بيروت ط١/(١٤١٤ هـ).
٤٧- السبزواري؛ محمد بن محمد الشعيري (جامع الأخبار) أو معارج اليقين في أصول الدين، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت (عليه السلام)- قم ط١ (١٤١٣ هـ).
٤٨- البيهقي؛ أبو بكر احمد بن الحسين بن علي (السنن الكبرى) تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١ (١٤١٤ هـ).
٤٩- زين العابدين، علي بن الحسين (عليه السلام) (الصحيفة السجادية)، تحقيق علي أنصاريان، المستشارية الثقافية- دمشق.
٥٠- الرضا؛ علي بن موسى (عليه السلام)، (فقه الرضا، المنسوب إلى الإمام الرضا (عليه السلام))، تحقيق مؤسسة أهل البيت (عليه السلام) المؤتمر العالمي للإمام الرضا (عليه السلام) - مشهد ط١، (١٤٠٦ هـ).
٥١ – الجويني الخرساني؛ إبراهيم بن محمد(ت٧٣٠)، (فرائد السّمطين)، بيروت - مؤسسة المحمودي، الطبعة الاولى- ١٣٩٨ هـ.
٥٢- الرضا؛ علي بن موسى (عليه السلام) (صحيفة الإمام الرضا (عليه السلام)) تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي (عج)- قم- ط١/ (١٤٠٨ هـ).
٥٣- الطبرسي؛ أبو علي الفضل بن الحسن (مجمع البيان في تفسير القرآن)، تحقيق هاشم ألرسولي ألمحلاتي، وفضل الله اليزدي الطبطبائي، دار المعرفة- بيروت، ط٢، (١٤٠٨ هـ).
٥٤- الراوندي؛ قطب الدين، أبو الحسين عيد بن عبد الله (قصص الأنبياء) تحقيق غلام رضا عرفانيان- مشهد، (١٣٠٩ هـ).

٥٥- الراوندي؛ قطب الدين أبو الحسين سعيد بن عبد الله (الدعوات)، تحقيق ونشر مؤسسة المهدي (عج) ط١ (١٤٠٧ هـ).
٥٦- الراوندي، قطب الدين أبو الحسين سعيد بن عبد الله (الحرائج والجرائح) تحقيق ونشر، مؤسسة الإمام المهدي (عج)- قم ط١ (١٤٠٩ هـ).
٥٧- الراوندي، فضل الله بن علي الحسيني (نوادر الرواندي)، المطبعة الحيدرية- النجف الأشرف، ط١، (١٣٧٠ هـ).
٥٨- الثعلبي؛ أحمد أبو إسحاق الثعلبي، (الكشف والبيان (تفسير الثعلبي))، دار إحياء التراث العربي سنة النشر: هـ١٤٢٢ – ٢٠٠٢م.
٥٩- الديلمي، أبو محمد الحسن بن أبي الحسن (أعلام الدين في صفات المؤمنين) تحقيق ونشر، مؤسسة ل البيت (صلى الله عليه وآله وسلم) -قم ط٢ (١٤١٤ هـ)
٦٠- الصدوق؛ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي (إكمال الدين وتمام النعمة)، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي- قم، ط١ (١٤٠٥ هـ).
٦١- الديلمي؛ أبو محمد أبي الحسن بن أبي الحسن (إرشاد القلوب)، مؤسسة الأعلمي- بيروت، الطبعة ٤، (١٣٩٨ هـ).
٦٢- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (سنن ابن ماجة) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث- بيروت، ط١ (١٤١٤ هـ).
٦٣- الحويزي؛ عبد علي بن جمعة العروسي، (تفسير نور الثقلين) تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المطبعة العلمية، قم.
٦٤- الحلي؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إدريس (النوادر مستطرفات السرائر)، تحقيق نشر، مؤسسة الإمام المهدي (عج) -قم ط١ (١٤٠٨ هـ).
٦٥- الحلي؛ أبو جعفر محمد بن منصور بن احمد بن إدريس (السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي) تحقيق نشر مؤسسة النشر الإسلامي- قم، ط٢ (١٤١٠ هـ).
٦٦- الطبرسي؛ أبو علي الفضل بن الحسن (أعلام الورى بأعلام الهدى) تحقيق علي أكبر الغفاري، دار المعرفة- بيروت، ط١ (١٣٩٩ هـ).
٦٧- الطريحي؛ فخر الدين (مجمع البحرين) تحقيق احمد الحسيني، مكتبة نشر الثقافة

الإسلامية- طهران، ط٢، (١٤٠٨ هـ).
٦٨- الحسيني، محمد بن الحسن (المواعظ العددية) تحرير الميرزا علي المشكيني الأردبيلي ، دار الهادي - قم، ط١، (١٤٠٦ هـ).
٦٩- ابن قتيبة؛ أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ، (عيون الأخبار)، ط. دار الكتب المصرية، (تصوير: دار الكتاب العربي) سنة النشر-١٣٤٣هـ.
٧٠ – البحراني؛ السيد هاشم،(حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار عليهم السلام)، طبع إيران سنة ١٣٥٦ هـ.
٧١- البيهقي؛ أبو بكر احمد بن الحسين (شعب الإيمان) تحقيق أبو هاجر محمد العبد ابن بسيني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ (١٤١٠ هـ).
٧٢- البيهقي؛ أبو بكر احمد بن الحسين بن علي (السنن الكبرى) تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١ (١٤١٤ هـ).
٧٣- النسائي ؛ ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب،(خصائص امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه) طُبع بمطبعة التقدّم بجوار القطب الدردير ـ بمصر ـ سنة ١٣١٩ هـ.الناشر في إيران؛ (منشورات مكتبة الصدر ـ طهران (أُوفسيت)).
٧٤- البرقي، أبو جعفر احمد بن محمد بن خالد (المحاسن) تحقيق مهدي الرجائي، المجمع أبو بكر أحمد بن علي (تاريخ بغداد مدينة السلام) المكتبة السلفية، المدينة المنورة.
٧٥- الانطاكي؛ محمد مرعي امين، (لماذا اخترت مذهب اهل البيت عليهم السلام)، ط،مؤسسة تحقيقات ونشر معارف اهل البيت عليهم السلام ، ايران.
٧٦- أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (تاريخ اليعقوبي) دار صادر- بيروت- ب.ت.
٧٧- الخوارزمي؛ الموفق بن احمد بن محمد المكي(المناقب) تحقيق: مالك المحمودي الناشر: مؤسسة النشر الاسلامية الطبعة: الثانية، قم المقدسة- ١٤١١هـ.
٧٨- أبو حنيفة، النعمان بن محمد بن منصور بن احمد بن حيون التميمي المغربي (دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام القضايا والأحكام) دار المعارف - مصر، ط٢، (١٣٨٩هـ).

٧٩- ابن هلال الثقفي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (الغارات) تحقيق جلال الدين المحدث- طهران ط١ (١٣٩٥).
٨٠- ابن همام، أبو علي محمد بن همام الإسكافي (التمحيص) تحقيق نشر مدرسة الإمام المهدي (عج) - قم، ط١ (١٤٠٤ هـ).
٨١- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (سيرة ابن هشام (السيرة النبوية))، تحقيق مصطفى سقا إبراهيم الأنباري، مكتبة المصطفى - قم، ط١ (١٣٥٥هـ).
٨٢- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (لسان العرب) دار صادر- بيروت- ط١ (١٤١٠ هـ).
٨٣- ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر البصري الدمشقي (نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم) تحقيق الشيخ محمد فهيم أبو عبيه، مكتب النصر الحديث، الرياض، ط١ (١٩٦٨م).
٨٤- السيوطي؛ ابو الفضل جلال الدين عبد الرحمن ابن ابي بكر، (الخصائص الكبرى)، نشر وتوزيع دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان- ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
٨٥- ابن المغازلي؛ علي بن محمد بن الطيب بن ابي يعلى، (مناقب امير المؤمنين علي بن ابي طالب)، طبع دار مكتبة الحياة بيروت لبنان.
٨٦- ابن عساكر الدمشقي، علي بن الحسين بن هبة الله (تاريخ مدينة دمشق)، تحقيق محمد باقر المحمودي، دار التعارف - بيروت ط١ (١٣٩٥ هـ).
٨٧- ابن الرازي؛ أبو محمد جعفر بن احمد بن علي القمي (جامع الأحاديث) تحقيق السيد محمد الحسيني النيسابوري، الحضرة الرضوية المقدسة -مشهد، ط١ (١٤١٣ هـ).
٨٨ - ابن الجوزي؛ يوسف بن قزغلي سبط الحنفي(تذكرة خواص الامة بذكر خصائص الأئمة)، طبع النجف الأشرف ١٣٦٩ هـ.
٨٩- الطرابلسي؛ أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي (كنز الفوائد) إعداد عبد الله نعمة، دار الذخائر- قم ط١، (١٤١٠ هـ).
٩٠- ابن طاووس، أبو القاسم علي بن موسى الحلي (الملاحم والفتن)، مؤسسة الأعلمي- بيروت، ط١، (١٤٠٨ هـ).

٩١- ابن طاووس الحسيني، أبو القاسم رضي الدين علي (كشف المحجة لثمرة المهجة) تحقيق محمد الحوت- مكتبة الإعلام الإسلامي- قم - ط١ (١٤١٢ هـ).
٩٢- ابن طاووس، أبو القاسم علي بن موسى الحلي (فتح الأبواب) تحقيق حامد الخفاف مؤسسة أهل البيت (صلى الله عليه وآله وسلم)- قم، ط١(١٤٠٩ هـ).
٩٣- ابن طاووس؛ أبو القاسم علي بن موسى الحلي (سعد السعود)، مكتبة الرضي- قم، ط١ (١٣٦٣ هـ).
٩٣- البغدادي؛ الحافظ ابو بكر، (تاريخ بغداد)؛(ط. دار الكتب العلمية بيروت).
٩٥- ابن طاووس؛ أبو القاسم علي بن موسى الحلي (الدروع الواقية) تحقيق نشر مؤسسة آل البيت (صلى الله عليه وآله وسلم)- قم ط١ (١٤١٤ هـ)
٩٦- الخلوتي؛ الجراحي المردي حسام الدين، (آل محمد) نسخة من مكتبة السيد الاشكوري بقم. (آل محمّد كتاب جمع فيه المؤلف(٢٣٣٧) حديثا عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في نفسه وفي آله عليهم السلام، وهناك نسخة مصوّرة عن نسخة الأصل بخط المؤلّف ، وهو كتاب كبير.طبعته مكتبة المفيد في بيروت سنة ١٤١٥).
٩٧- ابن طاووس؛ أبو القاسم علي بن موسى الحلي (إقبال الأعمال)، مكتب الاعلام الاسلامي، ط١، قم المشرفة- ١٤١٤هـ.
٩٨- الاهوازي؛ أبو محمد الحسين بن سعيد الكوفي (الزهد)، تحقيق غلام رضا عرفانيان - قم، ط٢ (١٤٠٢ هـ).
٩٩- الشافعي؛ المقدسي شهاب الدين ابو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم، (عقد الدرر في اخبار المنتظر)،ط ١. انتشارات مسجد جمكران، قم المقدسة ،ايران.
١٠٠- الأصبهاني؛ أبو نعيم، أحمد بن عبد الله (الأولياء وطبقات الأصفياء) دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت-١٣٨٧ هـ.
١٠١- الطباطبائي؛ محمد حسين (الميزان في تفسير القرآن) إسماعيليان- قم- ط٢ (١٣٩٣ هـ).
١٠٢- ابن أبي الحديد؛ عز الدين عبد الحميد بن محمد المعتزلي (شرح نهج البلاغة) تحقيق؛ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث -بيروت- ط٢ (١٣٨٧ هـ).

١٠٣- مسلم، أبو الحسين مسلم الحجاج التستري النيسابوري (صحيح مسلم) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث- القاهرة ط١، (١٤١٢ هـ).
١٠٤- ابن شعبة؛ أبو محمد الحسن بن علي الحراني (تحف العقول عن آل الرسول)، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي- قم، ط٢ (١٤٠٤ هـ).
١٠٥- ابن فرخ؛ أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار القمي، (بصائر الدرجات)، مكتبة آية الله المرعشي- قم، ط١/ (١٤٠٤ هـ).

(المرأة الكوفية ودورها في التربية والثقافة)

الباحثة: أزهار جبر هادي
العتبة العلوية المقدسة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً كما هو أهله وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين، صاحب الخلق العظيم خاتم النبين أبي القاسم محمد وآله الطاهرين، ولا سيما قائمهم بقية الله في الارضين، خاتم الاوصياء المهدين...

اما بعد:

حظيت المرأة بنصيب وافر من الاهمية في القرآن الكريم وهذه الأهمية جزء من رعاية القرآن المتمثلة بدولة الاسلام الذي وضعت أسس تعاليمه الشريعة الاسلامية، كما حظيت المرأة الكوفية المسلمة بالخصوص بمراتب عليا في ظل دينها الحنيف، فبيضت بمواقفها الصحائف، وأعلنت شموخ شخصيتها من خلال أدوارها المشرفة في كل مجال وحين، فلم تدع فضيلة الا ولها فيها يد، فالفقه، والحديث والشعر والنثر، والجهاد : اما بالحضور في سوح المعارك واما بإلقاء كلمة الحق عند سلاطين الجور. وكان لها الدور البارز في تربية وتثقيف المجتمع الكوفي وبناء الاجيال. ولأهمية هذا الموضوع ارتأينا كتابة البحث بعنوان المرأة الكوفية ودورها في التربية والثقافة.

تألف البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع، اشتمل المبحث الاول على ثلاث مطالب المطلب الاول كان عن المرأة في التاريخ وبينا فيه كيف كانت تعامل المرأة قبل الاسلام وبعد الاسلام، اما المطلب الثاني فكان عن مكانة المرأة في القرآن حيث يضع القرآن الى جانب كل رجل عظيم امرأة عظيمة ويذكرها بكل تقدير واحترام، اما المطلب الثالث فكان عن المرأة القدوة وحاجت الفرد الى القدوة ودورها في بناء الشخصية وبينا فيه كيف اننا بأمس الحاجة لطرح نماذج من تراثنا الاسلامي العريق لتكون قدوة لنا وليس هناك أروع من نماذج بيت اهل النبوة والوحي، فالإرث الفكري والروحي والتربوي الذي صنعة سيدة التاريخ زينب (عليها السلام) في المجتمع الكوفي مهم جداً ونحن بأمس الحاجة لمثل هذا الارث، أما المبحث الثاني اشتمل على اربع مطالب الاول كان تعريف للتربة والثقافة، اما الثاني كان عن المدارس والدور

الثقافي ونشاطاتها في الكوفة ودور المساجد وخاصة مسجد الكوفة، اما المطلب الثالث فتحدثنا عن نماذج من الشخصيات الكوفيات اللواتي كان لهن الدور البارز والمميز في المجتمع الكوفي ومنهن ام اخير بنت الحريش والزقاء بنت عدي بن غالب والسيدة طوعة التي سجل لها التاريخ موقفها الشجاع مع سفير الحسين، وغيرهن من نساء الكوفة، اما المطلب الاخير فكان عن دور المرأة الكوفية في تربية الأجيال وتثقيفهم.

تكمن أهمية البحث في توضيح مكانة المرأة في المجتمع الاسلامي الكوفي، وتدور اشكالية البحث حول المرأة المسلمة قبل الاسلام وبعد الاسلام وكيف ان المرأة الكوفية قادرة على صناعة الاجيال وأعداده دينياً، وان اهداف البحث هو التأسي والاقتداء بالشخصيات التي تكون هي القدوة الحسنه للبشرية، وهم رسل الله وأنبيائه وأوصيائه والاستفادة من هذا المعين الذي لا ينضب وأن المرأة هي القادرة على صنع المستحيل وتذليل الصعاب وذلك بفضل ما تملكه من قوة وعزم وحزم وشجاعة، والمرأة الكوفية خير مثال على ذلك.

وقد استعنا في كتابة البحث الى مجموعة من المصادر وفي مقدمتها القرآن الكريم وتفسير الميزان للطباطبائي وبلاغات النساء لابن طيفور وتاريخ الطبري وتاريخ ابن عساكر واعلام النساء للطريحي والاعلام للزركلي فضلاً عن كتاب نشأة الثقافة العربية الاسلامية في الكوفة للدكتور عمر امجد صالح .

نرجوا من ذلك ان نكون قد وفقنا لرضا الباري (عزوجل) والله ولي التوفيق.

المبحث الاول:

المطلب الاول: المرأة في التاريخ

المطلب الثاني: المرأة في القرآن

المطلب الثالث: المرأة ... القدوة

المطلب الاول: المرأة في التاريخ

ان حركة المرأة في التاريخ القديم كانت بطيئة جدا، وادوارها التي انيطت بها لا تعدو كونها دميه تحركها الشهوات والملذات تارة، والظروف الفكرية والاجتماعية والسياسية تارة اخرى.[1]

في جميع المجتمعات التي ظهرت قبل الاسلام مع اختلاف زمانها ومكانها لم تتمتع المرأة بنظرة احترام وكانت مكانتها تتسم بالدونية ولكن بدرجات متفاوته حسب طبيعة المجتمع ان تشتد حيناً وتقل حينا اخر.[٢]

فهي عند الاثنين قبل الميلاد سلعة تباع وتشترى، لقد عدها الهنود القدامى على انها دورة للروح في حياة شريرة[٣] واشد شؤما من النار والافاعي والموت.[٤] وعند الفراعنة في مصر كانت المرأة اقل من الرجل في قيمتها ومكانتها الاجتماعية رغم وجود نساء وصلن الى مرتبة الحكم مثل : حتبشوت وكيلوبترا، وفي وصية الحكيم آني لابنه يقول له " احذر ان تمشي في طاعة انثى او تسمح لها ان تسيطر على رأيك "[٥] وعدها الرومان شيطانه حتى اخافوا قيلا عن غفلتهم فقرروا بانها انسانه ولكنها رجس يجب لا تأكل او تتكلم او تضحك فوضعوا على فمها قفلا من حديد، وجعل منها اليونان والرومان ظلا للرجل ومجرد تابع له ولا تمتلك من امرها شيءً، وعند المسيحية كان ينظر للمرأة على انها فخ نصبه الشيطان للرجل وانها سلاح ابليس للفتنه والاغراء، رغم ان تقدير مريم العذراء كان له دور في تغير النظر للمرأة مع ذلك لم يغير شيءً كثيرا من الواضع الاجتماعي للمرأة ففي انكلترا كانت قد حرمت على المرأة قراءة الكتاب المقدس حتى زمن الملك هنري الثامن.[٦]

واستمر ذلك لديهم حتى العصور الحديثة اي لم يكن للمرأة اي حقوق، وكان القانون الانكليزي اوائل القرن التاسع عشر يبيح للزوج ان يبيع زوجته بمبلغ زهيد.[٧]

اما عن مكانة المرأة في المجتمع العربي قبل الاسلام وما قيل بشأنها هناك اقوال مختلفة، ان المجتمع العربي قبل الاسلام شهد تبوء المرأة لمنصب الملكة وعلى سبيل المثال لا الحصر، كبلقيس ملكة سبأ وزنوبيا ملكة تدمر. وهناك من عملت بالتجارة كالسيدة خديجة بنت خويلد زوجة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم).[٨]

ومن ناحية اخرى كانت المرأة في وضع لا تحسد عليه اذ كانت مخلوقا للخدمة والمتعة للرجل وتعرضت للإهانة في كثير من اموالها ولم تزل بعض الشعوب في العلم في عصرنا

المتمدن يترددون في تكريمها.[٩]

وبيعت في الاسواق وقتلت وهي حيه قال الله تعالى (وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ)[١٠]

كانت هذه نبذة مختصرة عن اوضاع المرأة في الجاهلية وقبل الاسلام، اما مع بزوغ شمس الاسلام الخالد ونزول القرآن الكريم شرع للمرأة اول قانون كامل يضمن لها منزلتها وكرامتها ويحقق لها حياة تتفق مع طبيعتها ورسالتها السامية وكفلها بسياج من رحمته فوضع الحجر الاساس لكونها احد العنصريين المكونين للحياة. (يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثِيراً وَنِساءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسائَلُونَ بِهِ وَالأَرْحامَ إِنَّ اللهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)[١١]

حظيت المرأة بنصيب وافر من الاهمية في القرآن الكريم وهذه الأهمية جزء من رعاية القرآن المتمثلة بدولة الاسلام الذي وضعت اسس تعاليمه الشريعة الاسلامية وتوجيهات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) التي كان هدفها مكارم الاخلاق وهو ما يشارك في البناء الاجتماعي الرصين للدولة العربية الاسلامية، وهذه التوجهات كان لها دور في تحفيز المرأة للمشاركة في المهام الجديدة التي جاء بها الاسلام.

وذكر القرآن الكريم سور عديدة وآيات كثيرة عن دور المرأة في المجتمع ' فهناك سورة النساء التي ذكرها القرآن الكريم وهي من السور الطوال وفيها تكريم للمرأة وتحديد حقوقها وواجباتها ' وهناك سور اخرى لها علاقة بالمرأة مثل (سورة البقرة، وآل عمران، والنور، والنمل، والقصص، ولقمان، والاحزاب والمجادلة والطلاق وغيرها من السور).

وهذا سوف نتحدث عنه في المطلب الثاني من البحث وذكر الآيات التي تذكر المرأة وتبين ان لها ادوار عديدة منها الام والزوجة والاخت والبنت والمربية .

المطلب الثاني: المرأة في القرآن

ورد في القرآن الكريم سور عديدة وآيات قرآنية كثيرة تبين دور المرأة الا اننا لا يسعنا في هذا البحث ذكر كل الآيات وتفسيرها بل نقتصر على بعض الجوانب فحسب.

ذكرت كلمة (المرأة) في القرآن ستاً وعشرين مرة، ووردت لفظة (النساء) سبعاً

وخمسين مرة [١٢]

لقد شرع القرآن الكريم المساواة بين الرجل والمرأة مساواة واضحة، أعلن بذلك عن كرامة المرأة والاعتراف بكيانها مما لم تنادي به الانظمة ومقررات لجان حقوق الانسان وستظل المرأة في ظل الاسلام هي العنصر المكمل للرجل واللذان تزدان الحياة بهما الى يوم القيامة [١٣]

قال تعالى (وَالْمُحْصَناتُ مِنَ النِّساءِ إِلاَّ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ كِتابَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ ما وَراءَ ذلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما تَراضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً) [١٤].

فالقرآن الكريم وضح المساواة من وجوه عديدة منها ما فسره الطباطبائى في كتابه تفسير الميزان " فعمم الحكم للذكر والانثى من غير فرق اصلاً خلافاً لما كانت تزعمة القدماء من اهل الملل والنحل كالهند ومصر وسائر الوثنيين ان النساء لا عمل لهن ولا ثواب لحسناتهن، وما كان يظهر من اليهودية والنصرانية ان الكرامة والعزة للرجال، وان النساء اذلاء عند الله نواقص في الخلقة خاسرات في الاجر والمثوبة، والعرب لا تعدو فيهن هذة العقائد فسوى الله تهالى بين القبيلتين بقولة من ذكر وانثى " [١٥]

ونذكر ايه اخرى توضح المساواة بين الذكر والانثى قال تعالى(فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ ثَواباً مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوابِ) [١٦]

اورد صاحب كتاب الميزان ان الرجل والمرأة فردان من نوع جوهري واحد، وهو الانسان فأن جميع الاثار المشهودة في صنف الرجل مشهودة في صنف المرأة من غير فرق، وبروز آثار النوع يوجب تحقيق موضوعة بلا شك، نعم يختلف الصنف بشدة وضعف وفي بعض الاثار المشتركة وهو لا يوجب بطلان وجود النوعية في الفرد، وبذلك يظهر ان الاستكملات النوعية الميسورة لاحد الصنفين ميسورة في الاخر، وبذلك يظهر

ان احسن كلمة واجمعها في افادة هذا المعنى قوله تعالى (أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ) (١٧)

وهناك العديد من الآيات القرآنية مبدوئة بعبارات تدل على صيغ عامة تندرج المرأة تحتها كالرجل سواء بسواء مثل (يا أيها الناس، والمسلمون، والمؤمنون)، وخوطبت صراحة في كثر من الآيات فقال تعالى (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِماتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ وَالْقانِتِينَ وَالْقانِتاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِراتِ وَالْخاشِعِينَ وَالْخاشِعاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِماتِ وَالْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحافِظاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِراتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) (١٨)

جاء في تفسير الامثل ان بعض ما ذكر من هذه الصفات العشرة تتحدث عن مراحل الايمان (الاقرار بالسان، التصديق بالقلب والجنان، والعمل بالأركان). والقسم الاخر يبحث في التحكم بالسان والبطن والشهوة الجنسية والتي تشكل ثلاث عوامل مصيرية في حياة البشر وأخلاقهم. وتتحدث في جانب اخر عن مسألة الدفاع عن المحرومين، والوقوف بصلابه امام الحوادث الصعبة اي الصبر الذي هو اساس الايمان، واخيراً تتحدث عن عامل استمرار هذه الصفات، اي ذكر الله تعالى . (١٩) لقد اعتبر الاسلام الرجل كالمرأة كائناً ذا روح انسانية كاملة، وذا ارادة واختيار، واكد ان الجنسين قادران على انتهاج طريق الاسلام للوصول الى الكمال المعنوي والمادي، كما يرى الاسلام ان المرأة كالرجل انساناً مستقلاً حراً. (٢٠)

اعطى القرآن الكريم للمرأة ادواراً عديدة وميز بين دور واخر فدور الام يختلف عن دور الزوجة والاخت تختلف عن الام والزوجة وبهذا نزلت الآية الكريمة للتميز بين هذه العلاقات، قال تعالى (الَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسائِهِمْ ما هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ إِنْ أُمَّهاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ❖ وَالَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِما قالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَماسَّا ذلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (٢١)

كما فسح الاسلام من خلال القرآن الكريم مجالات العمل امام المرأة لتحقيق الكسب

الحلال كما اشارت الآية في قوله تعالى (وَلا تَتَمَنَّوْا ما فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَسْئَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) .(٢٢)

من خلال ما تقدم فان الآيات الكريمات وصفت المرأة بشتى الاوصاف، وجعلت منها مخلوقا مساوياً للذكر، ولم تكن هامشية الوجود، بل هي احد عنصري امتداد البشرية، ولكن التفاضل بينهما بالتقوى والعمل الصالح الذي يؤديانه الاثنين، قال تعالى في محكم كتابة (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ).(٢٣)

ختاماً لا بد لنا من القول ان القرآن الكريم من خلال الدين الاسلامي أعطى للمرأة مكانة اجتماعية مرموقة فلها حق التملك بأنواعه واستحقاق الارث والنفقة وحق البيع والشراء والاجارة والهبة وحق الدفاع عن مالها.

وزاولت المرأة العمل بشتى أنواعه وكان لها اسهامات في الحياة السياسية والاقتصادية كالتجارة والرعي مساواة للرجل وعدم حجر دورها داخل حدود المنزل بل تعمل متى ما اقتضت الحالة الضرورية الى ذلك.

فالمرأة المسلمة قد اكتسبت اهليتها الكاملة في ظل الشريعة الاسلامية ولها ان تكتسب الحقوق المادية والمعنوية ولها ان ترتقي مدارك الرقي الى اعلى مستويات ما دامت تسير وفق توجيهات القرآن الكريم والشريعة الاسلامية.

المطلب الثالث: المرأة.. القدوة

تحدثنا في المطلب الاول والثاني عن تاريخ المرأة قبل الاسلام وبعد الاسلام وكذلك عن المرأة في القرآن وبينا كيف حفظ الاسلام كرامة المرأة واعطاها كافة الحقوق التي يتمتع بها الرجل فأن المرأة والرجل متساويان في الحقوق والواجبات .

اما في هذا المطلب سوف نتحدث عن المرأة القدوة ولكن قبل الولوج في تفاصيل هذا المطلب لا بد لنا من تقديم نبذة مختصرة عن ماهية القدوة واهميتها في حياة الفرد .

ذكرت مفردة القدوة في القواميس على انها مرادفة ومعادلة لمفردة الاسوة، وهذا يعني

ان لهم نفس المعنى، قال تعالى (لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً).(٢٤)

ذكر في كتاب العين للخليل بأن: القدوة الاصل الذي انشعب منه الاقتداء، وبعض يكسر فيقول : قدوة اي : به يقتدى، ومر فلان يتقدى بفرسة اي يلزم به سنن السيرة ".(٢٥)

وذكر الراغب في كتابة المفردات " الأسوة والإسوة كالقدوة والقدوة، وهي الحالة التي يكون الانسان في اتباع غيره ان حسناً وان قبيحاً، وان ساراً وان ضاراً".(٢٦)

اذاً هناك قدوة حسنة وقدوة تتخذ بعداً تخريبيا للمجتمع عندما تكون العناصر التي يقتدى بها الافراد الى مجرد اتباع مسلوبي الارادة والعقل والضمير تؤثر فيهم القوة والهيمنة المادية لهؤلاء الافراد .(٢٧)

فأننا نلاحظ ان قوى الكفر والضلال تحاول ان تطرح في المجتمع العناصر الفاسدة كقدوة للناس وتحيطهم بهالة من الاعجاب والثناء والشهرة الامر الذي يؤدي الى الاقتداء بهم والتأسي بسلوكهم الفاسد .(٢٨) ونحن في هذا البحث لسنا بصدد القدوة الفاسد ولكن نتحدث عن القدوة الحسنة، ان القدوة الصالحة تمثل عنصراً اساسياً في عملية البناء للمجتمع الصالح .(٢٩) وان القدوة ضرورية في ميدان التربية، وكلما كانت القدوة ذات مكانه كبيرة كان تأثيرها أبلغ وأعم واشمل.

كما تعتبر القدوة من افضل الاساليب التي يمكن ان يتم التخاطب بها مع العقل والوجدان معاً، ولعل هذا الدور هو احد اهم مايفسر به اشتراط العصمة او العدالة بدرجة عالية من القيادة الاسلامية حيث يمكن ان يكون لهذة القيادة دور القدوة في الهداية الى جانب المفاهيم والافكار التي تطرحها الشريعة .(٣٠)

"لذلك فالقدوة هي بمثابة الجذر الباقي الذي من شأنة ان يحافظ على روح الاستمرار ويبقى جذوة الامال مضيئة من دون انطفاء .(٣١)

ان امتنا الاسلامية اغنى الامم بالقدوة الحسنه والامثولة الصالحه، اعتباراً من الشخصية

العظيمة الاولى الى الان، فاذا اردنا ان نقدم لاجيالنا الصاعدة القدوة الحسنه فما اكثرها لدينا وما اعظمها. فالقدوة له تأثير عميق وكبير في سلوك الافراد وانتقال السلوكيات القيمة، حيث يتأثر الفرد بالذي يقتدي به، لذلك نجد الاطفال يقلدون آبائهم ويتخذونهم قدوة لهم.

ان المجتمع الاسلامي مجتمع رسالي، اختاره الله تعالى لحمل اعظم رسالة واكمل دين وهو الدين الاسلامي العظيم وبذلك يتحمل المجتمع مسؤولية اعلاء كلمة الله في الارض وتطبيق شريعة الله في العالم .(٣٢)

و كان للمرأة دور بارز وخطير في مسيرة الدعوة الالهية وحركة الانبياء والمرسلين (ع) فقد ساهمت المرأة في الكفاح الفكري والسياسي وتحملت التعذيب والقتل والهجرة وصنوف المعاناة كلها والارهاب الفكري والسياسي، وأعلنت رأيها بحرية وانضمت الى الدعوة الالهية.(٣٣)

ان المرأة عندما تختزن حيوية الفكرة الكبيرة في داخل شخصيتها، فانها لا تنطلق من خلال شخصيتها كامرأة، ولكن من خلال شخصيتها كانسان تحمل بعض العناصر التي تميزها عن الانسان الاخر الرجل، ان المرأة النموذج هي الانسان النموذج الذي يمثل قدوةً للرجل والمرأة على السواء، والرجل النوذج هو الانسان النموذج الذي يمثل القدوة للمرأة والرجل على السواء.(٣٤) ان النساء يبحثن دائماً عن القدوة في التاريخ، وكذلك القدوة في الوقت الحاضر، لذا وجب على المرأة المسلمة، ان تجعل من السيدة زينب (عليها السلام) قدوة لها في عفتها وحيائها وتسير على خطاها .

ان في سيرة السيدة زينب ومسيرتها الجهادية دروساً رائعة تقدم قدوة الى كل امرأة مسلمة على امتداد عالمنا الاسلامي، بل على امتداد العالم بأسرة، وان السيدة زينب مدرسة قائمة بنفسها ينبغي لكل امرأة ان تترسم خطاها وتنهج نهجها وان تدرس هذه الشخصية العظيمة وتقتدي بها في كل الحقول ومختلف الميادين.(٣٥)

فقدوتنا في حياتنا الرسالية هي من ربتها ايدي كانت محطاً للوحي الالهي، وان التنشئة الاجتماعية للسيدة زينب (عليها السلام) كانت في اعلى مستويات التنشئة، فترسخ في

ذاتها قيم العصمة فكراً وسلوكاً وأخلاقاً.

ولا بد لنا ونحن نعيش هذه الظروف الصعبة التي تمر على بلدنا ان نقتدي بالسيدة زينب (عليها السلام) ونعمل كلٌ على قدر استطاعته لمواجهة هذه الهجمة المرتدة التي يعاني منها وطننا، وكل حسب موقعه فالام المربية لابد لها من تربية وتنشئة اولادها تربية حسينية، والمرأة العاملة عليها اداء عملها بكل تفاني واخلاص لتكون عوناً وسنداً لأخيها الرجل في كل جوانب الحياة.

المبحث الثاني

المطلب الاول : تعريف التربية والثقافة لغةً واصطلاحاً .

المطلب الثاني : المدارس والدور الثقافي ونشاطاتها في الكوفة .

المطلب الثالث : ابرز الشخصيات النسوية في الكوفة .

المطلب الرابع : دور المرأة الكوفية في تربية الاجيال وتثقيفهم .

المطلب الأول: التربية والثقافة لغة واصطلاحا

اولاً ــ التربية في اللغة :

في اللغة مأخوذة من رب ولده والصبي، يربه ربا، وربه تربيباً وتربيةً، وعن اللحياني: بمعنى رباه، وفي الحديث : لك نعمة ترباها، اي تحفظها وتراعيها وتربيها، كما يربى الرجل ولده .(٣٦)

وذكر القريشي في كتابه النظام التربوي " ان التربية ـ حسب المعنى اللغوي ــ عبارة عن تعاهد الطفل بالتغذية والرعاية، وحسن القيام عليه حتى يفارق طفولته، وهو شامل لتنمية مداركة وعقله "(٣٧)

اما التربية في الاصطلاح :

التربية كما يذكرها احد الباحثين لا تعني الشدة او الضرب او التحقير كما يظن كثيرون ممن لم يقفوا على المفهوم الصحيح للتربية، ولكنها منهج متوازن من الاساليب التربوية الإنسانية تهدف الى مساعدة الناشئ في بلوغ اقصى حد ممكن من الاخلاق الرفيعة والمبادئ النبيلة والقيم السامية .(٣٨) اورد العسقلاني في كتابة فتح البري تعريفاً للتربية

فقال " التربية هي القيام على الشيء واصلاحه ".[٣٩]

ان التربية بمعناها العام تشمل كل ما نعمل لانفسنا، وكل ما يعمله غيرنا بقصد تقريبنا من كمالنا الطبيعي، فهي باوسع معانيها تشمل الاثار غير المباشرة التي تحدثها في الاخلاق.[٤٠]

ثانياً ــ الثقافة في اللغة :

تعود كلمة الثقافة في اللغة الى :

(ثقف)، الثاء والقاف والفاء كلمة واحدة اليها يرجع الفروع وهو اقامة درء الشيء. يقال ثقفت القناة اذا أقمت عوجها.[٤١]

ثقف : الثقف الحدق في ادراك الشيء وفعله،[٤٢] وثقفه تثقيفاً سواه[٤٣] .

ورجل ثقف لقف، وذلك ان يصيب علم ما يسمعه على استواء.[٤٤]

اما الثقافة في الاصطلاح :

لقد ذكر الكتاب والمؤلفين الكثير من التعاريف للثقافة، فعرفها احدهم على انها انواع المعرفة التي انشأها المسلمون إنشاءاً أو أدخلوها من الحضارات السابقة، كما عرفها اخر بأنها مجموعة العادات والمعلومات وأساليب المعيشة .[٤٥]

والثقافة كما يراها محمد عبد الجابري هي " المعبر الاصيل عن الخصوصية التاريخية لامة من الامم، عن نظرة هذه الامة، الى الكون والحياة، والموت، والانسان، ومهامه وقدراته، وحدوده، وما ينبغي، ان يعمل، وما لا ينبغي ان يأمل "[٤٦]

فان الثقافة تعني التربية التي تنموا بها اساليب الفكرة والعمل بما يلائم الزمان والمكان. ويعتبر من التراث الثقافي الذي ينتقل من الاجيال السابقة الى الاجيال اللاحقة .

المطلب الثاني: المدارس والدور الثقافي ونشاطاتها في الكوفة

كلمة المدرسة المتداولة حالياً جاءت في الاصل من لفظة يونانية وكانت تعني وقت الفراغ، بمعنى لدى الاطفال أوقات فراغ، اي انهم لا يستطيعون العمل وعند تقسيم اوقاتهم الى اللعب والاكل والنوم، يبقى لديهم وقت فراغ لا بد من اشغاله بما يفيدهم

في حياتهم، والمدرسة هي لملئ الفراغ بحسب المعنى اليوناني القديم، هذا التعريف القديم تطور مع الوقت حسب تطور المجتمعات، لان المدرسة التصقت بشكل مباشر بحاجات المجتمع، فهي تعبر عن تلك الحاجات سواء كانت دينية او ثقافية او اقتصادية، وتعمل على تلبيتها من خلال التعليم.(٤٧)

كما عرفها النجيحي "هي مدرسة اجتماعية أنشأها المجتمع لتقابل حاجة من حاجاته الاساسية، وهي تطبيع افراده تطبيعاً اجتماعياً يجعل منهم أعضاء صالحين في المجتمع"(٤٨).

كما اشار فضل الله الى ان الدور التربوي لما نصطلح عليه بالمدرسة كان موجودا لدى المسلمين قبل انشاء المدارس، لكن التسمية والنظم والمنهاج اختلفت لاختلاف الظروف والبيئة عما هو متعارف في المدرسة الحالية.(٤٩)

لقد عرف المجتمع الاسلامي قبل نشأة المدارس أمكنة عديدة لتعليم المراحل العليا في المساجد والكتاتيب ودور العلم ومنازل العلماء والاديرة المسيحية.

ففي العهود الاسلامية الاولى وضعت التقاليد العربية، التي كان لها الدور الهام في تطور العلوم والمعارف والتي اصبحت، فيما بعد من مستلزمات الثقافة العربية الاسلامية ويعود لعلماء العراق، ومنهم اهل الكوفة، الفضل في تثبيت العلم بواسطة التدوين بعد ان كان يجري شفاهاً على ألسنة الناس كما ان لاولئك العلماء الدور المميز في انشاء الحلقات العلمية التدريسية في المساجد .(٥٠)

وليس بوسع الباحث ان يسجل جميع تفاصيل الحركة العلمية في الكوفة وما حفلت به من حلقات الدروس، لان التاريخ لم يحتفظ لنا بجميع المصنفات المدونه في تلك الحقبة والتي اهتمت بتاريخ الحياة العلمية فيها، الا ان ذلك لا يمنع من رسم ملامح وخطوط عامة لصورة الحياة العلمية في الكوفة عبر التقاط بعض الاشارات من كتب الرجال، والتراجم والتاريخ .(٥١)

ان المسار العلمي على مر التاريخ الاسلامي كان له مدرستان متميزتان هما : مدرسة اهل البيت (عليهم السلام) ومدرسة الخلافة، وبما ان للظروف السياسية تدخل واضح

في ترجيح مدرسة الخلافة، الا ان الواقع غير ذلك، فقد هيئ لمدرسة اهل البيت ان تنطلق من مركزين متابعدين، ولكنهما متحدين في الفكر وهما مدرسة المدينه المنورة والكوفة.

والبحث ليس بصدد مدرسة المدينه انما يتحدث عن مدرسة الكوفة، ان مدينة الكوفة تعد من المدن الاسلامية العامرة في العراق ومن اقدمها بعد البصرة، فأنها كانت مهيأة لقيام الحركة الفكرية فيها عمن سواها فقد تركزت في العراق شؤونه الدينية والثقافية في الكوفة والبصرة.(٥٢)

تعود نشأة الحياة العلمية في الكوفة الى الايام الاولى من تمصيرها، ذلك ان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بعث اليها عمار بن ياسر اميراُ، وعبد الله بن مسعود وزيراً (٥٣) وتفرغ الاخير لتعليم اهل الكوفة قراءة القرآن. لكن الحياة العلمية قد افتتحت عهداً جديداً حالما وفد اليها امير المؤمنين (عليه السلام) سنة ٣٥ ه، وأقامته فيها خمس سنوات، كعاصمة للدولة الاسلامية شهدت مدرسة الكوفة مرحلة جديدة .(٥٤) ظهرت في الكوفة مراكز ازدهرت فيها الانشطة الثقافية ازدهاراً ملحوظاً عكس المستوى الثقافي الكبير في الكوفة و ابرز هذه المراكز بأختصار هي :

١ــ المساجد : مثل المسجد اولاً مكاناً للعبادة وثانياً مكاناً لتعليم الاولاد والكبار.

٢ ــ الكتاتيب : وتعد الكتاتيب من مراكز الانشطة العلمية والثقافية الاولى، وهي تمثل ميداناً لتعليم التلاميذ المبادئ الاولية للمعرفة كالقراءة والكتابة.

٣ـ المجالس : احد المراكز الثقافية والتعليمية لكنها لم تكن بمستوى التوجيه والعملية التعليمية في المساجد والكتاتيب الا ان لها وزنها الفكري والثقافي عند العرب قبل الاسلام وبعده.

٤ ـ الاسواق : مثلت الاسواق في مدينة الكوفة الحياة بمختلف جوانبها الاقتصادية والسياسية والثقافية، ومن اشهر الاسواق في الكوفة سوق الكناسة وكان يلقى فيه الشعر وتنشد فيه القصائد فكانت اشبه بسوق عكاظ، ومن الشخصيات الثقافية والشعرية التي كانت تتردد على سوق الكناسة الشاعر الملقب بذي الرمة .

٥ ــ الاديرة ــ كانت الديارات مقراً لعبادة الرهبان وبمرور الزمن أصبحت لها وظائف اخرى هي الوظيفة التعليمية والثقافية والصحية.(٥٥)

اتخذت مدرسة الكوفة من المسجد الجامع في مدينه الكوفة مركزاً علمياً لها، انعقدت فيه حلقات دراسة و تعليم القراءات والتفسير والحديث الفقه وغيرها من العلوم، كما جرت فيه المناظرات والحوارات الفكرية المتنوعة .(٥٦) ويوجد ايضا الكتاتيب وتعد ايضا من مراكز الانشطة العلمية والثقافية الاولى، وتعد الكتاتيب من اقدم انواع المراكز التعليمية .

لذلك بقت مدينة الكوفة ذات مكانة مقدسة لوجود المسجد الذي توجد فيه مقامات عدد من الانبياء، كما انها مقصد الطلاب في ميادين العلوم والمعارف، وبذلك اصبحت محط انظار السواح والزائرين من كافة الاقطار العربية.

رافقت هذه الحركة العلمية الكبيرة في مدينة الكوفة حركة كبيرة لتداول الكتب ونسخها، وانشاء دور لها تسمى (خزانات الكتب) وكذلك نشوء سوق خاص بالوراقين موقعة على ما ذكره ماسنيون شمال المسجد الجامع يضم الكتب على اشكالها، ومثل ذلك السوق مركزاً ثقافياً كبيراً فكان ملتقى للمفكرين، وقد عد الاستاذ الطريحي قرابة الاربع عشرة خزانة في الكوفة ما عدا خزانات المساجد والاديرة .(٥٧)

ولا بد لنا الحديث عن اغنى موروث علمي لمدرسة اهل البيت في الكوفة، الذي يعد النوذج الاول في الانتاج الفكري، الا وهو كتاب (نهج البلاغة)، لقد احتل هذا الكتاب مكانة سامية في تطوير العلوم الاسلامية فنهلت منه دراسات المتكلمين والفلاسفة والمتصوفة والعرفان واصحاب السير والاخلاقيين من علماء المذاهب، واعتبره العلماء من ابلغ النصوص في اللغة العربية، وتسابق العلماء لشرحه. اما النوذج الثاني فهو(الاصول الاربعمئه)، ألف هذا الكتاب في عصر الامام الصادق (عليه السلام) من اجوبة المسائل التي كان يسأل عنها.(٥٨)

كانت هذه نبذة مختصرة عن المدارس الكوفية وتأثيرها على ثقافة المجتمع الكوفي، وسوف نتحدث عن دور المرأة الكوفية في التربية والثقافة.

المطلب الثالث: أبرز الشخصيات النسوية في الكوفة

لقد ضم التاريخ الاسلامي صفحات من شخصيات نسوية رائعة، كان لموقعهن الفاعل على مسرح الاحداث السياسية والاجتماعية والفكرية صدى كبير، وكان لها مواقف ايمانية صلبة، اذ اصبحت تلك المواقف البطولية قدوة حسنة ومثلاً للرجال والنساء .

وكان لنساء اهل البيت عليهم السلام الاثر البارز والمميز في ارساء مبادئ الاسلام وذلك من خلال تضلعهن في العلوم والادب والمعارف وشهرتهن بالشجاعة والفصاحة ومكارم الاخلاق .

وبرز من نساء العراق، من امتزن بالقوى والورع والشجاعة والادب والاجتهاد، العدد الكثير .(٥٩)

ففي مدينة الكوفة التي تعد من المدن الاولى في الاسلام وقاعدة للفتح العربي الاسلامي، ظهر الكثير من الشخصيات النسوية من الهاشميات ومن غير الهاشميات التي كان لهن الدور في احياء العلوم الدينية والدنيوية وعلى سبيل المثال لا الحصر :

ـــ خديجة بنت الامام علي (عليه السلام)

اورد الشيخ المفيد في كتابه الارشاد في باب ذكر اولاد امير المؤمنين (عليه الاسلام) ذكر اسم السيدة خديجة من ضمن اولاده.(٦٠)

السية خديجة من فواضل النساء الهاشميات، وربات الخدر العلويات سكنت الكوفة بدار سيدنا ومولانا امير المؤمنين علي (عليه السلام) حين آلت الخلافة اليه (عليه السلام) وبالكوفة ماتت رضي الله عنها بزمن خلافة ابيها عليه السلام ودفنت الى جانب مسجد غني بالكوفة،

وامام باب الفيل (الباب الكبير لجامع الكوفة) اليوم قبة قد رفعت على قبر خديجة بنت امير المؤمنين (عليه السلام) وهو مزار مشهور من مزارات الكوفة، ولعل ابن بطوطة في قوله اشار اليه ونسبه لابنتي الحسين (عليه السلام).(٦١)

ـــ الزرقاء بنت عدي بن غالب بن قيس الهمدانية :

اشتهرت بين نساء عصرها ببلاغة منطقها ومواقفها الجريئه ضد حكام بني امية لا سيما

معاوية بن ابي سفيان وولائها لخليفتها الشرعي أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) فشهدت معه معاركة الثلاثة ضد معاوية، فما كان من الأخير بعد استلام الحكم الا ان يرسل لوالى الكوفة ان يحمل الزرقاء اليه مع من كان يطالب من وجوه الشيعة ــ رجالاً ونساء ــ فلما دخلت عليه قال لها " اتعلمين لماذا ارسلت في طلبك ؟ فأجابته بشجاعة لا تعرف الخوف والخشية من سيف السلطان فقالت " سبحان الله، انا لي بعلم ما لم اعلم، وهل يعلم ما في القلوب غير الله "، [٦٢] فقال لها معاوية " قد طلبتك حتى اذكرك ما كان عملك في يوم صفين توقدين الحرب وتحرضين على قتالنا " [٦٣]، فقالت " الرأس مات وبقي الذنب، والدهر ذو عبر، ومن تفكر ابصر، والامر يحدث الامر " [٦٤]

ثم طلبوا منها ان تعيد أقوالها في التحريض على قتالهم فرفضت، فما كان من احد الحاضرين الا ان تلاه على اهل الشام ليتملكهم الغضب والغيض عليها فقالوا لها " والله، يا زرقاء لقد شاركت علياً في كل دم سفكه، فقالت لمحدثها : احسن الله بشارتك، فاندهش معاوية من قولها : فقال : لوفائكم ـــ اي علي (عليه السلام) ـــ بعد موته اعجب من حبكم له في حياته، ثم امر ان ترجع للكوفة " . [٦٥] توفيت نحو سنة (٦٠ هـ [٦٦])

ـــ امنة بنت الشريد ـــ زوجة عمرو بن الحمق الخزاعي:

كانت امنه امرأة فصيحة من اهل الكوفة سجنها معاوية بعد ان جد في طلب زوجها ومكثت محبوسة حتى قتل زوجها وقطع رأسه وجيء به اليها وهي في السجن والقي في حجرها رغبة من معاوية في ترويعها، فأطالت النظر الية ثم وضعت يدها على رأسها وقالت " واحزناه، لصغره في دار هوان، غيبتموه عني طويلاً، ثم اهديتموه الي قتيلاً فأهلاً بها من هدية" ثم طلبت من الرسول الذي جاء بالرأس اليها ان يقول لمعاوية " ايتم الله ولدك وأوحش منك أهلك، ولا غفر الله ذنبك " [٦٧] .هذه هي احدى النساء الكوفيات الشجاعات التي ما كانت تقل شجاعة عن زوجها، فاختارت ان تكمل مسيرة زوجها بالحجة البالغة التي اقحمت معاوية، وكان أجل ما فعله بها نفيها عن الشام لا

قتلها، لان المشيئة الالهية تتدخل فتحول دون تنفيذ الطغاة ما يعزمون عليه.

وشخصية اخرى تشربت بمبادئ المدرسة الحقة في الدين والزهد والحق والصلاح والبلاغة اعني مدرسة علي بن ابي طالب (عليه السلام) تلك هي :

ـــ ام الخير بنت الحريش بن سراقة البارقية : تعد احدى سيدات المجتمع الكوفي، ومن ربات الخدور والبلاغة والفصاحة، لهذا كان معاوية يخشاها كخشية رجال الامام على (عليه السلام) المخلصين الموالين، فقد كانوا الاصوات الاعلامية لمدرسة سواء اكان حياً ام بعد استشهاده، فلما استشهد امير المؤمنين (عليه السلام) طلبها معاوية، وارسل الى والي الكوفة ان يقدمها عليه. (٦٨) ثم طلب منها معاوية ان تعيد عليه ما قالته من مديح بحق الامام (عليه السلام) فرفضت، فطلب من الحاضرين ممن كان يحفظ اقوالها ان يسمعه اياه، فقام احد اصحابه فقال له " انا احفظه كحفظ سورة الحمد " فكان حديثها اشارة الى فضائل علي ٠ (عليه السلام) وذم معاوية، ولانها من مدرسة الامام علي (عليه السلام) لابد ان يكون منطقها منطق القرآن فعضدت خطبتها بقوله تعالى (وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) . (٦٩)

فقال معاوية والله، يا ام الخير ما أردتي بهذا القول الا قتلي، ولوقتلتك ما أحرجت قي ذلك. فقالت والله، ما يسؤوني ان يجري الله قتلي على يدي من يسعدني شقائه " (٧٠)، وبعد ان شمتها وعنفها اعيدت الى الكوفة.

هكذا كانت النساء الكوفيات جبلت على قول الحق والتصدي للطاغي والظالم، لانها تربت على المبادئ الاسلامية النبيلة. وعلى المتتبع والراغب بالاستزاده عن الشخصيات الكوفية مراجعة كتاب اعلام النساء في الكوفة الغراء للطريحي.

واخر انموذج نتحدث عنه من اولئك النسوة المجاهدات في سبيل الحق التي امتد عبقها الى يومنا هذا وهي التي احتضنت الثائر الذي وجد نفسه وحيداً بعد ان نقض الكوفيون عهودهم ومواثيقهم مع الحسين (عليه السلام)، الا وهي :

ـــ طوعة الكوفية :

تلك المرأة المؤمنة التي آوت مسلم بن عقيل (عليه السلام) وخبأته عن الاعداء لحين سكوت الطلب ولكن ولدها اللعين افشى سرها واخبر عبيد الله بن زياد فأرسل الكتيبة بقيادة محمد بن الاشعث التي تمكنت من القبض على مسلم (عليه السلام) وكانت طوعة تحمسة وتشجعه على القتال .(٧١)

فكان دورها (رضوان الله عليها) احتضان ذلك الثائر الذي عجز الرجال عن احتضانه، معرضة حياتها للخطر، فكانت مثالاً للشجاعة والايثار والتضحية ونكران الذات، ولعل موقف كوعة الكوفية يدل على ان المرأة المسلمة الموالية كانت حاضرة في تلك المواقف السياسية والجهادية الى جانب الرجل، هذا لم يأتي من فراغ وانما كانت المرأة في تلك الظروف تدرك عظم المسؤولية الملقاة على عاتقها.

المطلب الرابع: دور المرأة الكوفية في تربية الأجيال وتثقيفهم

تمثل المرأة نصف المجتمع وهي تلد النصف الاخر، وتعد عاملاً رئيسياً لاي تغير ثقافي او اجتماعي في المجتمع، وتستطيع بملكتها الفطرية والعاطفية ان تكون عنصراً مؤثرا وبداية هادئة لاي عملية تغير. فالمرأة تمثل وسطاً فكرياً تسود مفاهيمه الوضوح على الرغم من حصانة الجدران، كونها تمثل قدرة على التأثير وفرض توجيهاتها، وخاصة عندما تكون هذه التوجيهات توجيهات صائبة. والمرأة تستطيع القيام بالكثير من الادوار والمهام الكبيرة ويمكنها المشاركة في البناء والتغير والاصلاح الاجتماعي، فهي تعتبر عضو اصيل وفاعل في انماء المجتمع وتطويره.

ان للرجل دور يدير فيه مسؤوليات عديدة مختلفة في الحياة، وكذا المرأة لها ادوار متعددة في المسؤوليات الشرعية والانسانية والاقتصادية، ولكن هناك دور تفضل فيه المرأة على الرجل، وهو الدور الاهم والاخطر في حياة المجتمع الاسلامي ألا وهو تنشئة الاجيال، وصناعة شخصياتهم وفق المبادئ الاسلامية السامية .

فدور المرأة كأم يبدأ من اول احتضانها البيضة وتكوينها الجنين، فهي قادرة على تهيئة المحيط المناسب للبيضة لتكونها شخصية قوية صالحة من خلال هدوئها اثناء الحمل، وأسماعه للقرآن أو قراءة الدعاء، وكذا حين يولد تستطيع ان تحسن تربية الولد وتغذية وتربية معنوياً وروحياً من خلال ملاطفته، والتعامل معه بروحية تبعث في نفسه الثقة،

فبذلك تضع الاساس لبناء الشخصية.

وتعد التربية في الاسرة هي الاساس والمنطلق، وان عوامل شخصية الانسان تتحدد في السنوات الخمس الاولى من حياته .(٧٢)

وبعد هذا الدور يأتي دور المدرسة والمجالس والكتاتيب التي انتشرت تدريجاً ، يتفق العلماء والمربون على تعليم المرأة أمور الدين بدء من القرآن الكريم وأحكامه الشرعية، ويعتبرون ذلك من الواجبات لان مقدمة الواجب واجب فالصلاة تتطلب تعلماً للقراءة ولبعض الاحكام.(٧٣)

عد المسلمون الشيعة علوم اهل البيت علوماً إلهيه، فهم تلقوا المعارف عن طريق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي كان يوحى اليه بكل شؤون الحياة.

ولا يخفى على المسلمين ان من بين هؤلاء السيدات تلقين التعليم في البيت النبوي، وعلى رأسهن السيدة الزهراء (عليها السلام) وابنتها السيدة زينب (عليها السلام) فتوصفان بأنهما علمتان غير معلمتين، وفي ذلك اشارة الى عدم تلقي العلوم عن اشخاص عاديين، ، ما دام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تولى بنفسه هذه المهمة.(٧٤)

الاعتقاد الاسلامي الشيعي بأن علم السيدة الزهراء (عليها السلام)، علم ألهي، جعل من اقوالها وافعالها سنه شريفة، وهي امتداد لسنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ان وجود السيدة الزهراء اعطى للمرأة موقعاً تعليمياً ريادياً وأدت دوراً محورياً وأحتلت الرتبة العالية في الهرم التعليمي، وان هذا الدور التعليمي لم يكن محصوراً بين جدران المنزل، لان هذا العلم لا بد ان يصل الى المجتمع الناشئ آنذاك، فكانت انطلاقا من بيتها وبداية من خلال ولديها وابنتها تقوم بدور تعليمي تربوي، وبما ان علمها مستمد من العلم النبوي، فهي كانت عالمه بالقرآن والحديث واللغة والفقه وصنوف العلوم الاخرى وهي استوحتها من خلال معايشتها للوحي الالهي الذي كان بيت ابيها، وهي كذلك صارت محط انظار الباحثات عن المعرفة اللواتي يفدن الى بيتها للتعلم فضلاً عن اعتبارها راوية للحديث النبوي، ينقل عنها ولداها الامامان الحسن والحسين (عليهما السلام) وبعض الصحابيات المسلمات.(٧٥)

وخير دليل على ذلك وجود مجلس الحوراء زينب العلمي في الكوفة وتحدثوا المؤرخين عن قدراتها العلمية فهي حفيدة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت في فجر صباها آية في ذكائها وعبقريتها فقد حفظت القرآن الجيد كما حفظت احاديث جدها الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما يتعلق بأحكام الدين وقواعد التربية وأصول الاختلاف وقد حفظت الخطاب التاريخي الذي ألقته أمها سيدة النساء فاطمة (عليها السلام) في الجامع النبوي احتجاجاً على ابي بكر لتقمصه الخلافة ومصادرته فدك. وقد روت خطبتها التي لقتها على السيدات من نساء المهاجرين والانصار حينما عدنها في مرضها الذي توفيت فيه، كما روت عنها كوكبة من الاحاديث.[٧٦]

وكدليل على شدة ذكائها : عندما قالت اتحبنا يا ابتاة ؟ فأسرع الامام قائلا : (وكيف لا احبكم وأنتم ثمرة فؤادي، فاجابته بأدب واحترام : (يا ابتاه ان الحب لله تعالى والشفقه لنا) وقد اعجب الامام (عليه السلام) من فطنتها فقد أجابته جواب العالم المنيب الى الله تعالى، وما يدلل على مزيد فضلها أنها كانت تنوب عن أخيها الامام الحسين في حالة غيابة، فيرجع اليها المسلمون في المسائل الشرعية ونظراً لسعة علمها كان الامام زين العابدين (عليه السلام) يروي عنها وروى عنها عبد الله بن جعفر وجابر وعباد العامري[٧٧] وغيرهم الكثير. ولهذا وغيره فقد جاء في التاريخ ان جمعاً من رجال الكوفة جاؤا الى الامام امير المؤمنين (عليه السلام) وقالوا اتأذن لنسائنا كي يأتين الى ابنتك ويتعلمن منها معالم وتفسير القرآن فأذن الامام لهم بذلك فبدأت السيدة زينب (عليها السلام) بتدريس النساء في مجلسها العلمي في الكوفة وبعلم الله وحده عدد النساء اللواتي يحخرن درس السيدة طيلة أربع سنوات او اكثر.[٧٨]

هذا النموذج من العالمات الفقهيات، نراه يتكرر على يد سيدات عشن في بيئه علمية وفي مناخ تربوي هيأ للمرأة الكوفية خاصاً التزود بصنوف العلم والمعرفة فالقيود الدينية لم تكن حائلاً امام المرأة لخوض هذا الغمار التربوي الثقافي لانه من داخل بيوت العلماء والفقهاء كانت تخرج عالمات معلمات.[٧٩]

تدل سيرة نساء كثيرات، انتمين الى التعليم والتربية عن سلوك هذا المنحى التوسعي في

مفهوم التعلم، للقيام بوظائف دينية او تربويه تتجاوز تلبيه الحاجات الذاتية للمتعلمة، الى ما هو ابعد من ذلك اي تنمية المجتمع الكوفي، وخاصة ما يرتبط بالمجتمع الكوفي النسائي. وقد ذكرنا في المبحث السابق عن بعض الشخصيات الكوفيات والنماذج المشهورة من العالمات الفاضلات والمحدثات والفصيحات اللواتي كان لهن الاثر الواضح تربية وتنشئة الاجيال.

هذه المجموعة من الشخصيات الفاضلات وجدت البيئة مهيئة للتزود بالمعارف، ونقل ما أخذته الى اخريات في عملية مستمرة كانت تسهم في زيادة عدد النساء اللواتي يحصلنا على معارف اضافية مع مرور الزمن اتسعت دائرة المهتمات بالمعرفة، والباحثات عن اصناف العلوم، وكانت البيوتات تشهد نهضة تعليمية تربوية تبدأ من الام في المنزل التي تربي اولادها التربية الصالحة. لان لعملية الاعداد والتربية الاثر الفعال في بناء وتكوين الشخصية وممارسة مهامها في المجتمع وتوجيه الطاقة واللياقات الانسانية، وفي حالة اهمال الفرد وحرمانه من عملية التربية والتوجيه والاعداد المدروس والمنظم ينشأ نشوءاً عفوياً تتحكم فيه الظروف والمحيط والحوادث التي كثيراً ما تتسبب بقتل شخصيته، ويتحول الى شخصية ضعيفة، وهذا الدور يكون من مسؤوليات المرأة اكثر من الرجل كما ذكرنا سابقا في البحث. وبقيت ومضات هذه الشخصيات الى يومنا هذا فنحن نستلهم المواعظ والعبر من خلال دراسة سيرتهن، ولا سيما سيدتنا ومولاتنا السيدة زينب (عليها السلام) فقد تجسدت فيها جميع الصفات الكريمة من الايمان والعلم والتقوى والعفة والكرامة وهي التي اقامت صروح النهضة الفكرية، ونشرت الوعي الديني والسياسي في خطبها الحماسية على جماهير اهل الكوفة، ان الانسانية تنحني أجلالاً امام هذه الشخصية الفذة.

وختام بحثنا هذا نستنتج ان للمرأة الكوفية الدور البارز والمميز في تربية وتنشئة الاجيال تربية اسلامية صحيحة، لان المرأة الكوفية اداة مهمه في تغير واصلاح المجتمع.

ونحن في هذه الظروف الصعبة التي تمر على العراق نرى عبق النساء الكوفيات الى يومنا هذا فقد قامت الامهات بتلبية نداء المرجعية وأرسال فلذات اكبادهم الى سوح القتال للتصدى الى هذه الهجمة الشنيعة على ارضنا ومقدساتنا ، والاستشهاد من اجل الوطن

والمقدسات ، فنحن نرى وبصوره واضحة الاسس التي أسستها النساء الكوفيات والقيم التي زرعتا الى يومن هذا ، فنحن نعيش بين طوعة الامس وطوعة اليوم .

الخاتمة

عبر هذا البحث، حاولت ابراز اهم النقاط التالية:

ـــ تستطيع المرأة الكوفية القيام بالكثير من الادوار والمهام الكبيرة، ويمكنها المشاركة في البناء والتغير والاصلاح الاجتماعي فالمرأة شريكة الرجل في تحمل المسؤوليات الدينية والاجتماعية وعضو أصيل وفاعل في انماء المجتمع وتطويره وتنميته، وبدونها لا يمكن صناعة الاصلاح الاجتماعي أو احداث تغير حقيقي في مسار المجتمع الاسلامي .

ـــ ان احد العوامل الكبرى القادرة على تحصين المجتمعات الشرقية ضد الهجمة الفكرية والثقافة الغربية، وهي الهجمة التي تعتبر نموذج المرأة الحديثة من جملة سماتها، هو وجود الثقافة الغنية والتاريخ الحافل بالامجاد والتجارب والمعتقدات والمثل السامية، وكذلك توفر الحقوق الانسانية الراقية وخاصة عند القدوات الانسانية الكاملة.

ـــ لقد ضم التاريخ الاسلامي صفحات من شخصيات نسوية رائعة، كان لموقعهن الفاعل على مسرح الاحداث السياسية والجتماعية والفكرية صدى كبير، وكان لها مواقف ايمانية صلبة، اذ اصبحت تلك المواقف البطولية قدوة حسنة ومثلاً للرجال والنساء .

ـــ ذكر المؤرخين مجلس الحوراء زينب العلمي في الكوفة وتحدثوا عن قدراتها العلمية فهي حفيدة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت في فجر صباها آية في ذكائها وعبقريتها فقد حفظت القرآن الجيد كما حفظت احاديث جدها الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم).

ـــ الثقافة تعني التربية التي تنموا بها اساليب الفكرة والعمل بما يلائم الزمان والمكان. ويعتبر من التراث الثقافي الذي ينتقل من الاجيال السابقة الى الاجيال اللاحقة.

ـــ ان المسار العلمي على مر التاريخ الاسلامي كان له مدرستان متميزتان هما : مدرسة اهل البيت (عليهم السلام) ومدرسة الخلافة، وبما ان للظروف السياسية تدخل واضح في ترجيح مدرسة الخلافة، الا ان الواقع غير ذلك، فقد هيئ لمدرسة اهل البيت ان

تنطلق من مركزين متابعدين، ولكنهما متحدين في الفكر وهما مدرسة المدينه المنورة والكوفة.

ـــ اتخذت مدرسة الكوفة من المسجد الجامع في مدينه الكوفة مركزاً علمياً لها، انعقدت فيه حلقات دراسة و تعليم القراءات والتفسير والحديث الفقه وغيرها من العلوم، كما جرت فيه المناظرات والحوارات الفكرية المتنوعة.

الهوامش:

(١) ظ : عجيان، عادل علي، هي المرأة في التاريخ والمجتمع والدين، ط١، (بيروت: دار الخليج العربي، ٢٠٠٨)، ص٩.

(٢) ظ: الخياط، مهدي، المجتمع الاسلامي في المرأة، (النجف : مطبعة النعمان، ١٩٦٩) ص٩٠.

(٣) ظ: الكروي، ابراهيم سلمان وعبد التواب شرف الدين، مرجع في الحضارة العربية الاسلامية، (الكويت : د.م، ١٩٨٧)، ص٤١٠.

(٤) الخياط، مهدي، المجتمع الاسلامي في المرأة، ص٦٠.

(٥) الكروي واخر، مرجع الحضارة، ص٤١٠.

(٦) الخياط، مهدي، المجتمع الاسلامي، ص٩٠.

(٧) الكروي، واخر مرجع الحضارة، ص٤١٠ .

(٨) العدوي، ابراهيم، التاريخ الاسلامي افاقة السياسية وابعادة الحضارية، (القاهرة : مكتبة الالنجلو المصرية، ١٩٧٦)، ص٣٢ ـ ٣٣.

(٩) الخياط، مهدي، المجتمع الاسلامي، ص٩٠.

(١٠) سورة التكوير، ايه : ٨.

(١١) سورة النساء، ايه : ١.

(١٢) الباقي، محمد فؤاد عبد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط٢، (د. م : اميران، ١٤٢٣ه)، ص٨٧١.

(١٣) الخياط، مهدي، المجتمع الاسلامي في المرأة، ص٩١.

(١٤) سورة النساء : اية ٢٤.

(١٥) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط٦، (طهران : دار الكتب الاسلامية، ١٣٧٩)، ج٥، ص٩٠ ـ ٩١.

(١٦) سورة آل عمران، ايه : ١٩٥.

(١٧) ظ :الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٤، ص٩٤.

(١٨) سورة الاحزاب : ايه، ٣٥.
(١٩) ظ: الشيرازي، ناصر مكارم، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط١، (بيروت : مؤسسة البعثة، ١٩٩٢ م) ج١٣ ،ص٢٢٩.
(٢٠) نفس المصدر، ج٢، ص ١٠٠. بتصرف
(٢١) سورة المجادلة : ايه، ٢ ـ ٣.
(٢٢) سورة النساء : ايه، ٣٢.
(٢٣) سورة الحجرات : اية ١٣.
(٢٤) سورة الاحزاب : اية، ٢١.
(٢٥) الفراهيدي، ابي عبد الرحمن الخليل بن احمد (ت ١٧٥ ه)، كتاب العين،(تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي)، ط١، (بيروت : مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٨٨)، ج٥، ١٩٥.
(٢٦) الاصفهاني، الراغب ،(ت: ٤٢٥ ه)، مفردات الفاظ القرآن، تحقيق، صفوان عدنان داوودي، ط٤، (قم : انتشارات ذوى القربى، ١٤٢٥ ه)، ص٧٦.
(٢٧) ظ: الحكيم، محمد باقر، القدوة الصالحة ودورها في عملية البناء، ط١، (قم : انتشارات الامام الحسين للطباعة، ٢٠٠٤ م)، ص١٩.
(٢٨) الحكيم، القدوة الصالحة، ص٢٢.
(٢٩) نفس المصدر : ص١٩.
(٣٠) نفس المصدر : ص ١٦.
(٣١) القريشي ،علي، الفكر التربوي عند محمد باقر الصدر القيادة والقدوة فكراً وسلوكاً، ط١، (بيروت : دار ومكتبة البصائر، ٢٠١٤)
(٣٢) الصفار، موسى حسن، المرأة مسؤولية وموقف، ط١، (بيروت : دار الزهراء (ع)، ١٩٨٥)، ص٤٥.
(٣٣) مؤسسة البلاغ، دور المرأة في بناء المجتمع، (دـم : مؤسسة الامام الشهيد محمد بافر الصدر، ٢٠٠٧)، ص٤٠.
(٣٤) ظ: فضل الله، محمد حسين، اعداد حسين احمد الخشن، الزهراء القدوة، ط٣، (بيروت : دار الملاك، ٢٠٠٤ م)، ص٢٩
(٣٥) الموسوي، السيد عباس، السيدة زينب حفيدة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)
(٣٦) ظ: ابن منظور، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت : ٧١١ ه)، لسان العرب، ط١، (بيروت : مؤوسسة الاعلمي، ٢٠٠٥ م)، ج٥، ص١٤٢١. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج

العروس، تحقيق، نواف الجراح، ط١، (بيروت : دار صادر، ٢٠١١ م)، ج٤، ص٣٤١.
(٣٧) القريشي، باقر شريف، النظام التربوي في الاسلام دراسة مقارنة، ط١، (النجف الاشرف : مطبعة الاداب، ١٩٧١)، ص ٣٧.
(٣٨) مسكي، سميرة جميل، دور المرأة المسلمة في توجيه الابناء، ط١، (بيروت : دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥ م)، ص٢١٢.
(٣٩) العسقلاني، الحافظ احمد بن على بن حجر، (ت : ٨٥٢ ه)، فتح الباري بشرح صحيح بخاري، تحقيق : عبد العزيز عبد الله بن باز، واخر، (القاهرة : دار الحديث، ٢٠٠٤)، المقدمة، ص ١٦٠.
(٤٠) القريشي، النظام التربوي، ص٤٠.
(٤١) ابن زكريا، ابن الحسين احمد بن فارس (ت : ٣٩٥ ه)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (د، م : الدار الاسلامية، ١٩٩٠ م)، ج١، ص٣٨٢.
(٤٢) الاصفهاني، معجم مفردات الفاظ القرآن، ص٩٠.
(٤٣) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (ت: ٨٧١ ه)، القاموس المحيط، اعداد محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط٢، (بيروت : دار احياء التراث العربي، ٢٠٠٣ م)، ص ٧٣٣.
(٤٤) الزمخشري، جار الله ابي القاسم محمود بن عمر، اساس البلاغة، (بيروت : دار صادر، ١٩٧٩ م)، ص٧٤.
(٤٥) العابدي، محمد، الامام علي (عليه السلام) وتنمية ثقافة اهل الكوفة، ط١، (قم : توحيد، ١٣٨١ م)، ص ١٦.
(٤٦) الجابري، محمد عابد، العولمة والهوية الثقافية، (القاهرة : المجلس الاعلى للثقافة، لا : تا).
(٤٧) ظ : فضل الله، حسن، المدرسة في الاسلام، نشأتها، اتجاهاتها ووظائفها، ط ١، (بيروت : دار الهدى، ٢٠٠٩ م)، ص١٥٦.
(٤٨) النجيحي، محمد لبيب، الاسس الاجتماعية للتربية، ط٧، (بيروت : دار النهضة العربي، لا. ت) ص٥٣.
(٤٩) فضل الله، حسن، المدرسة في الاسلام، مصدر سابق، ص ١٦١.
(٥٠) ظ: حمود، هادي حسن، الحركة الفكرية في الكوفة في العهود الاسلامية الاولى (مجلة حوليات الكوفة، تصدر عن امانة مسجد الكوفة، العدد الاول، ايار ــ ٢٠١١ م)، ١٣٩.
(٥١)ظ : الرفاعي، عبد الجبار، مدرسة اهل البيت (ع) في المدينة والكوفة، ط١، (طهران : مؤسسة الهدى الدولية، ٢٠٠١ م)، ص٧٧.
(٥٢) ظ : الحيدري، محمد حسن علي مجيد، الكوفة عبر العصور ،(دمشق : دار العرب للدراسات والنشر والترجمة، ٢٠١٦ م)، ١٤٤.

(٥٣) الكوفي، محمد بن علي العلوي، فضل الكوفة وأهلها، تحقيق محمد سعيد الطريحي، (بيروت : مؤسسة اهل البيت،)، ص ٨٩.
(٥٤) الرفاعي، مدرسة اهل البيت، ص ٦٩.
(٥٥) ظ : صالح، عمر امجد (ت: ٧٤٩) ، نشأة الثقافة العربية الاسلامية في الكوفة في صدر الاسلام، ط١، بيروت : عالم الكتب للطباعة والنشر، ٢٠١٣)، ص ١٤٧ ــ١٦٨.
(٥٦) ظ: الرفاعي، مدرسة اهل البيت، ص٩٢.
(٥٧) ظ : الطريحي، محمد سعيد، العتبات المقدسة في الكوفة، ط٢، (بيروت : دار الكتب للمطبوعات، ١٩٨٦ م)، ٥٤.
(٥٨)ظ : الرفاعي، مدرسة اهل البيت، ص ٩٦ ــ ٩٧ . بتصرف.
(٥٩) الطريحي، محمد سعيد، اعلام النساء في الكوفة الغراء، ط٣، (اكادمية الكوفة : المجمع العلمي الفاطمي، ٢٠١٠)، ص٨.
(٦٠) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، (ت : ٤٣١ ه)، ط١، (بيروت : مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٨ م)، ٢٣١.
(٦١) ظ : نفس المصدر، ص ٢٨.
(٦٢) ظ : طيفور، ابي الفضل احمد بن ابي طاهر (ت : ٢٨٠) بلاغات النساء، ط٢، (قم: انتشارات مكتبة الحيدرية)، ص٥٠. ابن اعثم، احمد الكوفي، كتاب الفتوح، ط١، (بيروت: دار الاضواء، ١٩٩١ م)، ج٣، ص٨٦. كحاله، عمر رضا، اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام، (بيروت : مؤسسة الرسالة، د: تا)، ص ٣٢ .
(٦٣) القلقشندي، ابي العباس احمد بن علي (ت: ١٤١٨ م)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين، (بيروت : دالر الكتب العلمية، (د. ت))، ج١، ص٢٩٩. ابو البركات، محمد بن احمد، جواهر المطالب في مناقب الامام علي بن ابي طالب، تحقيق : محمد باقر المحمودي، (قم : مجمع احياء الثقافة العربية، ١٩٩٥)، ج٢، ص٢٣٣.
(٦٤) ابن اعثم، الفتوح : ج٣، ص٨٨.
(٦٥) ابن اعثم، الفتوح، ج٣، ص ٨٦. القلقشندي، صبح الاعشى، ج١، ص ٢٩٩.
(٦٦) الزركلي، خير الدين ، الاعلام، ط٣، (د: م، لا. نا، ١٩٦٩.)، ج٣ ، ص ٧٦.
(٦٧) ظ : ابن طيفور، بلاغات النساء، ص ٨٧ ــ ٨٩.
(٦٨) الاميني، محسن عبد الكريم، اعيان الشيعة، تحقيق : حسن الامين، (بيروت : دار التعارف للمطبوعات، د: ت)، ج٣، ص ٤٧٦. وينظر : ابن طيفور، بلاغات النساء، ص٣٦.
(٦٩) سورة التوبة : آيه ١٢.

(٧٠)ظ: ابن طيفور، بلاغات النساء، ص ٥٥ ــ ٥٩.

(٧١)ظ: المفيد، الارشاد، مصدر سابق، ص٢٦٥. ظ: الخوارزمي، ابي المؤيد الموفق بن احمد المكي أخطب خوارزم (ت: ٥٦٨)، مقتل الحسين، (تحقيق : محمد السماوي)، ج١، ص ٢٩٨ ــ ٢٩٩. ظ: الحسون، محمد، ومشكور امر علي، اعلام النساء المؤمنات، ط٢، (ايران : دائرة الاسوة للطباعة والنشر، ١٤٢١ م)، ص، ٥٤٥.

(٧٢) الزحيلي، محمد، المرأة المسلمة المعاصرة مكانتهاـ حقوقها ــ واجباتها، ط١، (دمشق : دار الفكر، ٢٠٠٨ م)، ص ٣٣.

(٧٣) ظ: فضل الله، حسن، المدرسة في الاسلام، مصدر سابق ص٣٣٥.

(٧٤) ظ: فضل الله، حسن، المدرسة في الاسلام، مصدر سابق، ص٣٤٠.

(٧٥) ظ: نفس المصدر، ص ٣٤١.

(٧٦) ظ: القريشي، باقر شريف، السيدة زينب رائدة الجهاد في الاسلام عرض وتحليل، (د: م، لا. نا، لا، تا)، ص٣٨.

(٧٧) ظ: الكرعاوي، صالح نغماش خلف حمد، خواطر وذكريات من تاريخ الكوفة، سلسلة اصدارات مكتبة الامام الحجه (عج)، ص ٦٠. نقلا عن معجم رجال الحديث لابو القاسم الخوئي، ج٢٣، ص١٩٠.

(٧٨) ظ: نفس المصدر، ص٦١.

(٧٩) ظ: فضل الله، المدرسة في الاسلام، ص٣٤٧.

المصادر والمراجع

١.القرآن الكريم

٢.ابن اعثم، الفتوح، ج٣، ص ٨٦. القلقشندي، صبح الاعشى،.

٣.ابن زكريا، ابن الحسين احمد بن فارس (ت : ٣٩٥ ه)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (د، م : الدار الاسلامية، ١٩٩٠ م).

٤.ابن منظور، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت : ٧١١ ه)، لسان العرب، ط١، (بيروت : مؤسسة الاعلمي، ٢٠٠٥ م) .

٥.ابو البركات، محمد بن احمد، جواهر المطالب في مناقب الامام علي بن ابي طالب، تحقيق : محمد باقر المحمودي، (قم : مجمع احياء الثقافة العربية، ١٩٩٥).

٦.الاصفهاني، الراغب ،(ت: ٤٢٥ ه)، مفردات الفاظ القرآن، تحقيق، صفوان عدنان

داوودي، ط٤، (قم : انتشارات ذوى القربى، ١٤٢٥ ه).
٧.الاميني، محسن عبد الكريم، اعيان الشيعة، تحقيق : حسن الامين، (بيروت : دار التعارف للمطبوعات، د: ت).
٨.الباقي، محمد فؤاد عبد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط٢، (د. م : اميران، ١٤٢٣ه).
٩. تاج العروس، تحقيق، نواف الجراح، ط١، (بيروت : دار صادر، ٢٠١١ م).
١٠.الجابري، محمد عابد، العولمة والهوية الثقافية، (القاهرة : المجلس الاعلى للثقافة، لا : تا).
١١.الحسون، محمد، ومشكور امر علي، اعلام النساء المؤمنات، ط٢، (ايران : دائرة الاسوة للطباعة والنشر، ١٤٢١ م).
١٢.الخوارزمي، ابي المؤيد الموفق بن احمد المكي أخطب خوارزم (ت: ٥٦٨)، مقتل الحسين، (تحقيق : محمد السماوي).
١٣.الزحيلي، محمد، المرأة المسلمة المعاصرة مكانتهاـ حقوقها ـ واجباتها، ط١، (دمشق : دار الفكر، ٢٠٠٨ م).
١٤.الزركلي، خير الدين، الاعلام، ط٣، (د: م، لا. نا، ١٩٦٩.).
١٥.الزمخشري، جار الله ابي القاسم محمود بن عمر، اساس البلاغة، (بيروت : دار صادر، ١٩٧٩ م).
١٦.الصفار، موسى حسن، المرأة مسؤولية وموقف، ط١، (بيروت : دار الزهراء (ع)، ١٩٨٥).
١٧.الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط٦، (طهران : دار الكتب الاسلامية، ١٣٧٩).
١٨.الطريحي، محمد سعيد، اعلام النساء في الكوفة الغراء، ط٣، (اكادمية الكوفة : المجمع العلمي الفاطمي، ٢٠١٠).
١٩. الرفاعي، عبد الجبار، مدرسة اهل البيت (ع) في المدينة والكوفة، ط١، (طهران : مؤسسة الهدى الدولية، ٢٠٠١ م).

٢٠. طيفور، ابي الفضل احمد بن ابي طاهر (ت : ٢٨٠) بلاغات النساء، ط٢، (قم: انتشارات مكتبة الحيدرية)، ص٥٠. ابن اعثم، احمد الكوفي، كتاب الفتوح، ط١، (بيروت: دار الاضواء، ١٩٩١ م)، ج٣، ص٨٦.
٢١.كحاله، عمر رضا، اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام، (بيروت : مؤسسة الرسالة، د: تا).
٢٢. الحكيم، محمد باقر، القدوة الصالحة ودورها في عملية البناء، ط١، (قم : انتشارات الامام الحسين للطباعة، ٢٠٠٤ م).
٢٣. الحيدري، محمد حسن علي مجيد، الكوفة عبر العصور ،(دمشق : دار العرب للدراسات والنشر والترجمة، ٢٠١٦ م).
٢٤.الطريحي، محمد سعيد، العتبات المقدسة في الكوفة، ط٢، (بيروت : دار الكتب للمطبوعات، ١٩٨٦ م).
٢٥. صالح، عمر امجد (ت: ٧٤٩)، نشأة الثقافة العربية الاسلامية في الكوفة في صدر الاسلام، ط١، بيروت : عالم الكتب للطباعة والنشر، ٢٠١٣).
٢٦. عجيان، عادل علي، هي المرأة في التاريخ والمجتمع والدين، ط١، (بيروت : دار الخليج العربي، ٢٠٠٨).
٢٧.فضل الله، حسن، المدرسة في الاسلام، نشأتها، اتجاهاتها ووظائفها، ط ١، (بيروت : دار الهدى، ٢٠٠٩ م).
٢٨. فضل الله، محمد حسين، اعداد حسين احمد الخشن، الزهراء القدوة، ط٣، (بيروت : دار الملاك، ٢٠٠٤ م).
٢٩. الخياط، مهدي، المجتمع الاسلامي في المرأة، (النجف : مطبعة النعمان، ١٩٦٩).
٣٠. الشيرازي، ناصر مكارم، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط١، (بيروت : مؤسسة البعثة، ١٩٩٢ م).
٣١. الكروي، ابراهيم سلمان وعبد التواب شرف الدين، مرجع في الحضارة العربية الاسلا، (الكويت : د.م، ١٩٨٧).
٣٢. حمود، هادي حسن، الحركة الفكرية في الكوفة في العهود الاسلامية الاولى (مجلة

حوليات الكوفة، تصدر عن امانة مسجد الكوفة، العدد الاول، ايار ـ ٢٠١١ م).
٣٣.العابدي، محمد، الامام علي (عليه السلام) وتنمية ثقافة اهل الكوفة، ط١، (قم : توحيد، ١٣٨١ م).
٣٤.العدوي، ابراهيم، التاريخ الاسلامي افاقة السياسية وابعادة الحضارية، (القاهرة : مكتبة الالنجلو المصرية، ١٩٧٦).
٣٥.العسقلاني، الحافظ احمد بن على بن حجر، (ت : ٨٥٢ ه)، فتح الباري بشرح صحيح بخاري، تحقيق : عبد العزيز عبد الله بن باز، واخر، (القاهرة : دار الحديث، ٢٠٠٤)، المقدمة.
٣٦.الفراهيدي، ابي عبد الرحمن الخليل بن احمد (ت ١٧٥ ه)، كتاب العين،(تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي)، ط١، (بيروت : مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٨٨).
٣٧.الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (ت: ٨٧١ ه)، القاموس المحيط، اعداد محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط٢، (بيروت : دار احياء التراث العربي، ٢٠٠٣م).
٣٨.القريشي ،علي، الفكر التربوي عند محمد باقر الصدر القيادة والقدوة فكراً وسلوكاً، ط١، (بيروت : دار ومكتبة البصائر، ٢٠١٤)
٣٩.القريشي، باقر شريف، السيدة زينب رائدة الجهاد في الاسلام عرض وتحليل، (د: م، لا. نا، لا، تا).
٤٠.القريشي، باقر شريف، النظام التربوي في الاسلام دراسة مقارنة، ط١، (النجف الاشرف : مطبعة الآداب، ١٩٧١).
٤١.القلقشندي، ابي العباس احمد بن علي (ت: ١٤١٨ م)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين، (بيروت : دالر الكتب العلمية، (د. ت)).
٤٢.الكرعاوي، صالح نغماش خلف حمد، خواطر وذكريات من تاريخ الكوفة، سلسلة اصدارات مكتبة الامام الحجه (عج).
٤٣.الكوفي، محمد بن علي العلوي، فضل الكوفة وأهلها، تحقيق محمد سعيد الطريحي، (بيروت : مؤسسة اهل البيت،)، ص ٨٩.

٤٤.مسكي، سميرة جميل، دور المرأة المسلمة في توجيه الابناء، ط١، (بيروت : دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥ م).
٤٥.المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، (ت : ٤٣١ ه)، ط١، (بيروت : مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٨ م).
٤٦.مؤسسة البلاغ، دور المرأة في بناء المجتمع، (دـم : مؤسسة الامام الشهيد محمد باقر الصدر، ٢٠٠٧).
٤٧.الموسوي، السيد عباس، السيدة زينب حفيدة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)
٤٨.النجيحي، محمد لبيب، الاسس الاجتماعية للتربية، ط٧، (بيروت : دار النهضة العربي، لا. ت).